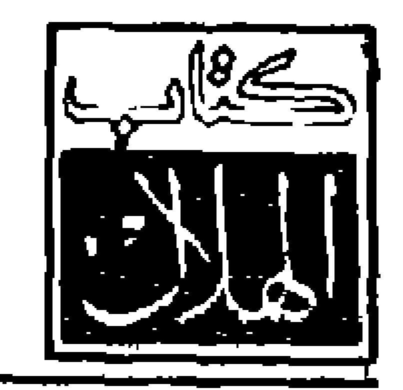
كيف أصبحت روائياً

أرسكين كالدويل

كتاب الهلال



سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال

رئيس مجلس الإدارة : مكرم محمد أحمد

نائب رئيس مجلس الإدارة : عبد الحميد حمروش

رئيس التحرير : مصطفى نبيل

سكرتير التحرير : عادل عبد الصمد

مركز الإدارة :

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب . تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

KITAB AL-HILAL

العدد ٤٨٢ - رجب - فبراير ١٩٩١

أسعار البيع للعدد فئة ٢٠٠ قرش

لبنان ١٠٠٠ ليرة ، الاردن ١,٥ دينار ، الكويت ١,٥ دينار ، العراق ٢ دينار ، السعودية ١٠ ريالات ، تونس ٢ دينار ، المغرب ٢٠ درهم ، ت العربية ١٠ دراهم ، ندن ١,٥ جك



بقلم
ارسكين كالدويل

ترجمة: أحمد عمر شاهين

دار الهلال

الغلاف بريشة الفنانة :
سميحة حسنين

مقدمة

الهدف من هذا الكتاب هو عرض بعض الخبرات لمؤلف ، قد تكون لها أهمية وطرافة لقارىء محب للاستطلاع ، أو لكتاب فى أول الطريق ممن يبحثون عن الرؤى فى أرض العجائب التى يعتقد الجميع أن المؤلفين يعيشون فيها .

ولم يكن هدفى أن أسرد أحداث حياتى بالتفصيل ، ولكنى أتناول ببعض التفصيل تلك الخبرات التى ربما أثرت على كتاباتى وانعكست فى قصصى القصيرة ورواياتى ؛ فما يمكن أن تجده فى هذا الكتاب هو جماع خبراتى كمؤلف وليس تاريخاً شخصياً خاصاً .

هناك بعض الأمور تركتها عن غير قصد ، والبعض حذفتها عامداً ، فإنى أشعر أن عملى كسائق فى مطار ميلنجتون فى ولاية تنيسى خلال الحرب العالمية الأولى ، أو كجامع قطن قصير التيلة فى ولاية ألاباما فى العشرينات ، أو كمسافر فى طائرة ضربها البرق فوق اريزونا سنة ١٩٤٢ ، أو كسائح ربح ٢٧ ألف فرنك فى لعبة الروليت فى أحد كازينوهات موناكو سنة ١٩٤٩ ، لا يخدم أى هدف يتعلق بخبراتى .

كتبت هذا الكتاب من الذاكرة والمفكرة ، وحاولت أن استدعى الأحداث والأحاديث كما وقعت قدر ما استطعت ، وإذا وجدنى القارىء مخطئا على أى وجه ، فسأكون شاكراً لو عرضت هذه الأخطاء حتى أصححها فى طبعات قادمة .

أرسكين كالدويل

القسم الأول

السنوات المبكرة

ربما جاء وقت على معظم من اتخذوا من رواية القصص حرفة ، أن يتساءلوا لماذا لم يكن الواحد منهم ممثلاً أو موظفاً فى بنك أو بائع أحذية بدل أن يكون مؤلفاً .

العقلانيون أو على الأقل أصحاب الذاكرة الجيدة ، ربما يستطيعون تذكر حادثة طريفة فى شبابهم ، كانت نقطة التحول فى حياتهم ، لكنى لست محظوظاً لهذه الدرجة ، فأنا اتساءل الان ما الذى حدث فى مطلع شبابى وقادنى وأغرانى ودفعنى إلى الطريق الذى اخترته .

إنى متأكد أن كتابة القصة القصيرة والرواية ليس بالشيء الهين الذى يمكننى القيام به بسهولة ولطف ، إن الكتابة ترهقنى وتصيبنى بالمرض حين أواجه النتائج ، إن العمل الجسدى المرافق لعملية الكتابة هو وضع مخالف للطبيعة البشرية ، فهو يعنى الجلوس مقيداً ، معتل المزاج طوال النهار

أو الليل وراء طاولة أو مكتب أو آلة كاتبة ، حينما يرغب المرء في الوقت نفسه بالنهوض والذهاب إلى مكان يرى فيه شيئاً يقتنع أنه أكثر إمتاعاً مما يفعله ، كما يعنى أيضا محاولة خلق أناس كالاحياء ، أحداث لها معنى فى الحدود الضيقة للعالم الصغير الذى عرفه . انه يعنى الكفاح لوضع كلمات على الورق تحمل روح الحياة وإحساسها المراوغ ، ومحاولة لا نهائية للوصول إلى المعاني المحددة وظلالها ، عدا أن تواجهك أحيانا صعوبة التهجية الصحيحة لاسم حيوان منزلى أليف .

من المؤكد أن الكتابة لم تقحم على ذاتى ، ولم يقترح مدرس أن أتخذ من التأليف مهنة ، كما لم يشجعنى محرر صحفى أو ناشر ، فهم على غير استعداد ، للابتسام وتشجيع ولد أشقر الشعر يستوقفهم .

كانت والدتى تأمل أن أجد وظيفة تقليدية ، وحثتنى أن أعد نفسى لدراسة القانون أو الطب ، أما أبى ، الذى لا أذكر أنه لمّح لى بشىء ، فلم يكن سيصاب بالخيبة لو التحقت بسلك رجال الدين .

وبقدر ما استطيع التذكر الان ، فإنه لم تكن لدى رغبة أو دافع أو ميل لأن أكون كاتبا فى سنوات عمرى من الثانية عشرة إلى السادسة عشرة ، ولكن من الواضح أن شيئا ما قد حدث لى بعد تلك السن ، وهكذا حينما أصبحت فى الواحدة والعشرين أو الثانية والعشرين تحققت أنى أود أن أكون كاتبا أكثر من أى شىء آخر فى هذا العالم . وصممت أن أشق

طريقى ككاتب ، دون أن يشغلنى أى شىء آخر حتى نهاية حياتى . والهدف الأول الذى وضعته أمامى أن أصبح قصاصا مقروءا خلال السنوات العشر التالية .

إنه عهد من السهل التلفظ به ، وسرعان ما تعلمت أن الأمنيات ليست كافية . كان لدى الارادة والعناد لكن القدرة ظلت مائعة لفترة طويلة .

واعتقد أن أحد أهم الدروس التى تعلمتها فى تلك السنوات المبكرة ، هو أن الحياة نفسها هى أعظم معلم دائم ومعجز للمرء . سمها خبرة إذا أردت ، ومهما سميتها فانى كنت أبحث عنها وأسعى اليها منذ ذلك الحين .

٢

كنت فى الخامسة عشرة من عمرى ، سنة ١٩١٨ ، حين أدركت أنه فى ظروف معينة ، يمكن كسب النقود بالعمل ، وأن العمل فى ظروف أخرى لا يؤدى بالضرورة إلى كسب النقود .

انتقلنا إلى بلدة "ريتز" فى مقاطعة "جيفرسون" فى ولاية جورجيا ، وهى بلدة صغيرة يقطنها حوالى ١٢٠٠ نسمة ، تقع غرب نهر سافانا بحوالى ثلاثين ميلا ، تربتها طينية رملية تصلح لزراعة القطن . كان أبى راعيا للكنيسة البرستباريه هناك . عشنا قبل ذلك فى ولايات عدة ، فمنذ مولدى فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٠٢ وأبى سكرتيرا لجمعية الإصلاح الدينى البرستبارية . ولذا كان كثير التنقل .

بعد التحاقى بالمدرسة الثانوية بعدة شهور ، علمت أن بعض الأولاد الأكبر سنا ، يعملون جزءا من الوقت فى معصرة لزيت بذرة القطن ، ذهبت لمقابلة رئيس العمال ، الذى قال بعد أن تفحصنى جيدا "يمكنك المجىء للعمل فى وردية الليل" ليلة واحدة أو سبع ليال فى الأسبوع .

كنت أكبر من سنى حجما ، فخلال صيفين مارست الحراثة مع فريق من البغال فى مزرعة فى تنيسى ، مما أكسبنى عضلات نامية .

كانت الوردية تبدأ فى الحادية عشرة مساء وتنتهى فى السابعة والنصف صباحا ، تتخللها استراحة لمدة نصف ساعة لتناول الطعام ، بين الثانية والنصف والثالثة ، وكانت الأجرة دولارا فى الليلة .

كنت أعرف أن أمى ، والتى كانت قبل زواجها مدرسة للغتين اللاتينية والفرنسية فى مدرسة للبنات ، لن توافق على عملى فى وردية ليل فى معصرة للزيت ، خوفا على صحتى ودراستى . فقررت أنه من الأفضل ألا أخبر والدى بالأمر .

فى الليالى التى أعتزم العمل فيها ، كنت أذهب إلى الفراش مبكرا ، ليعتقد والداى أنى أنام نوما جيدا ، وقبل الحادية عشرة بقليل كنت ارتدى ملابسى بسرعة ، واجرى مسافة نصف ميل لأصل الى المعصرة وأوقع فى ساعة الحضور ، ومن ثم أبدأ بالقاء بذور القطن بجاروف فى أحواض النقل حتى الصباح . كانت الأحواض تنقل بذرة القطن الى بناية أخرى حيث تقشر أولاً ثم تعصر تحت ضغط هائل لاستخراج الزيت . أما المادة الصفراء المتبقية ، فتطحن وتسوق مع القشور كأعلاف للماشية .

كان يتواجد من عشرة إلى اثنى عشر عاملا فى المخزن الكبير لبذور القطن .. بينهم واحد أو اثنان من طلاب المدرسة الثانوية وحوالى ثلاثة أو أربعة من الزنوج . وبدا لى فى ذلك الوقت ، ومازلت اعتقد أنه حقيقى ، ما من شىء يحدث فى ريتز أو ضواحيها ، مهما قل شأنه ، إلا ونعرفه بالتفصيل فى

حديث المعصرة . الحزازات العائلية ، المواليد غير الشرعيين ، الوفيات الغامضة ، الشجارات العنيفة ، الهجر والفضائح الجنسية ، الخروج على التعاليم الدينية ، كل ذلك كنا نناقشه بحرية خلال الليل ، البيض والزنوج على السواء .

كنا نعمل فى مخزن البذور ، وفى الجو اللطيف ، كنا نتناول الطعام فى وقت مبكر قرب الخط الحديدى ، أما فى الليالى الممطرة فنتناوله فى غرفة الغلى ، لا يوجد بيننا إحساس بالتفرقة العنصرية ، فلكل الحق فى التعبير عن رأيه ، أبيض أو أسود ، ما يحب وما يكره ، وفى أى موضوع يراه ، ربما توجد أماكن أخرى كهذه وإن كنت أشك فى ذلك ، ولكن حسب معرفتى ، فإن معصرة زيت بذرة القطن كانت المكان الوحيد فى البلدة الذى يتمتع بديمقراطية كاملة .

وحينما ينبلج نور الصباح ، ويكشف الفجر الرمادى عن الوجوه المتعبة لرجال وأولاد يلقون ببذور القطن فى الأحواض الناقلة ، يبدو لى دائما ـ فى ذلك الوقت ـ أن كل المشاكل الآتية لكل سكان البلدة ومتاعبهم التافهة أيضا قد اشبعناها بحثا وحديثا وتحليلا وانتهينا منها ، وانه ستكون هناك أحداث جديدة وفضائح جاهزة للمناقشة حين نعود للعمل فى الليلة التالية .

ويأذن لى رئيس العمال أن أوقع وأنصرف قبل نصف ساعة من موعد إنتهاء الوردية حتى أتمكن من الذهاب إلى البيت والظهور على مائدة الإفطار فى الموعد المحدد .

وفى الثامنة والنصف اتجه إلى المدرسة لامكث طول النهار . إستطعت أن أستمر على هذا المنوال شهرين ، أعمل من ليلتين إلى خمس ليال فى الأسبوع ، قبل أن يغلبنى النوم نهائياً كنت أنذاك قد وفرت ثلاثين دولارا ، وكنت متأكدا أن أمى تشك أنى أقوم بعمل غير مسموح لى أن أقوم به ، لكنها لم تفاتحنى بشىء ، حتى غلبنى النوم ذات صباح وأنا على مائدة الإفطار ، وكانت تلك نهاية عملى فى معصرة زيت بذرة القطن .

اقتربت أجازة الصيف ، وأعلن أبى بصراحة ، وأعتقد أنه كان فخورا أو حتى غيورا مما فعلت دون أن يبوح بذلك ، انه لا اعتراض لديه اذا رغبت فى العمل على أن يكون عملا مناسبا ، فى متجر او دكان ، وفى النهار .

وهكذا قبل بدء الأجازة بأيام قليلة حصلت على عمل فى مقر الجريدة المحلية الأسبوعية "جيفرسون ريبوتر" التى يملكها ويحررها شارلى ستيفنز . وكان كل عملى أن أدير يد المطبعة .

فى الأسبوع التالى ، أسند الىّ عمل إضافى وهو رص الحروف باليد ، وفى الأسبوع الثالث اخبرت شارلى أنه بامكانى جمع بعض الأخبار لصفحة المجتمع ، وكتابة أخبار عن بعض الأحداث الطريفة .

اشتريت بالنقود التى وفرتها من عملى فى معصرة الزيت آلة كاتبة مستعملة ، وسمح لى شارلى باستخدامها أثناء العمل .

ومن الواضح أن الجريدة لاقت نجاحا ذلك الصيف ، فأثناء فترة الحر الشديد قام شارلى بإجازة على الشاطىء وتركنى ادير العمل وحدى ، اكتب الصفحات الست ، وأرص الحروف باليد ، وأطبع الجريدة ، ألفها وأعنونها واسلمها إلى المشتركين .

كان التوزيع حوالى ستمائة نسخة فى ذلك الوقت ، ووجدت أنى شغلت بالعمل ستة أيام فى الأسبوع رغم اختصار صفحتين من الداخل .

حينها عاد شارلى فى نهاية اسبوعين طويلين ، مسمر الوجهه وفى صحة جيدة ، القى نظرة على الأعداد التى اصدرتها فى غيابه ، وبدا أنه سر من عملى إذ قال انى اخرجت صحيفة كالصحف المتخصصة فى مظهرها ، ثم أضاف أنه بامكانى إصدار الجريدة لفترة أطول ، وبعد أن اتصل ببعض التجار بشأن ديون خاصة بالاعلانات ، ذهب ليصيد السمك فى الخليج لمدة أسبوع .

حينما عاد الى البلدة ، استجمعت شجاعتى وسألته عن الأجر ، وحسبت أنه مدين لى بسبعة اسابيع من العمل .

بدت عليه الدهشة حين ذكرت الأجر ولم يرد . تبعته الى غرفة التحرير وسألته ثانية عن أجرى . هز رأسه بأسى وقال : لا تتوقع أن أدفع لك نقودا نظير تعلمك العمل .

أخبرته أنى ظننت أنه ينبغى الحصول على شىء نظير

العمل الذى أديته . لكنه قال : اسمعنى يا ارسكين .. أنسيت أنك جئت إلى هنا بمحض اختيارك وقلت : إنك تريد أن تعمل عندى . لم تقل كلمة واحدة عن الدفع ، وأنت تعرف ذلك جيدا كما أعرفه .

قلت : لكنى أعتقدت أنك ستدفع لى شيئا يا مستر ستيفنز . لقد كانوا يدفعون لى دولارا كل ليلة حين كنت أعمل فى المعصرة .. وأنا استحق أكثر من ذلك نظير عملى لديك ، أليس كذلك يامستر ستيفنز ؟

قال : ولد . من الأفضل أن تسرع الى المعصرة وتحاول الحصول على عملك القديم إذا كانت النقود هى كل ما تسعى اليه فى حياتك .

قلت : ولكن ألا يمكنك أن تدفع لى حتى نصف دولار فى اليوم ؟ .

لا .. قالها وهو يهز رأسه مصمما .

فكرت فى الأمر طوال الأسبوع التالى ، ثم سألته إذا كان لديه اعتراض أن أترك العمل . أفهمنى أنى أثبت بذلك عدم ولائى للعمل ، وحيث أن الصيف كان على وشك الانتهاء ، وكان بامكانى ترك العمل ، فتركته .

٣

أصبحت مدخراتى تتجسد فى آلة كاتبة مستعملة ، ولقد تركت العمل الوحيد فى البلد الذى كان يتيح لى استخدامها ، بدأت أبحث عن عمل ، فى مصنع الثلج ، لا يوجد ، فى الصيدليتين ومتاجر البقالة الستة لا يحتاجون من يساعدهم ، موسم حصاد القطن قد إنتهى ، والوقت مبكر جدا على القطف ، وتمنيت لو أنى لم أترك عملى فى الصحيفة .

وأخيرا ، مثل معظم الاولاد والشباب فى ريتز ذلك الصيف ، بدأت الذهاب إلى مباريات البيسبول التى تقام عدة مرات فى الأسبوع ، بين النادى المحلى وفرق من المدن القريبة ، كانت لدى مدير النادى مشاكل آخرى ، معظمها مالى ، ووافق بصدر رحب أن أتولى تسجيل وقائع المباريات التى تقام فى ريتز ونتائجها ، وقد قمت خلال اسبوع أو أكثر بعمل جيد ، حيث عينت بعد ذلك المسجل الرسمى للنادى ، دون آجر ، واعطيت تصريحا بحضور كل المباريات المحلية ، وسمح لى بالجلوس على مقعد اللاعبين ، وأحيانا كان يسمح لى بالقيام برحلة مع الفريق إلى بلدة قريبة .

أثناء عملى فى صحيفة "الريبورتر" اكتشفت أن معظم الصحف اليومية فى الولاية تستخدم مجموعة من المراسلين المحليين ، ينالون أجرهم دولارين عن كل عامود من المادة

الأخبارية التى تنشر بالفعل ، وكان عليهم فى نهاية كل شهر أن يقصوا رسائلهم التى نشرت ويلصقونها فى مجموعات على شكل أعمدة ويرسلونها إلى المدير التنفيذى للصحيفة ، وكان من رأيي أن ما يحدث فى ريتز ويجذب اهتمام صحف المدن الكبيرة لا يملأ عمودا واحدا فى الشهر خلال سنة كاملة ، ولذا قررت أنه من الأجدى أن أسعى للاتصال بقسم الرياضة فى أقرب صحيفة يومية "اوجستاكرونيكل" .

وعلى الفور تلقيت من المحرر الرياضى فيها مجموعة من المظاريف المعنونة بطوابعها لأضمنها رسائلى ، وقد فهمت من ذلك انى عينت رسميا كمراسل بالقطعة لصحيفة الكرونيكل فى ريتز .

وسواء كان لجريدة الكرونيكل قراء فعلا فى ريتز ، أو أن مباريات البيسبول التى أقيمت ذلك الصيف كانت بالفعل مثيرة بشكل غير عادى بحيث يقبل الناس على قراءتها ، فإنى وجدت كل كلمة ارسلتها قد نشرت بالفعل ، وأصبحت انشر عمودا يوميا تقريبا يتضمن تقريرا عن المباريات .

كان من الممكن أن يكون مكسبى أكبر لو تجاهلت تحذير مدير النادى بعد مباراة حرجة اقيمت فى ريتز ، لقد هددنى بسحب التصريح منى ومنعى من دخول الملاعب إذا أرسلت تقريرا مفصلا عما حدث فى المباراة ، وكنت قد كتبت عن العراك الوحشى الذى حدث بين أحد أعضاء فريق زائر وأحد الأنصار المحليين ، إنتهى بأن فقد اللاعب قطعة من أذنه

ونقل النصير الى بيته فاقد الوعى ، وادعى المدير أن قصة كهذه لو ظهرت فى الصحيفة فستؤثر على الدخل بقية الموسم .

وكانت نهاية موسم البيسبول نهاية قاسية بالنسبة لى ، عدت الى المدرسة بإحساس محبط ، لأنى عدت بلا عمل أو وسيلة للدخل ، ومع ذلك كانت لدى آلتى الكاتبة ، واستطيع أن أكتب باصبعين الان بدل أصبع واحد .

كتبت لمدراء جميع الصحف الأخبارية اليومية فى جورجيا عارضا خدماتى كمراسل محلى فى بلدتى ، بعضهم لم يرد ، والبعض مثل جريدة اتلانتا وجريدة ماكون تلجراف ارسلا ظروفا معنونة بطوابعها كى ارسل لهما تقاريرى . خلال الشهور التالية أرسلت إلى هاتين الصحيفتين بالاضافة الى صحيفة اوجستا كرونكل تقارير كاملة عما اعتقدت أنه يمكن اعتباره احداثا هامة وقعت فى منطقتنا فى مقاطعة جيفرسون . وكانت النتيجة مخيبة للآمال . ولا مجال للمقارنة بين ما نشر وبين ما نشرته عن مباريات البيسبول التى اقيمت فى ريتز فى الصيف الماضى . كان هناك شخص ما فى كل صحيفة يختصر بانتظام تقاريرى المكونة من صفحة أو صفحتين الى فقرة من بوصتين او ثلاث .. وقد مكثت طويلا حتى اجمع ٢٢ بوصة وهى طول العمود .

وأملاً فى تحسين حالتى عمدت الى المنافسة بين الصحف ، فتركت الصحف الثلاث الى صحف ثلاث أخرى ، لكن هذا التغيير لم يأت بنتائج جيدة ، ففى آخر الشهر كان حصيلة ما

نشر فيها أقل مما سبقها ، ثم عرفت أن الصحف الصباحية توزع فى ريتز أكثر من الصحف المسائية ، والسبب أن صحف الصباح توزع فى اليوم نفسه بينما الصحف المسائية لا تصل أحيانا إلا فى اليوم التالى ، وعدت لمراسلة الصحف الصباحية .

وفى طريق البحث عن وسيلة لزيادة ما انشره من مادة ، طلبت من والدى فى الربيع التالى أن يصحبنى لزيارة عدد من مدراء التحرير فى الولاية ، ووافق أن يصطحبنى الى "ماكون" وقطعنا رحلة المائة ميل بعربتنا الفورد القديمة على طرق ترابية ، تاركين البيت فى السادسة صباحا ، وبعد عدد من الأعطال والتوقف عدة مرات لتنظيف شمعات الاشعال ، وصلنا "ماكون" فى الثانية بعد الظهر ، لم يكن لدى أدنى فكرة عما سأقوله لمحرر الأخبار ، وفى الوقت الذى كنا ندخل فيه مكتب جريدة التلجراف تمنيت لو أنى لم أقم بهذه المحاولة .

كان "مارك اتروج" هو مدير تحرير التلجراف وهو أول صحفى أصيل أقابله ، كنت مبهورا جدا بالموقف ، بحيث أنى لم أفعل أكثر من هز رأسى عدة مرات حينما يوجه الىّ الحديث .

تحدث أبى معه لمدة ساعة تقريبا ، حديثا يدور معظمه حول الأمور السياسية فى جورجيا ، وفى النهاية ونحن نتصافح

ونستعد للمغادرة تحدث أبى عنى ، وأشار إلىّ أنى أراسل صحيفة التلجراف من ريتز منذ عدة شهور .

قال مارك أنه قرأ بعض ما ارسلته ، ثم أضاف باتسامة أن مكتب الادارة يعتبر بلدتنا خارج توزيع منطقة التلجراف الأساسية وربما خارج منطقة التوزيع الثانوية وأنه يشك فى أن يكون هناك اثنا عشر مشتركا فى الصحيفة فى مقاطعة جيفرسون بأسرها .

ولا أعرف ما الذى دفعنى أن أقترح القيام بتوزيع جريدة التلجراف فى ريتز فيما لو عينت مراسلاً إخبارياً لها ، ربما لأننى أريد أن أقيم علاقة ما مع جريدة . لقد قمت بتوزيع الجرائد حينما كنت صغيرا .

وضحك مارك وهو يهز رأسه : إنك لا تريد حقيقة أن تسرح لتبيع الجرائد .. هل تريد ذلك يا ارسكين ؟
قلت : أفضل أن أكتب لها .

قال بجد : اعتقد ذلك . أنت تحاول جادا نشر شىء فى التلجراف . سأخبرك بما يمكنك عمله . عد الى ريتز واكتب عما تراه يحدث ، لا تأخذ كلمة أى شخص حول أى موضوع ، انظره بنفسك أو لا تصدقه ، هناك دائما شىء ما يمكنك أن تكتب عنه آجلا أو عاجلا فى أى مدينة ، واذا استطعت أن تجعله يبدو طريفا فسيطبع ، لا تقلق من أجل ذلك ، كل ما فى الأمر أن تكتب عما ترى . ذلك هو الأجدى . حظ سعيد .

بعد مغادرتنا ، ذهبنا إلى شارع شيرى ، وتوقفنا عند مطعم صغير حيث تناولنا شرائح اللحم والبطاطا وفطيرة التفاح ، وبقيت اشعر بالجوع حتى بعد أن أكلت ، واشترى أبى دستة من لفائف القرفة لنأكلها فى طريق عودتنا الطويلة المتربة ، اذكر ذلك اليوم جيدا ، لأن أبى كلما اشترى لفائف القرفة بعد ذلك كان يدعوها أطفال السكر .

٤

فى اوائل سنة ١٩١٩ بدأت أقوم برحلات فى السيارة داخل الريف مع أحد الأطباء المحليين ، الذى يتوزع مرضاه مسافة أميال على طول النهيرات وجوانب التلال فى أجزاء من مقاطعات جيفرسون وبيرك وجلاسكوك .

لم أكن أتلقى أجرا على قيادتى العربة والقيام ببعض الاصلاحات الثانوية بها ، كما أننى لم أتوقع أن أتلقى ، كنت شغوفا بالتعرف على طبيعة حياة الناس فى الريف وكنت سعيدا أن تتاح لى هذه الفرصة أحيانا يظل الطبيب مستيقظا طوال الليل ، وينام باستغراق أثناء ترقيع إطار داخلى أو الانتقال من بيت مريض لآخر . وكان لا يفرق فى المعاملة بين من يستطيع الدفع لقاء خدماته ومن لا يستطيع ، وغالبا ما يزود المريض بالدواء الضرورى وأحيانا حين تكون ظروف المريض صعبة كنت أراه يترك دولارا أو اثنين على الكرسى أو المائدة .

بعد ذلك بدأت أقوم برحلات ريفية مع مخمن ضرائب المقاطعة الذى كان يربط بذكاء بين عدالة التخمين والاصلاح السياسى . وتعلمت سريعا كيفية التنبؤ ببعض الدقة فيما اذا كنا سندعى لوجبة غداء أم لا ، فإذا شعر الفلاح أن تسوية ضرائبه كانت مناسبة ، أكون آنذاك متأكدا أنه سيتمسك بنا

على الغداء وإلا فإننا نسير إلى أى مطعم قريب وسط تمتمات المخمن عن بخل الناس .

أخذنى أبى معه ذلك الصيف حين زار أعضاء كنيسته فى الريف ، ولم يكن أعضاء الكنيسة وحدهم الذين قمنا بزيارتهم بل زرنا عددا ممن لا يذهبون إلى الكنيسة ايضا ، ويبدو ، فى معظم الأحيان ، أن هناك نمطا عاما من الحياة فى الريف الكبير المزروع قطنا . لقد زرع التبغ بكميات كبيرة فى هذه التربة الرملية الطينية نفسها منذ سنوات ، ومازالت عدة طرق عريضة ومستوية ومهجورة والتى تكونت بسبب دحرجة براميل التبغ المنقى من المزارع الى نهر سافانا . يمكن رؤيتها على ذرى التلال ، ومعظم ملاك الأرض فى المدن يعيشون فى راحة نسبية بينما كان الفقر يحيط الريف كله ، والأختلاف الوحيد كان فى درجة هذا الفقر فقط وأحيانا توجد اشارات وشواهد لبؤس اكبر ، لم يكن أبى يستطيع السكوت دون التعليق عليه ، كان يوقف العربة بجانب الطريق التى تحف به الأعشاب ويحملق عبر حقول القطن الى الغرفة أو الغرفتين المتهدمتين للبيت الذى غادرناه لتونا ، معظم الأسقف من الصفيح والأثاث عبارة عن سرير وعدة حشيات على الأرض وبعض كراسى من مصاصة القصب .

ويقول أبى بحزن : ذلك الرجل البائس لم تتح له فرصة ليخرج عن فاقته أنه أسوأ من ضفدع طين فى جحر ، إنه لمن العار أن يعيش الآدميون بذلك الشكل ، كل هؤلاء الأطفال ماذا سيصبحون حين يكبرون ؟ ضفادع طينية فى جحور .

لم يكن هناك جواب على ذلك ، لأن كلانا لا يعرف الحل . ونسير بعد برهة عبر الطريق الطينى القذر فى صمت تحت حرارة بعد الظهيرة الى العائلة المستأجرة التالية التى سنزورها .

نحن أنفسنا لم نكن نعتبر أثرياءِ أو معتدلى الحال ، لكن معظم الناس الذين رأيتهم كان مستواهم الإقتصادى أقل منا بكثير ، كان مرتب أبى كقس ٤٠٠ دولار فى العام ، وحتى حينما عمل فى التعليم ليزيد دخله لم يتلق ابدا أكثر من ٢٠٠٠ دولار فى السنة طوال حياته . ومع ذلك كانت هناك عادة كنسية تساعد فى زيادة الدخل ، فلسنوات كثيرة كان بيت القس يزود بمساعدات أولية فى شكل منتجات زراعية . هذه العادة تسمى "الترطيل" من الرطل ، وكانت توجب على اكثر رعايا الكنيسة ثراء أن يحضروا رطلا واحدا أو عدة أرطال من اللحم والدقيق والسكر أو أى سلعة رئيسية الى بيت القس عدة مرات فى السنة . لم نكن ابدا جوعى لكن غالبا لم أكن أحصل على ما أحب أن آكله ، وبدون شك كان الكثيرون حولنا يجوعون سنة وراء أخرى . ولا أذكر مناسبة واحدة لم يطلب من أبى الطعام عبر رحلاته فى الريف ، وكان من عادته ، حتى حينما تقول امى انه ليس هناك ما يكفى ثلاثتنا ، أن يحمل زكيبة من البطاطس او البرغل أو البسلة او الدقيق فى العربة ايتما ذهب ، وكانت أمى تضيف أحيانا حقيبة صغيرة من الحلوى للعجائز والأطفال .

٥

في سبتمبر ، وقبل ثلاثة أشهر من عيد ميلادى السابع عشر ، ذهبت الى الكلية ، كنت آسفا للتخلى عن طموحى فى كتابة أخبار مقبولة كمراسل للصحف في ماكون واوجستا . ولكنى بدأت أشعر بالآفاق المحدودة لشرق جورجيا ، وأردت أن أعرف أكثر عما وراء هذا العالم .

التحقت بالصف الأول فى كلية ارسكين فى ساوث كارولينا ، وهى مؤسسة تعولها الكنيسة البرستبارية ، ولقد تخرج أبى هناك من كل من الكلية والمعهد الدينى ، وكانت المصاريف قليلة بحيث أنه شعر أن باستطاعته تحمل اقتراض النقود ليرسلنى هناك . كانت تجربتى الأولى أن أكون بعيدا عن البيت وأحببت الحرية النسبية لحياة الكلية .. لكن ما ضايقنى هو تكريس وقت كبير للتعلم وحيدا داخل المساحة المحدودة للحرم الجامعى ، بعد عدة أسابيع من القلق اعتدت قضاء عطلة نهاية الأسبوع فى مكان آخر قدر استطاعتى ، ووجدت أن أرخص وسيلة للابتعاد هى تسلق ظهر قطار شحن مساء الجمعة أو السبت واذهب إلى المكان الذى يصل اليه القطار فى الصباح لقد ذهبت الى بلدان عدة ، وكنت أعود الى ديوديست على ظهر قطار الشحن مساء الأحد أو مبكرا صباح الأثنين .

ولأنى طالب مستجد فقد زودونى التلاميذ القدامى بالقواعد والتعليمات التى يجب اتباعها وتنفيذها . كان هناك ثلاثة اوامر تركت الانطباع الأعمق فى نفسى ، اولاها وجوب تكوين فريق كرة قدم من الطلبة المستجدين وإلا فإن العواقب ستكون وخيمة . ثم أن أقوم بتهريب ثلاث وجبات يوميا من صالة الطعام الى لاعبى بوكر فى لعبة تجرى دون توقف تقريبا منذ بداية الدراسة وحتى أعياد الميلاد ، ثم من العودة إلى الدراسة فى يناير وحتى حفل توزيع الشهادات فى يونيو ، وأخيرا أن أبحث عن وادعو واقدم شخصيا فتاة بين السابعة عشرة والعشرين من خارج المدينة فى كل حفل رياضى ناجح فى الحرم الجامعى .

أحببت كرة القدم ، ولم أمانع فى حمل الطعام الى لاعبى البوكر ، ولقد تعرفت الى عدد من فتيات ساوث كارولينا ذلك العام ، فلم تكن هناك مشكلة فى حضور فتاة مختلفة عند كل احتفال . ولكن مع واجبات شاقة كهذه وجدت فرصة ضئيلة للمذاكرة .. وكانت درجاتى فى نهاية سنتى الأولى منخفضة لدرجة أدهشتنى أنا نفسى واشترطت سلطات الجامعة انه سيسمح لى بالالتحاق بالسنة الثانية إذا وافقت على الاشتراك بالكامل فى نشاطات مدرسية معينة .

حين إنتهت الدراسة فى أوائل يونيه ، ذهبت إلى بلدة صغيرة تبعد خمسين ميلا عن شاتونوجا ، فى ولاية تنيسى ، كان اسم البلدة كالهون فى ولاية جورجيا حيث حصلت على عمل كمساعد بناء ، لم يكن غيرنا ـ أنا والبنّاء ـ يعمل فى

المشروع وهو إنشاء كنيسة من حجر الجرانيت اكتشفت على الفور أن هذا أشق عمل قمت به .. فى نهاية الصيف كانت الجدران الجرانيتية تنتصب عاليا بمستوى السقف . كنت فى حالة صحية جيدة تلائم كرة القدم ، وعدت الى الكلية لأكوّن منتخب الجامعة بعد أسبوع من التمرين .

حين انتهى فصل كرة القدم فى نوفمبر ، أضحيت قلقا بدون النشاط الجسدى العنيف الذى اعتدت عليه خلال الصيف وما بعده ، اثر عودتى الى الجامعة وبعد اجازة اعياد الميلاد بفترة قصيرة قررت أن انطلق الى العالم . واخترت نيواورليانز كمكان أذهب إليه وذلك لسببين : أولهما أنى لم أذهب إلى هناك من قبل ، ثم أني وفرت نقودا كافية تقودنى الى ذلك البعد .

بدأت أقلل وجباتى يوما بعد يوم لمدة أسبوعين . وحيث فشلت فى الحصول على عمل على ظهر سفينة كعامل شحن . ذهبت إلى بوجولوسا فى ولاية لويزيانا بحثا عن عمل . كانت البلدة على شاطىء نهر بيرل وكان بها ورشة كبيرة لنشر الخشب . كانت البلدة كغيرها فى تلك المنطقة ذلك الوقت مقرا لاضطرابات عمالية ، وكانت هناك يافطة كبيرة على طريق السكة الحديدية تطلب من العمال ومحرضيهم الذهاب الى مكان آخر او التعرض للاعتقال .

هذا التحذير العام لم يعن شيئا بالنسبة لى ، وكنت متأكدا بأنى سأحصل على عمل فى بوجولوسا . فى الساعة السادسة

صباحا كنت على باب مكتب العمل فى منشرة الخشب . وتكرر ذلك لمدة ستة أيام ووزنى ينقص بسرعة ، فى نهاية موسم الكرة كنت أزن ١٧٧ رطلا والآن وصل وزنى إلى ١٣٤ رطلا ، وحتى لو حصلت على عمل فى الورشة فلن استمر لفترة معقولة

وجدت نفسى مقادا تحت الحراسة من رجلين صامتين ، لم أعرف السبب وفكرت ربما لأننى لم أدفع أجرة غرفتى لمدة أسبوع ، وفى خلال دقائق قليلة وجدت نفسى أقول اسمى وسنى الى شخص يجلس الى مكتب حجز ثم وجدت نفسى فى إحدى زنزانات سجن المدينة ، عالية السقف ، بعد ذلك ، حين أتيح لى وقت لأفكر فيما حدث . تذكرت أن الضابط فى غرفة الحجز أشار بملاحظة عابرة الى أن عمال العالم يضمون اليهم عمالا صغارا لم يرتدوا بعد سراويل طويلة .

كانوا يزودوننى بالطعام مرتين فى اليوم ، يأتى به حارس زنجى فى منتصف العمر يدفع بالوعاء عبر القضبان بلا تعليق . وكلما مر بى ناديته وسألته :

ـ لماذا يسجنوننى ؟

وكان يجيب بسرعة فى كل مرة :

ـ عليك بسؤال البيض .. فهم لايخبروننى بشىء ، أنا لا أعرف شيئا .

أنا أعرف شعورك لأنى أحس وكأنى مسجون هنا طول حياتى .

كما كان من العبث محاولة جذب انتباه أحد من الغرفة

الأمامية فى السجن لسؤاله عن سبب سجنى ومتى سيطلق سراحى ، وكان من عادة السجان أن يخبط بشدة الباب الحديدى حين يزعجه أحد فى الزنزانة .

بعد ثلاثة أيام بلياليها بدأت أعتقد أنى لن أخرج أبدا ، أعطانى شاب فى العشرين من العمر يقيم فى الزنزانة المجاورة ، مظروفا ، وحصلت على ورقة وقلم من شخص آخر .. وكتبت خطابا لوالدى أخبره فيه بمكانى وتوقى للخروج والعودة الى البيت ، كان معى خمسة سنتات من أجل طابع البريد ، نصحت ألا أعطيها للسجان إذا أردت أن يصل الخطاب ، وكان الزنجى خائنا أن يقوم بالعمل .

تسلقت الى أعلى الزنزانة وتعلقت بقضبان النافذة الوحيدة الصغيرة وانتظرت أن يمر أحد فى الخارج ، لم يكن هناك شارع فى تلك الناحية فى السجن ، قطعة أرض خراب تغطيها الأعشاب ونادرا ما يمر شخص هناك قبل الغروب بقليل رأيت صبيا زنجيا صغيرا يلعب فى الجانب الآخر فى قطعة الأرض ، ناديته عدة مرات قبل أن يغامر بالاقتراب من السجن .

كان الولد وهو فى حوالى الثامنة او التاسعة من العمر ، واجفا من أى شخص يناديه من نافذة السجن . وكان علىّ أن أقنعه بأنه لن يقع فى اية متاعب إذا انصت لما اريده منه .. وأخيرا وعدنى بصدق أن يشترى طابع بريد ويرسل الخطاب .. أعطيته النقود وقلت له أن الباقى له وأيضا "أبزيم حزامى" المطلى بالفضة الذى حصلت عليه من الكلية . جرى

الولد فى الظلام بعد ذلك واستلقيت مستيقظا طوال الليل أصلى صامتا لعل الرسالة أن ترسل .

عند حلول ظلام اليوم الرابع جاء رجل طويل مع السجان الى الزنزانة ، قال أنه سكرتير جمعية الشبان المسيحيين ، وأخبرنى أنه سيطلق سراحى فورا ، فى دقائق معدودة كنا نركب عربة الى مبنى جمعية الشبان المسيحيين ، كانت هناك وجبة على المائدة ، وبعض الملابس النظيفة لألبسها .

بعد حمام ساخن ، ارتديت الملابس النظيفة وأجهزت على الطعام . أثناء تناولى الطعام أخبرنى سكرتير الجمعية أن أبى قد تسلم خطابى وأنه قد أرسل لى اجرة عودتى بالقطار برقيا ، وأضاف أن القطار سيغادر بعد حوالى ٤٥ دقيقة .

كنت أول مسافر يركب القطار عند وصوله المحطة ، وكان آخر شىء رأيته فى بوجولوسا اللوحة المضيئة وعليها التحذير .

وصلت البيت فى أصيل اليوم التالى ، حين نزلت من القطار . وجدت أبى فى انتظارى ، صافحنى مبتسما دون أن يبدو عليه الضيق ، كنت سعيدا برؤيته ، واستطيع أن أذكر شيئا واحدا قاله ونحن على الطريق الرملى المشجر من الجانبين فى اتجاه منزلنا .

ـ ما رأيك فى لويزيانا يابنى ؟ لا يوجد مكان مثل مكاننا هذا فى كل الولايات . أليس كذلك ؟

٦

في ابريل ، أخرجت آلتى الكاتبة من الدولاب ، وبدأت أكتب وأرسل مقالات إخبارية الى الجرائد الصباحية فى ماكون واوجستا واطلانطا . ووجدت أن ما ارسله متعلقا بالمواليد والوفيات والأحداث ينشر بشكل أكبر واسرع مما كان يحدث فى السنوات السابقة ، ولكنى ادركت أنى أفتقد حياة الكلية ورغبت فى العودة اليها .

ولقد كان مفهوما بلا نقاش ، أن والدى لا يستطيعان أن ينفقا على دراستى فى جامعة جورجيا ، ومع ذلك لم أكن أقنع بأقل من فرصة تقدمها جامعة كبيرة بدأت ابحث وأسعى للحصول على ما أريد ، وبعد دراسة عدد كبير من الكاتالوجات والنشرات وبتشجيع من والدتى قررت أن التحق بجامعة فرجينيا . ولقد كانت صدمة حقيقية أن أعلم أن الرسوم السنوية لما هو ليس من مقاطعة فرجينيا تتجاوز عدة مئات من الدولارات ، كما أن أجرة أرخص غرفة أمكننى الحصول عليها هناك كانت ضعف ما كنت أدفعه فى ديوديست ، مصاريف التعليم والمصروفات اللازمة للالتحاق بالجامعة كانت تقريبا ١٢٠٠ دولار سنويا ، قال والدى أنه يمكنه توفير ثلث هذا المبلغ ، كان سجلى التعليمى لايمكننى من الحصول على منحة تعليمية . لكنى اكتشفت أن هناك نوعا آخر من المنح

الدراسية يمكن الحصول عليه وبمواصفات لا تلقى اعتبارا كبيرا للدرجات وتغطى التعليم كاملا ، كانت المنحة تقدم من اتحاد بنات الولايات ـ الولايات التى انفصلت عن امريكا وتسببت فى الحرب الأهلية ـ الى الطالب الذى يقيم فى جورجيا . ويثبت أنه من أب وأم لجندى من جنود الاتحاد اشترك فى الحرب بين الولايات ، والمنحة لم تمنح لسنوات عديدة ولكنى لم أتردد فى إحياء الموضوع ، وأظن أن الاتحاد سيدهش إذا علم أن المنحة مازالت يمكن أن تقدم ، واستطعت أن أثبت أحقيتى وحصلت على المنحة .

دخلت جامعة فرجينيا فى سبتمبر سنة ١٩٢٢ ، وفى خلال وقت قصير حصلت على عمل ، من الساعة السادسة مساء وحتى منتصف الليل كموظف يتلقى النقود لدخول قاعة سياحة قرب الحرم الجامعى . ساعدتنى الدولارات الستة التى اتلقاها كأجر اسبوعى مع النقود التى يزودنى بها أبى على دفع أجرة غرفتى وثمن الطعام والكتب والملابس .

أكثر الموضوعات التى أثارت انتباهى فى فرجينيا كانت اللغة الانجليزية وعلم الاجتماع . وبعد زيارات عدة الى مستشفيات الولاية ومنازل المسنين فى المقاطعة ومؤسسات مشابهة ، بدأت أكتب عما آراه : فى البداية كتبت تقاريرا واقعية جدا تشبه التحقيقات التى كنت أرسلها الى الصحف ، ولكن بالتدريج بدأت استخدم المادة نفسها كوحى لكتابة اسكتشات وقصص قصيرة . بعد ذلك اهتممت اكثر بالتعبير عن انطباعاتى الشخصية بدلا من انشاء موضوعات كتلك التى

عينتها مناهج اللغة مثل "ماذا يعنى وردثوردلى أو الانسانية كما جاءت فى شعر شعراء البحيرة" .

أصبحت الكتابة تستغرقنى ، وبدأت أجرب أشكالا عدة منها وبدأت أكتب مقالات هزلية ، معظمها تنويعا على "هو وهى" الى مجلة "فرجينياريل" مجلة الجامعة الفكاهية ، وأمضى ادوارد ثيتينوس ، الذى كان فى مجلس ادارة تحرير المجلة ، وقتا طويلا فى مناقشة حول مايمكن تسميته بالفكاهة الراقية ، وربما لأن ارثر هوكنز كان يرسم للمجلة فقد أصر على أن تحتل الرسوم الفكاهية أكثر من نصف المجلة ، واستمرت المطبوعة تظهر وهى تحتوى من المساحة الفنية ضعف ما هو مخصص للمادة الأدبية ، وما لم استطع نشره فى المجلة كنت ارسله الى مجلات فكاهية لها توزيع على مستوى الولايات ، وكانت تنشر فى معظم الأحيان ، أما المكافأة التى كنت أتلقاها فكانت عادة دولارا واحدا عن كل فكاهة تنشر .

طلاب عديدون فى الكلية ، كانوا يؤلفون كتبا . لكنى ترددت فى المحاولة ، أحد الطلبة كتب رواية وآخر ديوان شعر ، أحد الطلبة وكان يدعى "جوردون لويس" ويملك مكتبة قرب حرم الجامعة شجعنى بقوله أنه على استعداد لنشر كتاب لى ، إذا كان هذا الكتاب جديرا بالنشر ويعد بتوزيع معقول .

ولرغبتى فى تعلم كتابة الرواية ـ لكى أطبعها عند جوردون أو أى ناشر آخر ـ بدأت أغير فى المناهج التى أدرسها وأترك الجامعة فترات طويلة فى بحثى عن طريق للكتابة .

عرفت كيف أريد أن أكتب ، وماذا اريد أن أكتب ، أردت أن أكتب عن الناس الذين أعرفهم كما يعيشون ويتحركون ويتحدثون فى الواقع .

وخلال السنوات الأربع التى قضيتها فى الجامعة ، منتظما ومنقطعا ، عملت موزعا للبن لفترة فى واشنطن ، وقضيت عدة أشهر أعمل فى محل لبيع عصير البرتقال فى فيلادلفيا ، ومدة أربع أشهر موظفا أحرس معدات وأدوات مختلفة من اوان زجاجية وفخارية فى بدروم مخزن فى بنسلفانيا .

وأخيرا ، فى ربيع سنة ١٩٢٥ شعرت أنى لم أعد استطيع الانتظار لبدء العمل جديا فيما أردت أن أكرس له حياتى . كان عمرى ٢١ سنة ومازالت هناك سنتان لتخرجى ، تركت "شارلوتزفيل" وسافرت الى جورجيا وقدمت طلبا للعمل فى صحيفة "اطلانطا" . لم يكن لدى الطموح لأتخذ من الصحافة حرفة حياتى ، لكن العمل فى الصحيفة هو الكتابة ، وذلك ما أردت أن أتعلمه .

لم يكن "هنتربل" المسئول عن الصحيفة متحمسا لتوظيف أى خريج حديث من الكلية ، لكنه وافق على تعيينى كمحرر تحت التمرين بمرتب عشرين دولارا فى الأسبوع .

شكرته بحرارة لاعطائى هذا العمل واخبرته أنى سأحضر بعد ثلاثة أو أربعة أيام لأبدأ العمل .

كنت قد عبرت منتصف الغرفة فى طريقى للخروج حينما صاح بى :

ـ هاى .. تعال هنا .. ما هذا الذى تقوله عن بدء العمل بعد ثلاثة أو أربعة أيام ؟

أخبرته أنى أود أن أعود لأحزم حاجاتى وأحضرها الى اطلانطا .

ـ سأل باهتمام : أى حاجات .

ـ حسنا . بعض الكتب وقليل من ..

ـ كتب ! لو عرفت أنك تهتم بهذه الكتب المحشوة بالسجق أكثر من اهتمامك بالصحافة لما استخدمتك . اعتقد أنى سأرجع فى كلامى .. أنا أريد محررا لا دودة كتب .

قلت بصوت صاغر : وهو كذلك يامستر بل . سأمكث وأذهب الى العمل حالا .

ـ ذلك أصوب يا كالدويل .. ابحث عن آلة كاتبة واتصل بكل الحانوتية فى البلدة واحضر بعض التأبينات .

٧

كان هناك الكثير لأتعلمه وما لا أتعلمه ايضا عن كتابة قصة خبرية بسيطة . كان علىّ أولا أن أنحى جانبا الكتابة التى تهتم بالكلمة والتى تعودتها أثناء عملى كمراسل منذ عدة سنوات . ثم كان علىّ أن أكتسب المهارة فى كتابة ما يعتبره هنتربل مقالة خبرية مقروءة .

كان المحرر المسئول عن الحوادث يبدأ القراءة بأن يحرك بسرعة قلما من الرصاص مبرى جيدا على ٣٠٠ أو ٤٠٠ كلمة تكون قصة حريق أو حادثة ، حتى لا يبقى أكثر من ١٢ سطرا . ثم يعيدها لى قائلا أنه يمكن أن يقبلها إذا أعدت صياغتها فقط فى نصف حجمها .

كان هذا منهجا واقعيا وعمليا فى الكتابة ، يختلف تماما عن أى شىء تعلمته فى مناهج اللغة ، ومنذ ذلك الحين كنت سعيدا بأن شيئا ما قد دفعنى أن أذهب للعمل فى الصحافة .

أحد أول المهام الاخبارية لى فى جريدة اطلانطا ـ عدا الاتصال بالمشارح وكتابة عمود من النعى يوميا لمدة سنة ـ كان ذهابى الى فندق رخيص فى المدينة لاكتشاف كيفية موت أحد الأشخاص هناك . حين وصلت الى العنوان فى شارع مارياتا كان البوليس يجرى تحقيقاته ، وكانت المعلومة

الوحيدة لدى البوليس هى اسم الرجل الذى سجله فى الفندق الليلة السابقة ، وقرر البوليس أن الاسم زائف ، وأمر بأن تنقل الجثة وهى لعامل كما يتضح من لباسه ، وكان قد مات بطلقة من مسدس ، الى المشرحة وأغلقت القضية .

بعد أن غادر البوليس الموقع ، سألت موظف الفندق إذا كان يعرف سببا لانتحار الرجل .. كان لدى الموظف فكرة محددة . قال : أليس الوقت صباح الأثنين .. ألا تدرى ماذا يحدث عادة فى يوم العودة الى العمل ؟ سأخبرك .. ذلك الرفيق الذى حملوه من هنا شعر كما يشعر كل الفقراء حين يستيقظون مفلسين صباح الأثنين وقد انفقوا كل ما قبضوه فى الأسبوع السابق ، لقد قرر أنه قد شبع من كل ذلك . إنه الاثنين الحزين ياصديقى ، وذلك هو الوقت الذى يسحبون فيه مسدسهم الصغير القديم وينسفون أنفسهم مغادرين إلى العالم الآخر .

سألته : هل حدث مثل هذا فى الفندق من قبل ؟

قال : هل حدث ؟ أعمل هنا منذ سنتين وغالبا ما يحدث مثل هذا الأمر حتى إنى أكره أن أستيقظ صباح الأثنين حتى لا أرى ما فعله هذا اليوم بشخص ما . ستجدنى فى يوم ما قد تركت العمل هنا وعدت إلى جنوب جورجيا حيث الناس هناك لايعرفون ماهو الأثنين الأسود .

عدت إلى مكتبى فى الجريدة ، وبدأت أكتب عن رجل بائس مفلس فى اواسط العمر شعر بأن الحياة تعامله بقسوة ، ففقد

الرغبة فى أن يستمر كمخلوق فى عالم قاسى القلب بلا مشاعر أو عاطفة .

بعد ساعتين أو أكثر كنت قد كتبت عدة صفحات . عند الظهر خرج هنتر للغداء . فى طريق خروجه توقف وقرأ ماكتبته . حينما انتهى اشعل سيجارا . وقال : ربما لاتعرف ياارسكين أن طبعة الظهر فى الشارع الآن . وأن الطبعة الأخيرة ستظهر خلال ساعات قليلة ، ومن المخجل أن تؤخر الصحيفة بسبب الحادثة التى ارسلتك لتحصل على تفاصيلها فى التاسعة صباحا . لقد قررت أن أخرج بعد ظهر هذا اليوم لأذهب إلى حديقة جرانت وأجدف قليلا فى مركب ، تلك هى المتعة الوحيدة التى أحصل عليها فى حياتى وأنا متأكد أنى أكره أن أفقدها .

حاولت أن أوضح له أنى استغرقت كل الوقت فى كتابة قصة ذلك الرجل الذى قتل نفسه فى الفندق قائلا :

ـ إنها قصة كبيرة ياهنتر . هذا الرجل اطلق الرصاص على نفسه بسبب الأثنين الأسود .

ـ ياه .. وماذا تفعل ؟ تكتب ترجمة لحياته ؟

ـ لكنها قصة جيدة . هاهو رجل عادى مثلى ومثلك استيقظ هذا الصباح وقتل نفسه بسبب الأثنين الأسود .

قال وهو يومىء ببطء : ماذا سيكون لون يوم الثلاثاء بالنسبة لى إذا فصلنى مدير الادارة لأنى لم أوزع هذه الصحيفة فى الشارع فى موعدها .. لأننى أخرتها منتظرا لتكتب قصة .

أمسك التليفون واتصل بادارة البوليس .. بعد دقيقة وضع السماعة وصاح : لا اسم لاعنوان لاقصة .

وأنتزع الورقة من الالة الكاتبة والقاها فى سلة المهملات . والأن اكتب نصف عمود عن رجل مجهول وجده البوليس منتحرا فى غرفة فندق فى شارع ماريانا هذا الصباح ، ذلك كل شىء .

حينما اريد قصة عاطفية فسأرسل ميجى ميتشل لكتابتها . كانت مارجريت ميتشل فى ذلك الوقت كاتبة متميزة بين محررى عدد الأحد من المجلة وكان مكتبها يقع فى دور آخر من المبنى . واستخدم هنتر وسائل مختلفة فى محاولة لاقناع ميجى أن تكتب قصصا خاصة له ، ورغم أنه نادرا ما نجح فإنه رفض التوقف عن المحاولة ، فهو يعتبرها أفضل كاتبة للقصص المتعلقة بالاهتمامات الانسانية فى الصحيفة .

وأخبرنى فرانك دانيال وهو صحفى يقع مكتبه بجانب مكتبى أن مارجريت ستستقيل وتترك العمل الصحفى لتتفرغ لكتابة رواية وهى تخطط لذلك منذ سنوات .

ورفض هنتر أن يصدق ذلك ، حتى جاء صباح ولم تحضر . كل ما علق به آنذاك أن كتابة الكتب وظيفة كالرقص على السلم ، وأمل ألا يقع أحد آخر من محررى الجريدة فى هذه الغلطة .

وحتى لو كانت مارجريت لاتملك شخصية مبهرة ولاطريقة

فى الحديث جذابة ولاشكل خلاب لظللت متأثرا بها . أكبرتها لأنها تملك الثقة الكاملة فى نفسها لترك عملها لتكتب كتابا ، وتساءلت فيما إذا كنت قادرا على إتخاذ قرار مشابه .

لم أبد لهنتر شيئا عن طموحى لكتابة كتاب ، لأنى أعرف رد فعله ، ومع ذلك كنت أفكر فى الأمر أكثر وأكثر طوال الوقت . على اية حال استقالت مارجريت ميتشل ، وبعد عشر سنوات من العمل نشرت روايتها "ذهب مع الريح" سنة ١٩٣٦ .

فى ذلك الوقت ، خريف وشتاء ١٩٢٦/٢٥ ، اتيحت لى الفرصة أن ألاحظ ، نوعا ما عن قرب ، التقدم اليومى لكاتبة انهمكت بنشاط فى مهنة الكتابة الروائية ، كنت قد تأثرت بشدة بكتاب " تغيرات القصة القصيرة " الذى نشرته فرانسيس نيومان فى السنة الماضية ، والآن يحضر فرانك دانيال كل يوم تقريبا ولمدة عدة اشهر نسخة من صفحة من الرواية التى تعمل بها الى الجريدة ، وقد كان صديقا مقربا لها . كل صفحة كانت جهد يوم كامل فى روايتها :
The hard Boiled vir gin

وكانت الصفحة مطبوعة بعناية شديدة دون تصويبات ، تبدو وكأنها كتبت بسهولة ودون مراجعة شاقة ، ولكن فرانك أكد لى أنها النتيجة النهائية لعمل يوم كامل من اعادة واعادة الكتابة .

كنت أعود الى البيت مساء واكتب قصصا قصيرة وارسلها بالبريد الى محررى المجلات بنيويورك ، كانت تعاد الىّ عادة بلا تعليق وبسرعة ملحوظة بغض النظر عن المرات التى أعدت

فيها كتابتها ، تسلمت قصاصات رفض عديدة متنوعة ، وطريفة حتى أنى بدأت أكون مجموعة منها احتفظ بها ملصقة فى البوم جمع الطوابع . العزاء الوحيد الذى خرجت به منهم ، ولسنوات عدة ، هو تخيل كمية النيران التى يمكن أن تصدر عنهم حين أحرقهم فى الوقت الذى تقبل فيه أول قصة قصيرة لى وتنشر فى مجلة .

٨

قبل نهاية سنة ١٩٢٥ كتبت الى عدد من الجرائد فى الاياما وجورجيا وكارولينا اعرض عليهم كتابة مراجعات لصفحة الكتب لديهم ، طلب واحد لقى الموافقة وكان ذلك فى خطاب سريع متحمس من كوراهاريس محررة صفحة كتب يوم الأحد فى جريدة شارلوت اوبزرفر .. قالت كورا أنها تبحث منذ فترة طويلة عمن يساعدها فى مراجعاتها للكتب ، وأنه يسعدها أن ترسل لى بعض الكتب لكتابة تعليق عليها ، وأنها أرسلت دستة منها فى البريد فى اليوم نفسه . وعبرت عن اسفها أنها لاتستطيع أن تدفع مقابل هذه المراجعة ولكن يمكننى الاحتفاظ بالكتب بعد كتابة التعليق عليها .

كنت أعانى بعض المتاعب المالية لدفع الأجرة وأشياء أخرى وكنت أمل فى كسب بضعة دولارات اسبوعيا إضافة الى مرتبى . وأخبرنى فرانك دانيال أنه يمكننى بيع بعض الكتب التى اراجعها خاصة تلك التى لا احتاج اليها .. ووافقت على المساهمة فى مراجعة الكتب فى جريدة الاوبزرفر . وفى فترة قصيرة كنت أكتب تعليقا حول دستة من الكتب اسبوعيا ووجدت أنى كلما راجعت عددا أكبر من الكتب أرسلت لى الصحيفة كمية أكبر . بعت عددا من القصص البوليسية والروايات الغامضة الى مكتبة تشترى الكتب القديمة بربع دولار للكتاب ، لكنى احتفظت بالقسم الأكبر من الكتب .

بعد حوالى ثلاثة أو أربعة أشهر كان لدى بضع مئات من الروايات وكتب الشعر والتراجم والمختارات وكتب فى جميع الموضوعات المعروفة .

وكان من دواعى سعادتى أنى تسلمت خطابا فى اوائل سنة ١٩٢٦ من كورا هاريس تخبرنى فيه أن مراجعاتى تنشر كل أحد ايضا فى جريدة هاوستون بوست بالاضافة إلى شارلوت اوبزرفر ، وتخبرنى أن أتوقع استلام كتب أكثر لمراجعتها فى المستقبل . وانتابنى شعور بأنه مادامت مراجعاتى تنشر فى أكثر من صحيفة فمن المؤكد أن أتسلم مكافأة عنها يوما ما .

وبدأت الكتب تصلنى عدة مرات اسبوعيا ، وإمتلأت غرفتى حتى السقف بها ، ومع توقعى وأملى فى اليوم الذى استلم فيه ولو مكافأة رمزية عن مراجعاتى ، بدأت أقرأ بسرعة أكبر من ذى قبل ، أو أدقق تماما فيما كتب على ظهر الغلاف ، واكتب ملاحظات مختصرة . ومع ذلك لم يصلنى أى مبلغ .

ولأنى أكتب الكثير من التعليقات حول الكتب ، فإن كتابة تعليقين آخرين أو ثلاثة لن تسبب لى جهداً كبيرا ، وهكذا بدأت أكتب تعليقات فى صفحة الكتب يوم الأحد للجريدة التى أعمل بها .. ودفعوا لى بمقابل ذلك دولارين أسبوعيا .

بعد ستة أشهر ، رفع هنتر بل أجرى الأسبوعى خمسة دولارات ، كما أصبحت مشتركا فى رابطة المحررين المحلية وبذلك ارتفع مرتبى الأسبوعى إلى خمسة وعشرين دولارا .

اختبار اشتراكى فى الرابطة كان كابوسا رهيبا ، تضمن

انتفاضة رهيبة لمجندين ضد السلطة فى قلعة ماكفرسون وهى قاعدة عسكرية قرب اتلانتا ، والاصابات القاتلة لعدد من الأبرياء بينهم ـ كما قيل ـ حاكم جورجيا وعمدة اتلانتا ونجم كرة سلة فى اتلانتا وممثلة زائرة من هوليود ، كل هذا أختلق فى الطابق الأسفل عند لوحة الاتصال التليفونى من مجموعة من محررى قسم الرياضة وذلك بالخبط على فوهة التليفون بقلم رصاص . وعند الساعة الثانية صباحا كنت قد غيرت الصفحة الأولى من الطبعة الأخيرة لعدد الاحد تماما ، متضمنة قائمة القتلى من الشخصيات المعروفة ، والتقارير الحية للزوجات المصابات بالهستيريا ، وتقارير من الجهات الطبية ، واستنكار الغرفة التجارية للحادث المأساوى ، ولم ينته الأمر إلا حينما شعر محررو القسم الرياضى بالتعب واتصلوا ليضعوا نهاية للخدعة فى الثالثة صباحا ، ووجدت نفسى قد اجتذت اختبار الاشتراك فى الرابطة .

حين وصلت العمل صباح الأثنين ، أخبرنى هنتر بل دون تعليق عما حدث مساء السبت ، أن أسرع الى كمبل هاوس وهو فندق قريب لأغطى مؤتمر الصفوةECLECTIC ، وسألته إذا كان يعنى مؤتمرا كهربائياELECTRIC ، قال دون أن يرفع رأسه عما يقرؤه " يجب أن تعرف ما هى الصفوة ياارسكين .. هؤلاء الناس دكاترة وليسوا كهربائيين " .

مازال هنتر لا ينظر مباشرة الى وجهى ، وتأكد لى أنه يحاول إطالة فترة اختبار الاشتراك فى الرابطة ، وكنت مصمما ألا أستغفل ثانية بقصة كاذبة .

فى طريقى الى الفندق توقفت عند مطعم وتناولت افطارا ثانيا ولمعت حذائى ، وشاهدت مجرفة بخارية تحفر أساسات بناية جديدة ، وبعد ساعة تقريبا ، دخلت الفندق وجلست فى مؤخرة الصفوف فى المؤتمر المعقود . شاهدت الافتتاح عن بعد ، وقد استغرق حوالى نصف ساعة ، وقررت ـ حيث أنه لم تلق أى كلمات ـ أن جلسات اللجان قد بدأت ، فمعظم الحاضرين كانوا يجلسون فى جماعات صغيرة يتحدثون ويضحكون ، كانوا رجالا كبارا فى السن وبملابس محافظة . بدوا كرؤساء الشركات أو ما شابه .

بعد حوالى ساعتين من الغداء اتصلت بهنتر وابلغته أن أحد رجال المؤتمر اخترع مصباحا كهربيا يقال أنه أكبر تقدم علمى فى حقله منذ توماس اديسون . وسألته كم طول القصة التى يريدها حول هذا الموضوع ، واخبرته ألا ينسى إرسال مصور لالتقاط صورة للمصباح الجديد .

حين انتهيت من كلامى ، ساد صمت طويل قبل أن اسمع صوت هنتر يقول : أين أنت الآن ياارسكين ؟

ـ فى فندق كمبال .
ـ هل كنت فى المؤتمر طوال النهار ؟

اخبرته أنى كنت خارجا داخلا هناك طوال اليوم .
سأل بضيق : خارجا وداخلا أين ؟

ـ المؤتمر الكهربائى .
ـ وماذا عن مؤتمر الصفوة الذى أرسلتك اليه ؟

ـ هنتر .. اتصدق أن هؤلاء الناس دكاترة .
ـ ماذا تفعل عندك طوال النهار ؟
ـ أحصل على القصة .

وأضفت بسرعة : لا تنزعج ياهنتر ، سأكتبها لك حتى لو مكثت طول الليل . لاتنتظرنى . اذهب الى نزهتك وجدف فى قاربك فسأعتنى بالأمر .

وضعت السماعة ، وبسرعة التقيت بعدد من ممثلى المؤتمر كل منهم اعترف بأنه طبيب أو اخصائى من الصفوة . بعد الحديث اليهم عدت وكتبت فى نصف عمود قصة تقدم النظام الانتقائى فى الولايات المتحدة وأثره على الحياة الانسانية .

فى الصباح التالى ، وبعد أن قرأ مدير الادارة قصتى فى الطبعة الأولى ، اعطى هنتر حفنة من السيجار ومدحه لكتابة القصة الوحيدة عن رجال الصفوة والتى استطاع أن يقرأها ويفهمها طوال خدمته فى الصحيفة .

٩

في منتصف سنة ١٩٢٦ قررت أن أتخذ خطوتى التالية ، وهى ترك العمل ومغادرة اتلانتا ، عملت فى الجريدة لمدة عام ، كتبت حوالي أربعين أوخمسين قصة قصيرة لم تنشر واحدة منها ، ولدى أكثر من الفين من الكتب أخذتها مقابل نشرى مراجعات لها فى الصحف ، بالاضافة إلى أنى وفرت حوالى ٢٠٠٠ دولار .

ولكن الأكثر اهمية من كل ذلك . كان فى الواقع وصولى الى قناعة خلال الأشهر الأثنى عشر الماضية ، أنى أريد أن أكون كاتبا محترفا اكثر من أى شيء آخر ، وكما عرفت فإن هناك نوعاً واحداً من الكتاب الاصلاء ، أولئك الذين يرون قصصهم منشورة .

لا أذكر الفترة التى أصبح فيها هذا القرار راسخا فى وعيي حتى غدا جزءاً مني ، ولكنى لم اشك للحظة فى قدرته او استعداده لمؤازرتي بعد ذلك . وبغض النظر عن حكمة وتجارب البشر ، فقد مضيت لترك عملي وتكريس كل وقتي لكتابة القصص والروايات ، ووعدت نفسى بأن إلتحاقي بأى وظيفة لاتتعلق بما عزمت عليه . سيكون مؤقتا ، ومن أجل أن أظل حيا فقط ، كي يضمنى سقف تحته ، وتسترنى هدمة معقولة وقررت خمس سنوات قادمة لتحقيق طموحى مع

التحفظ أنه من الممكن أن احتاج خمس سنوات أخرى إذا كان ذلك ضروريا ، ولم تكن لدى أدنى فكرة عن كيفية اعالة نفسى وتلبية الاحتياجات الضرورية حتى يحين الوقت الذى أكتب فيه ادبا يدفع فيه المحررون ثمنا . لكن ذلك لم يبد لى مهما آنذاك ، فقد كان لدى اقتناع أنى سأجد الوسيلة حين تشتد الحاجة .

بعد وصولى الى القرار ، والزامى العقل ألا يجرفنى أحد عنه بدأت أفكر فى المكان الذى سأقيم فيه . أمضيت عمرى السابق فى الجنوب ما عدا عدة أشهر قضيتها فى بنسلفانيا ، وأردت أن أذهب إلى مكان أجد فيه منظورا جديدا ومختلفا ، عزمت على الكتابة عن الحياة فى الجنوب كما خبرتها ، وبدا لى أنه يمكن تصويرها أفضل اذا نظرت اليها عن بعد . لم يكن السفر الى الخارج متاحا لى ، وأردت أن أعيش بهذه الشروط داخل الولايات المتحدة مع مراعاة مكان ذى نفقات معيشة منخفضة . بدت لى ولاية " مين " بعيدة على الخريطة وتحقق المطلوب ، فقررت أن أتجه الى شرق الولايات هناك .

بدأت أحزم كتبى فى صناديق خشبية تمهيدا لشحنها عن طريق النهر ، لم أكن أعرف ماذا يمكننى أن أفعل بألفين من الكتب خاصة وقد قرأت مايهمنى منها ، ولكنها كل ممتلكاتى وهى أكثر قيمة من أن تترك أو تباع بسعر رخيص .

ورغم أن فرانك دانيال ذا شكوك ومخاوف فأنه لم يشر بأنى قد اتخذت خطوة خاطئة أو غبية . بل قال أنه لو شعر بأن لديه القدرة على كتابة الروايات بنجاح فستكون لديه الشجاعة لفعل ما أود أن أفعله .

ومن ناحية أخرى ، فإن هنتربل حذرنى مما سأتوقعه إذا أصررت على تهورى هذا ، ووصف لى مستقبلا بائسا لأولئك التعساء فى الحياة الذين يتوقعون أن يأكلوا ويعيشوا ويسيروا دون مظلة عمل تؤمن لهم ذلك .

بعد أن قدمت انذار ترك العمل بعد اسبوعين ، ظل هنتر يحاول معى حتى أغير رأيى ، وكلفنى بعدة مهمات صحفية ، يخيل الىّ أنها محسوبة ، ليرينى مقدار ما أفقده إذا تركت الصحيفة ، إحدى هذه المهمات هى تجهيز قسم خاص لطبعة الأحد خصص لتقديم حصر سنوى لانجازات المكتب السياحى فى اتلانتا وهى منظمة لاتستهدف الربح يمولها مجموعة من رجال الأعمال ومديرها "فريد هاو" الذى يرجع الفضل اليه فى اقامة عدد كبير من المؤتمرات فى اتلانتا كل عام .

صباح الأثنين التالى لظهور القسم الخاص فى الصحيفة ، والذى احتوى ـ ضمن شخصيات عديدة ـ صورة لطيفة للمدير " فريد هاو " جاء المدير الى غرفة التحرير ، وارسل هنتر عاملا يستدعينى ، كان وجه " هاو " مشرقا وقال لى بحماس وهو يصافحنى : ما هذا .. قسم خاص وصورة لطيفة فى مكان بارز .. وربت على ظهرى عدة مرات " أود أن أدعوك إلى الغداء يا ارسكين " .

هذا أحسن تحقيق كتب عنى يا كالدويل . لم يعرف الناس أننا نملك أفضل مدينة لعقد المؤتمرات هنا فى اتلانتا حتى

قرأوا ما كتبته أمس . وذلك يثبت لرجال الأعمال ماذا يعنى دعمهم لمكتب السياحة وفائدته لمصارفهم ، لقد وصلتنى مكالمات هذا الصباح بالفعل من رجال أعمال يتصفون بالعناد ، يريدون أن يستقلوا قطارنا الآن ، سأعمل على ملأ الفنادق بالمؤتمرات هذا العام وستراهم ينامون وأرجلهم تتدلى من النوافذ ، هيا نذهب إلى مطعم " راث " أنت ضيفى ياكالدويل .. اطلب ما تشاء ولا تلقى بالا الى التكلفة .

شكرته واخبرته أني سأقابله فى فندق "أنسلى" بعد الظهر .

بعد ذهابه ، جاء هنتر ليجلس فوق المكتب قائلا بجدية : أترى ياكالدويل . ذلك يريك مايمكن أن تفعله هنا . الصحافة تجعل الحياة تستحق أن تعاش . أليس كذلك ؟ أنت أذكى من أن تنصرف الى كتابة الكتب . إلكل يعرف أنها عمل من لا عمل له . عاطل معظم الوقت . والأصدقاء يخافون إقراضك بضعة دولارات لأنهم لا يثقون فى إمكانك أن تردها . سأعطيك ورقة الى الصراف ليصرف لك مقدم اسبوع فى أى وقت تحتاجه .

توقف عن الكلام لحظة ، راقبنى مليا ثم قال :
- هل أنت مصر على ترك كل هذا ؟
- أخبرته أنى سأفعل .

جذب عدة أنفاس من سيجاره ، واداره فى فمه عدة مرات واستمر فى النظر نحوى بتعبيرات لم تتغير .

قال بعد لحظات : ياه .. حسنا .. وداعا يا ارسكين .. آمل ألا تعانى من الآن فصاعدا . ولكن كن على ثقة دائماً أني أشعر بالأسى نحوك .

نهض وانصرف .
فى نهاية الأسبوع ، غادرت اتلانتا الى مقاطعة "مين" .

١٠

في بداية الصيف ، كانت مقاطعة مين عالما مفرحا وهى تقبع في صمت غاباتها ، وظلالها المنتشرة المريحة للنظر ، وتلالها المتموجة الجميلة كأنها جزر خضراء نضرة من أشجار الصنوبر والتنوب ، ومراعيها الخصبة التى تحدها النهيرات المتعرجة كأنها بسط خضراء ومياه البحيرات الهادئة ذات اللون الأزرق المخضر على الدوام ، والريف الممتد هادئا تسير فيه الحياة وادعة ، وقد انزاحت بعيدا كل أمراض وآلام المدينة ، وإذا كان على المرء أن يكتب فإن هذا المكان هو المكان المناسب بالتأكيد .

وقت الصيف فى مقاطعة مين ، كما علمت بعد ذلك ، كان فصلا قصيرا يستمر لأسابيع قليلة ، تتيح للمرء الاقتصاد والتدبير لفصل الشتاء من كل عام ، فذلك هو الوقت الذى يسعى فيه المرء للبحث وتوفير الأساسيات لراحته من الوقود والطعام لفترة الأشهر التسعة من البرد .

الطعام يعنى البطاطس ، وزرعت البطاطس ، والوقود يعنى الأخشاب ، وقطعت الخشب . قطع الخشب أصبح عملى فى النهار ، وكتابة القصص أصبحت عملى الليلى بالاضافة الى كتابة مراجعات للكتب لكورا هاريس ، وبدا النوم ـ لعدة أشهر على الأقل ـ رفاهية غير مقدور عليها .

لم يكن لدىّ سوى فكرة ضئيلة عن كمية الخشب التى تلزم لتدفئة بيت كبير من سبتمبر حتى مايو . مثل هذه البيوت التى يزيد عمرها عن قرن من الزمان أعدت لتستخدم للأقامة الصيفية ولم يكن يسكنها أحد فى الشتاء ، كان البيت باردا وجيد التهوية ومثاليا فى الصيف مما يبهج السياح والرحالة ، لكن المواطنين ينظرون الى هذه البيوت بازدراء وهم الذين يعرفون شقاء ليالى الشتاء الباردة التى تصل فيها درجة الحرارة تحت الصفر .

كان البيت مكوّنا من عدة غرف ، ومقاما على تل متوسط الارتفاع يقع بين بحيرتين فى بلدة فيرنون فى مقاطعة كينبيك ، وثلاث من واجهاته كانت معرضة لتساقط الثلوج فى الشتاء ، ولم يكن يوجد سوى مدفأتين فى غرفتين من غرفه الكثيرة .

سألت جارى ، وهو فلاح يدعى ارثر دولف ويعيش على بعد نصف ميل من بيتى كم كوردا (الكورد ١٢٨ قدما مكعبا من الخشب) من الخشب يعتقد انى احتاجها للشتاء . كان ارثر مقيما فى مين طوال حياته ، وأنشأ بيته المكوّن من خمس غرف ببعد نظر زودته به اقامته الطويلة هناك ، كانت الجدران والعلية معزولة لا تتسرب منها الحرارة ، والغرف صغيرة ومنخفضة السقف ، والحوش مغطى فى الشتاء بنشارة الخشب أو أفرع أشجار التنوب للوقاية من صقيع الأرض ، أما أكبر غرفة فى البيت فكانت مخزن الخشب وهى ممتلئة بالخشب الجيد طول السنة .

قدر آرثر ، بعد ما استعرض بحرص منشآت البيت الصيفى الكبير على التل ، ما احتاجه من الخشب بقوله " ربما من

١٨ ـ ٢٠ كوردا " وأضاف بحذر هذا مع الأخذ فى الاعتبار ، أنه لن يذيقنا شتاء قارسا ، آنذاك قد تحتاج الى ستة أو سبع كتل أكثر .

سألته : ما درجة الحرارة التى يصلها برد الشتاء هنا ؟
ـ عشرون تحت الصفر فى المتوسط .
سألته إذا ماكانت هذه الدرجة تستمر فترة طويلة .
ـ قال : لاتستطيع أن تحكم فى ولاية مين .
ـ وكم يستغرق قطع ٢٠ كوردا من الخشب وتخزينها .
ـ دون مساعدة من أحد ؟ .
أخبرته أنى سأقوم بذلك وحدى .
ـ ربما من الآن حتى يوم "جراوند هوج" .. وربما فترة أطول حسب الأحوال الجوية .
ـ إذن ربما يجب أن أبدأ من الآن .
ووافقنى آرثر على ذلك .

كان الرابع من يوليه حين بدأت أقطع أشجار التبولا وانشرها لتناسب حجم المدفأة ، كان خشب التبولا الأبيض ينمو أقرب إلى البيت من الأخشاب الصلبة ، وحيث أن الخشب المنشور يجب أن يجر أو يحمل أو يدحرج الى مخزن الأخشاب لمسافة ٣٠٠ ياردة ، فاقتصرت على قطع أخشاب التبولا وتجنبت قطع أخشاب الزان أو القبقب . وحين سقط الثلج بعد عيد العمال بقليل (عيد العمال فى أول مايو أو الاثنين الثانى من سبتمبر وهو يعنى هنا التاريخ الثانى) كان لدى حوالى عشر كوردات من خشب التبولا مقطوعة ومخزنة ، بدت كمية كبيرة من الخشب بالنسبة لشخص واحد وكنت

فخورا بما انجزته ، توقفت عن قطع الخشب آنذاك ، فعلى كل حال لم يكن هناك سوى مدفأتين .

حينمارأى آرثر خشب التبولا الأبيض فى مخزن الأخشاب ، هز رأسه وعلق "هذا الخشب الملعون لا يشتعل جيدا وهو أخضر ولا يستمر طويلا وهو جاف" "ربما العام القادم يمكنك أن تقطع أخشاب القبقب وتحتفظ بدفئك" .

مع بداية يناير ، كان معظم الخشب قد أحرق وكان الثلج أربعة أقدام فى الخارج ولكى نحافظ على الخشب الباقى ، أبقينا النار مشتعلة فى مدفأة المطبخ فقط ، وحينما يزحف الصقيع فى الليل كان صوت "طقطقة" الخشب وهو يشتعل كصوت طلقة المسدس أحيانا . كانت الليالى باردة تصل فيها درجة الحرارة الى صفر فهرنهيت وأحيانا تصل إلى اربعين تحت الصفر ، لكن النهارات كانت أكثر دفئاً .

كنت أكتب فى الطابق العلوى ، فى غرفة بلا مدفأة ، ألبس سويتر من الجلد فوقه سترة ، والف ساقى ببطانية وأنا أكتب على الآلة الكاتبة ، وأتوقف بين حين وآخر لأنفخ فى أصابعى المنملة ، بينما خارج النافذة تبدو مساحات لانهائية من الجليد الذى يصل الى الركبة فى ارتفاعه . كنت أعمل من ١٠ ـ ١٢ ساعة يوميا أكتب قصة وراء قصة ، أراجع وأصحح واكتب ثانية بتصميم الكلاب بغض النظر عن الوقت او الارهاق .

وفى فبراير غدت البرودة أكثر مما توقعت . كنت أرتعش فى الغرفة الباردة يوما وراء يوم ، كان بخار أنفاسى يتجمد على

زجاج النافذة ، وأصيب الجلد عند عقلات أصابعى بعضة البرد وأنا أحاول وأحاول لأجعل القصة تبدو كما اريدها أن تكون مسترجعا بحيوية الأيام المشمسة الدافئة لشتاء جنوب كارولينا وشرق جورجيا .

أثارنى آرثر دولف بدرجة صمته ، لم يتحدث الىّ منذ الأسبوع الأول من فبراير . فئران الحقول البنية التى جاءت الى قبونا فى نوفمبر لتقضى الشتاء ، رحلت مبكرا فى فبراير حين وصل البرد الى درجة لم تستطع احتمالها ، رحلت فى الليل الى دفء بيت دولف ، وكان يمكننا سماع أصوات الطلقات وهى تنفجر فى قبو ارثر ، عدة مرات فى الليل والنهار ، وهو يطلق على الفئران فى محاولة للتخلص منها .

قبل نهاية الشهر كنت أغادر إلى الجنوب ، وماكان يجب أن يقال منذ البداية ، أن المرء يستطيع أن يكتب فى مين إذا استطاع أن يحافظ على دفئه .

١١

القلق ، المشبع بشهوة التجوال ، والإحساس الذى لايمكن قهره للذهاب إلى مكان ما ، كان يبقينى فترة طويلة أحس بعدم الرضا . حين كنت فى السادسة وأعيش فى كاروليـنا الجنوبية ، ارتحلت عن البيت لأول مرة ، كنت هاربا لأختفى النهار بطوله وجزء من الليل فى اصطبل للخيل قبل أن يعثر علىّ والدى .

وحين كنت فى التاسعة ، أبيع الجرائد فى فترة ما بعد الظهر فى ستاونتون فى جورجيا ، ركبت قطارا ذات ليلة أحمل ملء ذراعى صحفا ، بدل العودة الى البيت أوقف القطار وابلغنى المحصل ألا أركبه ثانية لبيع الصحف ، وكلما كبرت ، وأنا الآن فى الرابعة والعشرين ، أضحى الأمر أكثر صعوبة فى إمكان البقاء فترة طويلة فى مكان واحد ، وكنت اتساءل ماذا يفعل الناس فى هذه اللحظة فى كل الأماكن الأخرى فى امريكا ، فى مئات القرى والمدن الصغيرة فى الريف ، وفى المدن المختلفة ، وتجتاحنى الرغبة فى أن أرحل لاكتشف مايفعلون .

إن استهلاك مؤونتنا من البطاطس وخشب التدفئة ، لم يكن بالنسبة لى سوء حظ ، فلدى الآن السبب الذى يجعلنى أغادر إلى مكان ما وتستطيع عربتى الفورد القديمة ذات السنوات

الخمس والتى اشتريتها من مدخراتى فى اتلانتا ، أن تنقلنى فى رحلة اخرى ، ربما أحد الأسباب التى دفعتنى لترك عملى فى الصحيفة بسرعة ، رغبتى فى أن أتمتع بحرية السفر حينما تسنح لى الفرصة ، وبدت لى عملية الكتابة انها لاتحتاج الى اقامة دائمة فى مكان واحد .

ذهبت الى شارتسفيل ثم الى اوجستا ، وعشت لعدة أسابيع فى كوخ مكون من غرفة واحدة فى الغابات الصنوبرية قرب مورانا فى كارولينا الجنوبية ، اتناول علبة من الفاصوليا باللحم ثلاث مرات يوميا واكتب من ١٦ ـ ١٨ ساعة ، بعد فترة ذهبت إلى بلتيمور وعشت هناك على العدس وكتبت عدة قصص قصيرة ، وحين نفدت نقودى رجعت إلى مين .

كان الوقت اوائل يونيه ، بدأت أقطع خشب الزان وانشره بحجم خشب التدفئة وأعرضه للريح والشمس ، أقطع الخشب فى النهار ، واعزق الأرض لاخراج البطاطس عند الشفق الارجوانى الذى يستمر فترة طويلة ، وحينما يأتى الليل اجلس للكتابة . فى ذلك الوقت من السنة ، وعلى خط العرض الذى تقع عليه الولاية ، كان النهار يبزغ فى الثالثة صباحا حيث أذهب للنوم لساعات قليلة ، كان الوقت يجرى بسرعة ، وكان هناك الكثير مما يجب عمله ، فكنت أوقف الساعة أو أعيد عقاربها الى الخلف وأنا أكتب على الالة الكاتبة .

كتبت عشرات من القصص القصيرة خلال الأشهر الأثنى عشر الماضية ، كنت أشعر أنى أتحسن أو أن القصص أضحت جذابة أكثر للقراء ، أصبحت متمكنا فى تشكيل

الأحداث الخيالية فى نوع من القصص تعطى التأثير الذى أردت أن أحس بها كقارئ ، حاولت أن أكتب وفى ذهنى أنى سأكون القارئ الوحيد للقصة ، معتقدا أن الكاتب نفسه لابد أن يسر من العمل قبل أن يفعل ذلك الآخرون .

كنت أفتقد الثقة فى مقدرتى على تحليل أعمالى القصصية كناقد ، وأن أحكامى لا يوثق بها ، لذا سعيت الى تكثيف المشاعر فى القصة موازنا بين تأثيرها العاطفى وتوازنها الداخلى ، وإذا اعجبتنى القصة ، بغض النظر عن عدم مطابقتها لطريقة القص التقليدى ، كنت أقتنع تماما بالنتيجة ، وأملت أن الوقت سيأتى حين يقبل الآخرون ، بما فيهم الناشرون ، أن هذه هى الطريقة الوحيدة الى يمكن أن تكتب بها هذه النوعية من القصص ، سواء بقلمى أو بقلم أى كاتب آخر لتنتج التأثير الذى تحتويه .

وبالنسبة لى ، كان على الدرجة نفسها من الأهمية ، اعتقادى بأن مضمون القصة ذو أهمية قصوى لبقاء التأثير فيها أكثر من الأسلوب التى كتبت به .

فالمضمون هو المادة الأساسية للخيال ، للأشياء التى يتحدث عنها الكاتب فى الحياة ، أفكار وآمال الرجال والنساء فى كل مكان ، واقعية الشخصيات الخيالية التى لم تعش ابدا على الأرض والتى تعطى القارئ الوهم بأنها حقيقية .

لم أكتب عن أناس حقيقيين إذن ، ولكن عن أفعال ورغبات أناس متخيلين ، الذين اذا صوروا فى قصة ناجحة او رواية

بدرجة مقنعة لبدوا أكثر واقعية من الناس الواقعيين بالفعل . وطبيعى أن كل الشخصيات الخيالية لدرجة ما مخلوقة من ذكريات وملاحظات عن أشخاص أحياء خبرهم المؤلف وإلا لما شابهت الأحياء إلا بدرجة قليلة .

وجاهدت ـ فى طريقة كتابتى ـ أن آخذ مباشرة من الحياة تلك الصفات والنعوت فى الرجال والنساء ، التى تنتج عند سرد النموذج الفعلى للشخصية التى أريد خلقها تحت الظروف التى أريدها ، ودائما تكون الشخصية الخيالية شخصية مركبة ونادرا ماتكون غير ذلك .

فى تلك الفترة ، ١٩٢٧ ، بدأت أتسلم من المحررين بعض الملاحظات القصيرة بدل ورقات الرفض المطبوعة ، رغم أن مجلة واحدة لم تقبل نشر قصة لى فإنه بين حين وآخر كنت أتلقى رفضا لقصة ما مع تعليق من المحرر عليها .

وكان هناك دائماً شىء ما يمنع نشر القصة ، أما أنها طويلة أكثر من اللازم ، أو مختصرة أكثر من اللازم ، أو مكتوبة بطريقة مبتذلة ، أو منافية لذوق قراء تلك المجلة المعينة ، أو واقعية اكثر من اللازم ، ومن المدهش هذا الكم من الأسباب الكثيرة المنطقية والمتكلفة التى يمكن أن ترفض قصة بسببها .

بالاضافة إلى هذا الرفض المهذب كنت أتلقى أحيانا النصائح ، ولست ضد النصيحة من حيث المبدأ مادامت تصب فى مجرى ما افعله أو أحققه ، ولكن بدا لى دوما أن

النصائح الى أتلقاها كانت بالتأكيد موجهة إلى شخص آخر ، وأنها وجهت لى بطريق الخطأ .

نصحنى أحد المحررين أن أقوم بدراسة فاحصة لنوع القصص التى تنشرها مجلته وأحاول أن أكتب مثلها . ومحرر آخر نصحنى بقوله أن هناك مستقبلا جيدا لكتابة مقالات فى موضوعات معينة لبعض المطبوعات التجارية كتزيين البيوت وتغطية الأرضيات ونماذج الأثاث المختلفة ، وأحد المحررين كلف نفسه بكتابة خطاب طويل ينصحنى فيه بالاقلاع عن كتابة القصة القصيرة قائلا أن من رأيه أنى لن استطيع أن أحقق نجاحا فى هذا المجال ، وأن إصرارى العنيد ربما يجعل فشلى المحقق صعبا على التحمل .

كل هذه كانت مراسلات ممتعة . واعطتنى شيئا ما اتطلع لاتسلمه بالبريد ، لكنها لم تكن مجزية ولا واعدة ، ولكى اجعل عدة عشرات من القصص تدور باستمرار على مكاتب المحررين كان من الضرورى الاحتفاظ بكمية من طوابع البريد ، بالاضافة إلى ضروريات الحياة مثل السكر والملح والأحذية التى لا أرغب أن تنقصنى ، وكنت حينما احتاج الى نقود ، الجأ الى الشىء الوحيد الذى يمكن عمله وهو أن أملأ حقيبتين من الكتب التى تسلمتها وقمت بكتابة مراجعات لها ، واركب الحافلة متجها الى مكتبة للكتب المستعملة فى بوسطن ، ربما لا أكون أنا الذى ابتدعت عملية بيع الكتب بربع دولار للواحد ، لكنى أعتقد أنى ساهمت فى المساعدة فى أن تبدأ هذه التجارة بشكل جيد فى بوسطن .

١٣

بعد ما وفرت خزينا جيدا كمؤونة للشتاء من خشب الزان والقبقب ، ذهبت ثانية الى فرجينيا وجورجيا وكارولينا لعدة أسابيع قضيتها فى الكتابة وعدت فى اوائل سنة ١٩٢٨ الى مونت فيرنون ، حيث قررت أن الوقت قد حان للتوقف عن كتابة مراجعات للكتب دون مكافأة لصحيفتى شارلوت اوبزرفر وهاوستون بوست ، ماحثنى على ذلك ايضا هو أن كوراهاريس كانت ستذهب فى اجازة سعيدة الى مكان ما لعدة أشهر وتتركنى مع العمل الروتينى لكتابة كل المراجعات أثناء غيابها . أعلمتها أن عليها أن تجد شخصا غيرى ليقوم بالعمل فى أسرع وقت ، كانت كورا شخصية مرحة جدا ومن السهل التعامل معها ، لكنى كنت أكتب عمودين أو ثلاثة اسبوعيا لمدة ٢٦ شهرا ، وبدأ الناشرون يشتكون من أن ملاحظاتى غدت قصيرة ومقتضبة دون ضرورة أو داع وأنى أضن على المراجعات بالوقت التى تقتطعه منى . وكان لابد أن يتوقف سيل الكتب التى كنت أتزود بها وتبلغ خمسة وعشرين الى ثلاثين كتابا اسبوعيا ، وهكذا بدأت أحصى ما عندى من كتب ، وأظهر الجرد أن هناك حوالى ٢٥٠٠ كتاب منوع من روايات الى كتب مختلفة طبع خلال السنتين الاخيرتين ، وكنت قد بعت مجموعات أخرى حملتها الى بوسطن بربع دولار للكتاب الى مكتبات بيع الكتب القديمة .

ووجدت أن بيع ٢٥٠٠ كتاب بربع دولار للكتاب شيء ، وبيعها بمعدل دولارين ونصف أو ثلاثة للكتاب شيء اخر ، وفكرت أني لو فتحت مكتبة في مكان ما وملأتها بالكتب التي عندي وبذلت جهدا لبيعها بسعرها المدون عليها ، فإنه بعد دفع أجرة المكان والنفقات الأخرى يتبقى مبلغا يمكنني أن أعيش عليه مدة سنتين لاحقتين على الأقل .

كذلك وجدت أنه كي يشترى ثلاثة أو اربعة من المتعلمين في مونت فيرنون ٢٥٠٠ كتاب بسعرها الرسمي قد يستغرق حياة بأكملها ، فبدأت أفكر في عملية بيع الكتب بالتجزئة في المدن القريبة : أوجستا ، ووترفيل ، ليويستون او بورتلاند ، وبدت بورتلاند كاختيار منطقي بسبب كثافتها السكانية وبدأت أبحث عن شخص ليدير المكتبة بينما امكث في البيت متفرغا للكتابة .

حينما انقشع برد الربيع ، ذهبت الى بورتلاند واستأجرت متجرا فارغا في شارع كونجرس قرب ميدان لونجفلو ، وعلقت يافطة المكتبة على الدكان ، ثم قمت برحلة اثر رحلة بالعربة الى مونت فيرنون ناقلاً الكتب والمتعلقات الشخصية لمسافة ٦٥ ميلا .

في الوقت الذي أصبح فيه العمل جاهزا في المكتبة ، كانت تزور بورتلاند فتاة تدعى ماريوري مورس من بروكلين ، قضت العام الماضي في سويسرا وأقنعتها ألا تعود إلى بلدتها وتبقى في بورتلاند لادارة المكتبة ، وهكذا مضيت الى البيت الذي استأجرته في كيب اليزابيث وجلست الى ألتي الكاتبة

مواجها الضباب المتغير والشمس الساطعة على شاطىء مين .

وبدا أن كل شىء يسير سيرا حسنا ، حتى بدأت كميات الكتب تتناقص بشكل مزعج ، وبدأت مارجريت تشكو من سياسة عدم تزويد المكتبة بكتب جديدة ، وقالت أنها لا تلوم الزبائن لقلقهم حين لايجدون الكتب التى يريدونها سواء الكتب الحديثة أو الكتب القديمة ، وبدأ العمل يتدهور بسرعة كلما اتسعت المساحات الفارغة على الأرفف ، وبدأ الزبائن القدامى بالتدريج يشترون كتبهم من مكان آخر فى ذلك الوقت كان أكثر من نصف الكتب قد بيع .

شككت أن مارجريت قبلت العمل معى بالدرجة الأولى كى تجد الفرصة لقراءة كل هذه الكتب الجديدة ، فقد بدأت الآن تذهب مرة أو مرتين فى اليوم الى مكتبة لاعارة الكتب فتستعير الروايات التى صدرت حديثا ، وحين يأتى زبون ليسأل عن كتاب معين كان باستطاعتها أن تحيطه علما بكل ما يتعلق بالكتاب ، سواء كان الكتاب يعجبها أم لا ، وتخبره برأيها فى المؤلف وإذا أبدى الزبون رغبة فى شراء الكتاب كانت تدله على المكتبة التى يستطيع الحصول عليه منها ، ولم تمض فترة طويلة حتى هددت بترك العمل إن لم أزود المكتبة بكتب جديدة .

فى هذا الوقت كان هناك القليل من الكتب فى المكتبة ، والقليل من النقود فى الجيب ، حتى أنه لم يكن هناك ما يكفى لدفع مرتب مارجريت فى نهاية الأسبوع ، كان الشىء الوحيد

المتاح آنذاك أن أبلغها بأن تأخذ مجموعة من الكتب المتبقية وتبيعها لحسابها بربع دولار للكتاب لأحد المتعاملين فى الكتب القديمة ، اتصلت بى ذات يوم قائلة :

ـ كيف يمكن أن تستمر المكتبة إذا بعنا الكتاب ذا الثلاثة دولارات بربع دولار ؟

آخر شىء فى الدنيا كنت أريد أن أنغمس فيه هو ادارة أى نوع من الأعمال التجارية ، وكنت لم أوضح لها أن الهدف من المكتبة فى الماضى والحاضر والمستقبل بالنسبة لى هو أن يمكننى ريع هذه الكتب الذى راجعتها من الحياة فترة ما ، اخبرتها أنى أكتب قصصا قصيرة وأن أى شخص آخر يمكنه أن يقلق من أجلً المكتبة إلا أنا ، واعتبرت الموضوع منتهيا من ناحيتى ، لكنها اتصلت بعد ايام قلائل قائلة بصوت منفعل :

ـ ارسكين . هناك رجلان لطيفان هنا الآن ، وكلاهما يقول انه لابد من الحصول على كتب جديدة اذا اردنا للمكتبة أن تستمر ، وقالا انهما سافرا عبر الولايات المتحدة كلها ولم يريا مكتبة بهذا العدد القليل من الكتب .

قلت : ما شأنهما إذا كانت المكتبة تحتوى على كتب أم لا ؟

ـ قالت : إنهما يعملانَ فى نشر الكتب ويريدان النجاح لكل بائعى الكتب .

ـ ما اسماهما ؟

ـ أحدهما يدعى سيسيل سكوت وهو يسافر ممثلا لشركة مكميلان والشخص اللطيف الآخر ـ أعنى الطويل ـ يدعى هنرى هاوتون وهو يعمل بائعا لحساب شركة هاوتون ، إنهما يحملان عدة حقائب مملوءة بالكتب الحديثة ، أتوق شوقا

لقراءتها ، ولم تحصل عليها بعد مكتبة اعارة الكتب فى الشارع المقابل .

سألتها ماذا يريدان أن يفعلا بهذه الكتب ؟

ـ إنهما يريدان بيعها بالطبع .

ـ ومن سيدفع لهما ؟

ـ المكتبة بالطبع ، مستر سكوت يقول أن المكتبات الأخرى تدفع فواتيرها وأننا يمكننا عمل ذلك اذا ادرنا المكتبة بطريقة عملية وتوقفنا عن بيع الكتاب بربع دولار الى مكتبات الكتب القديمة .

إسألى سكوت لماذا لا يشترى المكتبة ويديرها بنفسه إذا كان يعرف الكثير عن هذا العمل ويعتقد أنها فرصة ذهبية ، قالت محتجة ومنفعلة :

ـ ولكن ياارسكين نحن لا نريد بيع المكتبة ، هل اعود الى بروكلين حيث يقتلنى الملل ؟

ـ هل تعتقدين أنه يمكن تسيير العمل فعلا ودفع الفواتير .

ـ لا أرى ما يمنع ذلك .

ـ وهو كذلك . نفذى واعتبرى نفسك الرئيس ، اعتبرينى خارج اللعبة الآن ، أنا أعتزم كتابة الكتب لا أن اشترى الكتب يوما ثم أعود لأبيعها فى اليوم التالى .

إذا اشتريت بعض الكتب الجديدة منهما هل تريدنى أن أحضر لك بعض الروايات لقراءتها ؟

ـ قلت لها : لا .. لا أريد أن أرى كتابا قبل أن أرى واحدا ينشر باسمى .

١٣

لم يمض وقت طويل حين ادركت أن الأمور لا تسير بشكل جيد فى المكتبة ، فقد زرت ذات مساء "الفردمورانج" وهو رسام مناظر طبيعية ، فأخبرنى أنه رأى مارجريت تحمل ربطة من الكتب بعد ظهر ذلك اليوم إلى إحدى مكتبات الكتب القديمة قرب مرسمه ، لم تكن هذه علامة طيبة ، وخامرنى شعور بأن الأمر يلزمه أكثر من التمنيات الطيبة لسكوت وهاوتون .

فى اليوم التالى ذهبت إلى المدينة وعرفت أنه لم يعد ضرورة فقط العودة الى بيع الكتب الى المكتبات القديمة بل أن فاتورة الكتب التى اشتريت حديثا والتى تبلغ قيمتها الف دولار ، لم تدفع أيضا ، ولم يكن لدينا فكرة عن كيفية مواجهة الموقف وأن اتفقنا من أنه لابد من عمل شىء حيال ذلك .

سرت فى شارع الكونجرس مفكرا بما يمكن عمله ، منذ غادرت اتلانتا وأنا أحاول أن أعيش على ما أملكه مهما قل مقداره ، ومازلت أرغب فى الحياة بتلك الطريقة ، ثم أجدنى الآن مدينا بمبلغ لا استطيع دفعه ، بعد السير فى الشوارع لمدة ساعة قررت أن استشير ارنست جراونتج فيما يجب عمله ، كان الرجل ودودا معى منذ قابلته في بورتلاند وشعرت أن علاقتى به تسمح بحمل متاعبى اليه ، عمل صحفيا فى بوسطن ونيويورك عدة سنوات ، وقد صدر حديثا أول كتاب له وهو

"المكسيك وتراثها" كما أسس جريدة بورتلاند المسائية وكان رئيس تحريرها حين ذهبت اليه ، بعد ذلك بسنوات أصبح حاكم ولاية ألاسكا .

قال باشارة واسعة من ذراعيه حين انهيت حديثى :
ـ تلك مسألة بسيطة يمكن علاجها .
وأضاف : إذا أردت أن تصبح كاتبا فعليك بابعاد هذه المشاكل عن ذهنك .. هيا سنقطع الشارع الى البنك ونسوى المسألة .

ترددت فى الذهاب إلى البنك لأخذ قرض ، واخبرته بذلك ولكنه أصر ، وعبرت الشارع مترددا الى البنك .

فتح ارنست باب أحد المكاتب الخاصة بأحد نواب مدير البنك ، دخلنا وجلسنا ، كان نائب المدير رجلا فى الأربعين ، طويل ، أسود الشعر ، ملامحه ودية ، وكان يتحدث فى التليفون .

قال ارنست : اخبره فقط بما تحتاجه والأمر سينتهى على مايرام ، كان نائب المدير يتحدث الى سمسار فى بوسطن واستطعت أن أفهم من حديثه بأنه كان يبيع سندات معينة لحساب البنك ، حين انتهى ، ضغط على جرس فجاءت سكرتيرته على الفور ، اعطاها تعليماته قائلا :

ـ احضرى لى هذه الصكوك التى كانت على مكتبى صباح اليوم ، لقد بعتها لتوى ، هزت الفتاة ذات الشعر البنى رأسها

بحيرة : ولكنى لم آخذها .

ـ كانت على مكتبك آخر مرة رأيتهم .

وبدأ نائب المدير وسكرتيرته البحث عن الصكوك ، يبحثون فى الأدراج وعلى الأرضية وفى سلة المهملات .

قال بعد فترة : اقسم أنهم كانوا هنا هذا الصباح ، كانوا فى يدى هنا ، جمهورية الأرجنتين ، الديون الخارجية ، ولقد بعتهم لتوى فى بوسطن ولابد من ارسالهم فى البريد الليلة . ستجدينهم فى مكان ما يا مس تيبيتس ، احضريهم لى بمجرد عثورك عليهم .

حين غادرت السكرتيرة ، قدمنى ارنست اليه ، فساد صمت ثقيل فى الغرفة بينما الأثنان ينتظران أن أتكلم وأوضح طبيعة عملى . اختلست النظر الى ارنست وهززت رأسى بعصبية ، اردت الخروج بأسرع ما يمكننى ، أشار لى أرنست مشجعاً وهو مقطب الوجه .

واستطعت أن أوضح بطريقة ما أن المكتبة تحتاج لنقود لدفع فواتير مستحقة قال وهو يعود لفتح الأدراج ثانية بحثا عن الصكوك : اعطنى رقما تقريبيا عن المبالغ التى ينتظر أن تصلك .

وكان لابد من القول انى لا اتوقع أى مبالغ قادمة .

قال هازا رأسه وناظرا مباشرة الىّ : كل مشروع تجارى لابد له من عائد قادم ، العمود الفقرى للقرض ، الطريق الوحيد للتعامل .

هز رأسه ثانية : ما الضمانات التى لديك يا كالدويل ؟

اعترفت أنى لا أملك شيئا ، والشىء الوحيد الذى أملكه عربة قديمة عمرها سنوات وقيمتها ضئيلة .

أضاف وهو يأخذ نفسا عميقا واستدار ليبحث ثانية فى سلة المهملات ، ماذا يمكن بالله أن يحدث لصكوك تساوى مائة الف دولار فى مكان أمين كالبنك إذا ضاعت فى البنك فماذا يمكن أن يحدث لها فى مكان آخر ؟ .

كانوا هنا هذا الصباح ، لقد عددتهم مباشرة قبل أن أحادث السمسار .. استدار واتجه الىّ بالحديث ثانية :

ـ كم تحتاج لكى تستمر يا كالدويل ؟

ـ قلت : حوالى ألف دولار .

وكنت أتساءل كيف يمكن أن يفكر بقرض بمثل هذا المبلغ بينما وضعوا مبلغا يبلغ مائة ضعف فى مكان لا يعرفونه .

ـ كيف تعتقد أنك ستسدده حين يحين أجله ؟

اعترفت أنى لا أعرف كيف لكنى سأدفع .

وتكلم أرنست : ارسكين كاتب وهو جاد فيما يقوله ، عنده مدير لمكتبه وكل ما يحتاجه مبلغا ضئيلا للاستمرار ، ومايهتم به أن يصبح روائياً ، أنت تعرف روايات وقصص قصيرة كتب ومجلات .

أومأ برأسه وسألنى : متى تتوقع أن تسدد المبلغ ؟

فكرت فى السؤال لعدة لحظات قلت : لا أعرف متى يمكننى دفعه لكنى سأرده حينما أحصل عل بعض النقود .

توقف عن فتح الأدراج ورجع مستندا على مقعده :
ـ أتعرف يا كالدويل وددت دوما أن أكون كاتبا ، لو استطعت أن أكتب قصصا وانشرها فى المجلات لغدوت رجلا سعيدا ، أنه شيء رائع أن تكون كاتبا . لقد حاولت كتابة القصص لكنى يبدو أنى لم أحظ بالنجاح الكافى ، ما كتبته لم يكن جيدا بما فيه الكفاية فيما أعتقد ، من المحتمل أن ذلك هو السبب الذى جعلنى فى البنك الآن .

هز رأسه متحسرا على نفسه ، كيف يمكنك أن تتأكد من أنك ستحصل على النقود من كتابة القصص . اخبرونى أن الكتابة وسيلة غير مضمونة للحياة انظر الى ارنست أنه يؤلف الكتب لكنه يدير جريدة ايضا .

اخبرته أني سأواصل حتى أتمكن من العيش بواسطتها .

ـ هل لديك أدنى فكرة متى سيتحقق ذلك ؟
ـ فى سنة أو سنتين ، وربما أكثر .

ابتسم لأول مرة ، وهو كذلك ، وناولنى ورقة لأوقعها .
حينما تحقق الهدف ، تعال وادفع ، سأكون معك مادمت على هذا الإصرار وناول ارنست الورقة التى وقعتها لتوى قائلا : هيئة المديرين سترتاح أكثر لو كان توقيعك موجودا . لكن وقبل أن يوقعها ارنست اندفع وسحبها منه قائلا : لا ضرورة فكالدويل سيهتم بذلك بنفسه .

دخلت السكرتيرة وقالت بتعبير محير : لم أجد هذه

الصكوك فى أى مكان .. لابد أن تكون فى مكان ما فى هذه الغرفة .

وبينما أنا وارنست نغادر الغرفة ، رفع نائب المدير سلة المهملات وقلب ما فيها على الأرضية ، وركع هو وسكرتيرته ليفحصا كل ورقة فى القمامة .

١٤

في اوائل سنة ١٩٢٩ وبعد أكثر من ست سنوات من بداية كتابتي للقصص وأنا في جامعة فرجينيا ، تسلمت رسالة كانت الأولى من نوعها وسط الرسائل التي اتسلمها كانت من الفرد كريمبورج ويقول فيها أنه وزميليه في مجلة نيو اميركان كارافان وافقوا على نشر قصة لي في عدد أكتوبر القادم ، كان عنوان القصة "عاطفة منتصف صيف" كانت خلفيتها تدور في مقاطعة "مين" وتحكي عن حادثة عنيفة وقعت لفلاح كان مارا بمنزل جاره بعد ظهر أحد أيام الصيف ، كنت قد كتبتها في العام السابق وارسلتها الى عشر او اثنتي عشرة مجلة تجريبية خلال تلك الفترة ، ولم اكتشف إلا بعد فترة طويلة أن إحدى هذه المجلات الصغيرة " ترانسشن " وتطبع في فرنسا ، قد احتفظت بالقصة ونشرتها بعد أن غيرت عنوانها الى " يولية " .

كانت مجلة " نيو اميركان كارافان " اقرب الى الكتاب منها الى المجلة ، فهي مجموعة مختارات من القصص القصيرة تظهر مرة واحدة في السنة ، وكانت تدفع ٢٥ دولارا مكافأة عن القصة ، ولم يكن ذلك هو المهم بالنسبة لي ، الأهمية الأولى كانت أن هناك شخصا ما في مكان ما قد قبل إحدى القصص التي كتبتها واحسست أن خيبة الأمل المتراكمة لعدة سنوات قد مسحت فجأة من الذاكرة .

ونتيجة لهذه الأخبار الجيدة بدأت أرسل الى المجلات مجموعات من ست أو سبع قصص فى المرة الواحدة ، وخلال الستة أشهر التالية وافقت عدة مجلات على نشر عدد منها . ورغم أنى بذلك حققت هدفا غنيا إلا أن هذه المجلات لم تكن أى منها واسعة الانتشار تجاريا ، ولا يزال المشوار طويلا ، كل هذه المجلات كانت مجلات صغيرة دون دائرة انتشار واسعة ، ومكافآتها ، إن وجدت ، كانت أقل مما تقدمه مجلة نيو اميركان كارافان وجملة المبالغ التى حصلت عليها مقابل القصص الستة التى نشرت كانت فيما اذكر اقل من مائة دولار ، ومع ذلك كنت على استعداد أن أنشرهم بلا مقابل ، لأن هذه المجلات التجريبية شكلت الورشة الوحيدة التى دخلت منها الى عالم الأدب ، كان هدفى الأول أن أصبح كاتبا متميزا ، واذا أمكننى ذلك ، فإن أية مكافأة تسعى نحوى بعد ذلك ستكون على قدر هذا التميز .

حين انتهت نوبة الانفعال التى سببها لى خطاب الفرد كريمبورج ، ملأت حقيبة بقدر ما استطعت من المخطوطات وأخذت الباص الى نيويورك .. كان معى حينما غادرت ديترويت ١٢ دولارا وتذكرة مفتوحة بالباص ونسخة من الطبعة الأولى من رواية نيودوردرايزر الأخت كارى ، احتفظت بها بعد أن قيل لى أنها تساوى ثمنها الحقيقى عدة مرات ،• وخططت أن ابيعها فى نيويورك لتساعد فى تغطية نفقاتى هناك . وكنت قد اشتريتها بـ ٣٥ سنتا .

وبتأثير انى كاتب واعد وسينشر لى عما قريب ، سجلت

اسمى فى فندق مانجر (تافت فيما بعد) فى الشارع السابع ٥١ ، كانت الأجرة اليومية لمن هم فى حالتى دولارين ، ومعى مايكفى أربع ليال حتى لو لم أبع رواية الأخت كارى ، مع تقليل مصروفات الأكل والسجائر الى دولار واحد فى اليوم .

بعد يوم واحد فى نيويورك أنفقت أكثر من دولار على الطعام وحده . وهكذا أخذت الكتاب الى بائع يتعامل بالطبعات الأولى فى الشارع ٥٩ ، فحص النسخة واخبرنى أنها ذات قيمة ولكن لايستطيع أن يقدرها ، واقترح أن أترك الكتاب عنده حتى اليوم التالى حيث يعرضه فى الوقت نفسه على زبون يعيش فى لونج ايلاند ، تركت الرواية عنده معتقدا أن على أن أحضر فى اليوم التالى لاستلم الثمن .

كانت حقيبتى تحتوى على القليل من كل شىء من الموضوعات الأدبية ، عدة قصص طويلة ، مقتطفات من روايات غير كاملة ، شعر ، فكاهات ، مقالات ، وعشرات من القصص القصيرة ، لم يكن لدى خطة فى كيفية التصرف بكل هذه المادة ولكنى كنت آمل أن أنشرها بطريقة ما ، وبعد محاولات عديدة ، غير ناجحة ، للدخول الى مكاتب المحررين ، عرفت أن لفت انتباه أى محرر بواسطة البريد اسهل بكثير من محاولة لفت انتباهه عن طريق المقابلة الشخصية .

لم أكن على علم تام بوظيفة المندوب (المراسل الأدبى) أو وكيل المؤلفين ، ولكن بدا لى من الحكمة أن أتعرف على أحدهم ، اخترت وكيلا بطريقة عشوائية عن طريق دليل التليفون وحددت موعدا معه للقائه فى مكتبه ، حين وصلت الى

هناك بحقيبتى المملوءة بالمخطوطات ، ألقى نظرة طويلة على محتوياتها ، واخبرنى أنه يجب ترك كل شىء عنده ليقرأه فيما بعد ، " فيما بعد " هذه لم تكن محددة ، فقررت أن مايقوله لايروق لى .. سألنى وأنا أغادر المكتب عن اسمى ثانية ، حينما اخبرته ، ابدى ملاحظة وهى أن هناك قضية واحدة لن تقلقنى فإن لى اسما جيدا للأغراض الأدبية وأنه لا داعى لتغييره .

فى الصباح التالى ذهبت إلى شارع ٥٩ حسب موعد بائع كتب الطبعات الأولى ، متفائلا بأنى سأتسلم عشرة أو اثنى عشر دولارا ثمنا للكتاب . بمجرد أن تحدثت معه زعم أنه لا يعرفنى ولا يعرف شيئا عما أقوله ، ثم قال أنه لم يرنى من قبل فى حياته . ذكرته بالمحادثة التى جرت بيننا فى اليوم السابق ، ووصفت له الكتاب الذى تركته عنده ، ووصفت له ربطة العنق التى كان يرتديها ، زعم غاضبا أنى أحاول أن أثير المشاكل ، وهدد بطلب الشرطة إذا لم أغادر على الفور ، لم يكن لدى طريقة لأثبات ما اقول ولم يكن هناك ما يمكن عمله سوى المغادرة ، وبقيت جائعا نسبيا بقية إقامتى فى نيويورك .

سمع الفردكريمبورج بطريقة ما أنى أحضرت معى حقيبة مملوءة بالمخطوطات غير المنشورة ، واقترح أن أدع أحد الناشرين يقرأ بعضا من القصص الطويلة والقصيرة التى بحوزتى ، اعطيت قصة طويلة الى شاب نشط يعمل محررا فى مؤسسة "هيرون بريس" للنشر واسمه اريك بوزيلت .

خالجنى شعور ، وقد أكون مخطئا ، بأن أريك هذا لم يكن له مكتب على الإطلاق ، ولكنه يدير عمله من عربة "تاكسى"

قابلته بناء على موعد مسبق ، عدة مرات ، وفى كل مرة يحضر فى الوقت المحدد وفى منطقة محددة من شارع ماديسون فى سيارة تاكسى ويطلب منى أن أركب ، وتسير العربة ببطء جيئة وذهابا لمدة نصف ساعة أو أكثر فى الشارع نفسه ، هو يتحدث وأنا أنصت اليه .

بعد مقابلتين معه ، أصبحت نفسيا على استعداد لقبول عرضه بشروطه هو لنشر القصة الطويلة التى أعطيتها له ليقرأها ، كنت منفعلا بفكرة أن ينشر كتاب لى ، وكنت على استعداد أن أوقع على جميع حقوق نشر مخطوطاتى التى أحملها معى لو عرض اريك ذلك .

حينما وقعت عقد القصة الطويلة ، اعلمنى اريك أن الكتاب سينشر تحت عنوان "اللقيط" بدا لى عنوانا غريبا وغير عادى لقصة ، لكنى افترضت أن اريك يعرف أكثر منى فى عالم النشر .

بعد نشر قصتى القصيرة فى مجلة نيو اميركان كارافان فى أكتوبر ، صدرت القصة فى طبعة محدودة فخمة فى ١١٠٠ نسخة مرقمة ومزينة بصور على صفحات كاملة رسمها تاى ماهون . بعد عدة أسابيع وأنا فى بورتلاند تسلمت كلمة من أحد المسئولين فى المقاطعة يقول فيها رغم أنه لا يزعم أنه ناقد أدبى فإنه يعرف تماما مايراه حين ينظر الى الرسومات ، وبذلك فإنه يعتبر أن من واجبه أن يخبرنى أن الكتاب يجب ألا يعرض للبيع فى بورتلاند .

١٥

تسلمت فى صباح أحد أيام خريف "كيب اليزابيث" الضبابى ، خطابا مختصرا من ماكسويل بيركنز مسئول التحرير فى مؤسسة تشارلز سكرنبرز ، يقول فيه أنه قرأ قصتين لى فى مطبوعات محدودة الانتشار ، وأنه يود أن يرى بعضا من قصصى غير المنشورة ، هذه هى المرة الأولى التى يطلب فيها أحد أن أزوده بمخطوطات لقصصى ، وحيث يمكننا اعتبار مجلة " سكرنبرز " تجارية وواسعة الانتشار ، فذلك يعنى خطوة كبيرة الى الأمام بالنسبة لى بعد نشر قصصى فى نيو اميركان كارافان ، والمجلات الأخرى محدودة الانتشار .

وصل الخطاب فى لحظة نشاط محمومة مرت بى ، استمرت ثلاثة أشهر من الكتابة المتواصلة بكثافة لم أصل اليها من قبل ولا وصلت اليها بعد ذلك .

ارسلت له فى البداية ، قصة قصيرة يوميا لمدة أسبوع ، وكل مرفق بها رد البريد ، لكنى لم أكن فى حالة تسمح بعدم التشجيع بعد ذلك ، بدأت نظاما صارما لانهاء قصتين قصيرتين اسبوعيا ، شعرت بالحاجة إلى الانتقال الى مكان آخر ، وبدا لى أن إقامتى فى كيب اليزابيث قد طالت خاصة وأن الشتاء بدأ يزحف على مونت فيرنون ، ومخزن الخشب لا يحوى سوى القليل منه ، فاتجهت إلى الجنوب ثانية .

ذهبت في البداية الى مورانا ، لكن الأمطار الغزيرة أحالت الطريق الطينى إلى الكابينة فى الغابات الصنوبرية ، الى طريق لايمكن عبوره ، فاتجهت الى أوجستا حيث وجدت مكانا رخيصا فى شارع جرين ، وهناك واصلت الكتابة ليلا ونهارا لعدة أسابيع ، أخرج مرتين فى اليوم لأحضر علبة من الفاصوليا ورغيفا لوجباتى .

لم يكن فى الغرفة تدفئة ، والوقت يناير ، ومازال التقرح فى يدى وقدمى نتيجة لعضة الصقيع خلال الشتاء الأول الذى قضيته فى شمال نيو انجلند يلازمنى ، ووصلت الالام لدرجة جعلتنى اشكو الى المالكة من قلة التدفئة ، فشكت لى بدورها من ضجة آلتى الكاتبة فى الثانية أو الثالثة صباحا وقالت : ان الناس الأمناء الذين يعملون بجد يذهبون الى أعمالهم نهاراً بدل المكوث فى البيت والخبط على الآلة الكاتبة طوال الليل ، وتمنت بشدة أن أجد عملا أو أنتقل إلى مكان آخر .

كانت الغرفة الوحيدة فى البلدة التى تمكنت من العثور عليها بأجرة دولارين ونصف اسبوعيا ، وقررت أنه من الأفضل سحب شكايتى والبقاء .

فى نهاية يناير ، أصبحت متأكدا أنى لن أكون أكثر إحساسا بالبرد فى مونت فيرنون منه وأنا فى هذه الغرفة الباردة فى جورجيا .

ركبت الباص لأصلها مع آلتى الكاتبة وحقيبة مخطوطات ، شققت طريقى عبر طريق مغطى بالثلج بارتفاع ثلاثة أقدام ،

واشعلت النار فى مدفئة المطبخ ، طبخت وأكلت ونمت فى المطبخ المريح الدافىء للأسابيع الستة التالية .

وخلال الشهرين السابقين ، كان كلما رفض ماكس قصة سارعت بارسال غيرها ، ومعظم هذه القصص المرفوضة قبلتها مجلات صغيرة مختلفة ، كما لاحظت أن خطابات الرفض التى يرسلها ماكس تحمل تعاطفا مقصودا تجاه عملى ، أصبحت القصص تعاد بسرعة أقل مما فسرته بأنه يعطيها قدرا اكبر من الاهتمام ، كما أنه استنفد جميع حججه فى الرفض ، وربما أضحى تعبا من عنادى والحاحى المتواصل ، ورغم ذلك كانت خطاباته تتزايد متخذة شكلا غير رسمى واكثر حميمية وتشجيعا .

طلب منى اريك بوسيلت أن أرسل له قصة طويلة أخرى ، فبادرت الى ارسالها فورا ، وفى الوقت الذىٰ نشرت فيه فى آخر العام ، تولى اليكس هلمان أحد المشاركين فى مؤسسة هيرون بريس ، أعمال اريك كمحرر للدار ، وبادر بتأسيس شركة جديدة ونشر قصتى التى عنوانها "المغفل الفقير" فى طبعة محدودة وبرسومات الكسندر كورت ، وكان له مكتب للتعامل يقع فى بناية لطيفة محترمة وليس فى عربة اجرة فى شارع ماديسون ، ومع ذلك سواء بسبب كفاءة مؤسسته أو عدم كفاءتها ، وقع سوء تفاهم بيننا .. ولم اتسلم نسخة من الكتاب .

فى ذلك الوقت كنت مشغولا بمشاكل أخرى تجعلني لا أفكر فى تفصيلات عمل يتعلق بنشر قصة طويلة لى ، كان أهم

هدف فى حياتى آنذاك هو اختراق مقاومة هيئة تحرير مجلة سكرنبرز .

كنت أكتب قصة جديدة وارسلها الى ماكس اسبوعا بعد اسبوع ، بعضها كانت تدور أحداثها فى نيوانجلند والبعض فى الجنوب ، وبدا لى أن ذهنى يحتشد بموضوعات لاينضب معينها وأريد أن أكتب عنها ، وكانت الصعوبة فى ايجاد الوقت الكافى لتحقيق ما أرغب فى كتابته خلال الأربع والعشرين ساعة القصيرة .

توقفت عن ملء ساعة الحائط الوحيدة التى فى البيت ، ومع ذلك بقى شكلها غير مريح لى ، وحللت الأمر بأن حفظتها فى مكان بعيد عن نظرى ، كما أن كل قصة ترفض لى كنت أرسلها الى مجلة أخرى ، وهكذا حتى تقبل ، وأصبحت تكلفة البريد أكثر من تكلفة الطعام والسجائر .

كانت المكتبة فى بورتلاند ، تترنح نحو النهاية ، برغم مبلغ الالف دولار التى دفعتها لتسييرها ، فى الواقع كانت كل الكتب من الكمية الأصلية التى كتبت لها المراجعات قد بيعت سواء بسعرها الرسمى أو بربع دولار للكتاب للمكتبات القديمة ، وشعرت أن المكتبة قد استنفدت أغراضها وأن الوقت قد حان لقفل ملفها واغلاق الأبواب .

عشت أنا وعائلتى مدة سنتين بمبلغ يعادل ألف دولار وهو مقدار المبلغ الذى اقترضته من البنك وأنوى إعادته فى موعده .

جاءتنى "مارج مورس" الى مونت فيرنون بروح معنوية منخفضة ، ذكرتنى وكأنها تتهمنى بأنها لابد أن تذهب الآن إلى بروكلين ، وكان العرض الوحيد الذى قدمته لها أن تقنع شخصا آخر بفتح مكتبة بكتب قام بمراجعتها قبل هبوط ثلوج مارس بوقت قصير ، تلقيت رسالة من ماكس يخبرنى فيها أن حملتى خلال الشهور الثلاثة الماضية قد أتت ثمارها ، وأنه قد وافق على نشر إحدى قصصى فى المجلة ولم يقرر بعد القصة التى سيختارها .

وبالعودة إلى الفهرست الذى احتفظ به عن حركة قصصى من مجلة الى أخرى ، وجدت أن لدى ماكس خمس قصص لى ، عليه أن يختار واحدة منها .

كان خوفى الفورى أنه ربما يغير رأيه ، وأن يحدث شيئا ما قبل أن ينشر إحدى قصصى ، فباشرت العمل منذ الغروب لأزوده بمادة كافية تساعده فى اتخاذ قراره دون تأخير .

بعد يوم وليلتين كنت قد انهيت ثلاث قصص قصيرة جديدة ، ثم أخترت ثلاث قصص أخرى مما لدى حتى يصبح عنده إحدى عشرة قصة ، وفكرت أن من الحكمة أن آخذهم بنفسى الى نيويورك ولا أسارع بإرسالهم بالبريد ، ورد على خاطرى أنه ربما تعطل القطار فيسبب تأخيرا فى تسليم البريد .

القسم الثانى

السنوات الوسطى

أثناء رحلة الباص من بورتلاند إلى نيويورك والتى استغرقت الليل بطوله ، بقيت مستيقظا تماما تنتابنى هواجس سوء الحظ ، وفي الوقت الذى إجتاز فيه الباص هارتفورد ، بعد منتصف الليل بقليل ، اندفاعى الواثق أصبح امرا مشكوكا فيه ، وبدأت أتساءل عن حكمة ما افعله ، لم أكن قد رأيت ماكس بيركنز ، وعلاقتى الوحيدة به كانت عبر المراسلة . ومع بزوغ الضوء بدأت اتصوره شخصا مخيفا يمكن أن يمتعض لاقحام نفسى عليه ويتحيز ضد أعمالى .

قضيت الوقت اتمشى جيئة وذهابا فى الشارع الخامس ، أحمل المظروف الذى يحوى مخطوطاتى ، أمام مبنى مجلة سكرنبرز ، من الثامنة صباحا وحتى ما بعد العاشرة بقليل ، وخلال ذلك الوقت كنت أفكر فى سبب معقول ابرر به تقديم نفسى دون دعوة ، ولكن لاشىء مقنع ومؤثر خطر على ذهنى ، وشعرت أن مقدار الشجاعة القليلة الباقية لدى بدأ يتبخر ، فعبرت الشارع وركبت المصعد الى مكاتب المحررين .

سألتنى فتاة مرحة ، فورا ، عما اريد ، أخبرتها ، والتوتر فى الجو المحيط يفقدنى أعصابى ، إنى أرغب فى ترك مظروف به مخطوطات لماكس بيركنز ، سألتنى إذا كنت أرغب فى رؤيته ، قلت بسرعة لا أريد ، وبينما كنت أستدير لأغادر ، سألتنى إذا كنت أرغب فى ترك رسالة مع المظروف ، نطقت اسمى وقلت انى سأكون فى فندق "مانجر" خلال اليومين القادمين ، وبسرعة أخذت المصعد هابطا .

حين وصلت الفندق ، ذهبت الى غرفتى وانتظرت ، عقلى يقول لى أنه من الغباء الانتظار ، ولكن لم استطع أن أعترف أن الرحلة كانت بلا نتيجة أملت أن يتصل بى ماكس هنا بدلا من الكتابة الىّ ، تركت الغرفة لفترة قصيرة ، أسرعت فيها الى الشارع لاتناول سندويتشا واشترى بعض الجرائد ، عند هبوط الليل استلقيت فى السرير منتظرا متوترا إلى مابعد منتصف الليل ، محاولا استجماع الشجاعة الضرورية لمكالمة ماكس إذا لم يتصل بى قبل مغادرة المدينة .

استيقظت فى الساعة السادسة والنصف صباحا ، تناولت الافطار واشتريت بعض الجرائد ، وعدت الى غرفتى فى الثانية منتظرا المكالمة ، كان الوقت ضحى حين دق جرس التليفون ، أجفلنى الصوت فى البداية ولكنى سعدت بالرنين حتى أنى تركت التليفون يدق مرتين قبل أن أجيب ، كنت متأكدا أن هناك شخصا واحدا فى نيويورك يمكن أن يكلمنى ، وكما أذكر جرت المحادثة كالاتى :

ـ كالدويل ، ارسكين كالدويل ، من مونت فيرنون ولاية مين ؟

ـ نعـم ..

ـ حسنا ، كيف حالك ياكالدويل . بيركنز يتكلم . بيركنز من مجلة سكربنرز .

ـ أعتقد أنى بخير .

ـ وصلتنى مخطوطاتك امس ، تلك التى تركتها فى المكتب ، كنت أتمنى أن تسأل عنى حين كنت هناك .

ـ حسنا .. هل رغبت فى ذلك ؟

ـ على فكرة ، قرأت كل قصصك التى لدى الآن بما فيها الجديدة التى أحضرتها أمس .. ولن أضيف أكثر من هذا الآن .

ـ صمت .

ـ أعتقد أنى كتبت لك منذ فترة أخبرك أننا نريد نشر إحدى قصصك فى المجلة .

ـ تلقيت الخطاب ، لم تغير رأيك . اليس كذلك ؟ أعنى حول نشر القصة .

ـ غيرت رأيى ! لا . اطلاقا . فى الواقع أننا جميعا هنا فى هيئة التحرير متفقون حول أعمالك وقد قررنا أن ننشر قصتين بلا من قصة واحدة ، وسننشرهما معا فى عدد واحد . عدد شهر يونيه ، أحداهما " ترويض مارجورى " والأخرى " ربيع متأخر جدا " ، فهما قصتان جيدتان وهناك شىء ما فيهما يستهوينى بشدة ، هناك إحساس جيد نحوهما شىء أحب أن أراه فى القصص ، فهناك العديد من الكتاب الذين يملكون سيطرة كاملة على الشكل والتكنيك ولكن ينقص قصصهم الإحساس .. أعتقد أن ذلك مهم .

- أنا سعيد جدا أنهما حازا اعجابك .

- ستستمر فى الكتابة .. اليس كذلك ؟ نود أن نرى الكثير من أعمالك فى فترة لاحقة .

- سأستمر فى الكتابة ، لن أتوقف .

- سعيد أن أسمع ذلك .

صمت .

- والآن .. حول هاتين القصتين ، كما قلت نود شراءهما نكم تريد مكافأة عنهما معا . يجب أن نتحدث فى النقود عاجلا أو آجلا فليس هناك من سبيل لتجاهل ذلك .

- حسنا . لا أدرى بالضبط ، لم أفكر فيها كثيرا .. أقصد النقود .

- هل اثنان ونصف مبلغ جيد لكلتيهما ؟

- اثنان ونصف ؟ لا أدرى . ظننت أنى استطيع الحصول على مبلغ أكبر .

- ظننت ! حسنا ما رأيك فى ثلاثة ونصف ، فذلك أكثر ما يمكننا دفعه فى قصتين ، ففى هذه الأيام توزيع المجلات لايزداد كما كان فى الماضى وعلينا مراقبة تكاليفنا ولا أعتقد أن الأمور ستتحسن فى القريب وربما تسوء ، أنت تعرف أن الحياة الاقتصادية متدهورة وذلك ما يجعلنا نراقب تكاليفنا بدقة فى أوقات كهذه .

- أعتقد أنى موافق ولو أنى أعتقدت أنى سأنال أكثر من ثلاثة دولارات ونصف فى القصتين .

- ثلاثة دولارات ونصف ؟ اوه .. لا .. لابد انى اعطيتك انطباعا خاطئا ياكالدويل .. ليس ثلاثة دولارات ونصف ، لكنى

أعنى ثلاثمائة وخمسين دولارا .
- تعنى ذلك ! ذلك أمر مختلف بالتأكيد . ٣٥٠ دولارا مبلغ جيد .. لم أكن أتوقع هذا المبلغ .

حسنا إذن ، سأرسل لك الشيك خلال ايام ، اين ارسله لك .. اين ستكون ؟
- سأعود إلى مونت فيرنون .. سآخذ المركب الليلى على نهر لاين .
- هل تركب المركب دوما ؟ هل هذه طريقة سفرك ؟
- أول مرة .. فالباص أرخص كثيرا .. لكن استطيع أن أتحمل الآن .
- حسنا .. إلى اللقاء ياكالدويل ، ارسل لنا بعضا من قصصك بعد أن تلتقط أنفاسك .. وتعال لرؤيتى المرة القادمة .. إلى اللقاء .
بالتأكيد .. سأرسل لكم قصصا أكثر .. إلى اللقاء .

٢

وظهرت القصتان فى الموعد المحدد ، عدد يونيه من مجلة سكربنرز ، إنه شعور مشبع أن يدرك المرء وصوله إلى الهدف الذى خطط له ، والآن وقد تحقق هدف البداية يمكننى التفكير بأهداف أبعد تبدو لى أكثر أهمية ؛ أحد هذه الأهداف فيما أعتقد هو أن أكافح لنشر مائة قصة قصيرة جديدة .

كنا فى بداية الصيف آنذاك ، وبدأت ثانية عادة قطع الخشب خلال النهار ، وزراعة البطاطس عند الغروب ، والكتابة أثناء الليل .

حددت لنفسى كتابة قصة واحدة اسبوعيا ، بدل العمل كالمحموم لكتابة كم كبير من القصص القصيرة ، أردت أن أخصص وقتا كافيا لكتابة القصة الواحدة ، وقد كانت النتيجة أكثر اقناعا فى النهاية .

كنت أرسل كل قصة جديدة إلى ماكس بيركنز فى الحال ، ولكن لم تحظ أي منها بالقبول ، بعد اعادتها كنت ارسلها الى إحدى المجلات الصغيرة ، وكانت تنشر فى الغالب ، كان يوجد مايقرب من اثنتى عشرة مجلة للقصة آنذاك ، وجميعها مزدهرة ، بالاضافة الى مجلات اخرى تصدر فى فترات متقاربة .

فى هذه المرحلة التى كنت أمر بها ، لم ابذل أى محاولة لارسال أعمالى إلى الدوريات واسعة الانتشار ، كنت أعتقد أن هناك الكثير لأتعلمه حين أنشر بالمجلات الأدبية الاكاديمية ، واخذت قرارا بتمزيق أى قصة ترفضها ست مجلات والغاء الفكرة التى بنيتها حولها ، ولم أندم على اتباع هذه الخطة .

غادرت البيت الصيفى الكبير ، بعد الرابع من يولية سنة ١٩٣٠ ، متجها الى كوخ صغير على شاطىء بحيرة باركر ، حيث يمكننى السباحة فى ساعات الفراغ بعد الانتهاء من الكتابة والعمل اليدوى .

خلال السنوات القليلة الماضية ، كنت منغمسا بالكتابة واعداد المخطوطات ، ولم أتوقف لمراجعة واعادة قراءة ما كتبت ، لكنى الآن جمعت المخطوطات التى تشتمل على قصص قصيرة وطويلة ومواد أخرى ، واخذتها الى الكوخ لأقرؤها ، كان هناك حوالى ثلاث حقائب مملوءة بالمخطوطات غير المنشورة ، وبعد قضاء ليلة من النظر فيها ، لم اقتنع بأى منها ، لدرجة أنى فى الصباح حملت كل شىء الى شاطىء البحيرة واحرقته ، وكان الشعر والفكاهات والمقالات أول ما احرقت ، كما أضفت الى النيران المشتعلة المجموعة الكاملة من قصاصات الرفض التى جمعتها خلال السنين السبع الماضية .

بعد أسابيع قليلة من حرق المخطوطات ، تلقيت خطابا من ماكس بيركنز يقول فيه أنها ستكون فكرة جيدة لو أصدرت مجموعة قصصية فى كتاب يضم القصص الحديثة التى

رسلتها ، وبعض القصص التى نشرتها فى مجلات مختلفة الاضافة الى بعض ما لم ينشر ايضا ، فى حجم من ٢٥٠ ـ ٣٠٠ صفحة .

كنت قد نشرت خمس عشرة قصة فى مجلات مختلفة ، من بينها مجلة "قصة" وهى أحدث مجلة ظهرت وأكثرها وعودا ، أضفت إلى هذه القصص عشر قصص أخرى ، كان بعضها تدور أحداثها فى نيوانجلند والبعض الآخر لها خلفية جنوبية ، وبعد تفكير عدة أيام قررت أن أسمى المجموعة : الأرض الامريكية واستغرقت طباعة المخطوط على الالة الكاتبة ومراجعته ، وكان فى حوالى ٢٧٥ صفحة ، حوالى ثلاثة أسابيع .

كان الوقت اواخر الصيف ، حينما اتجهت الى بوسطن وأخذت المركب البخارى المتجه الى نيويورك ، وفى هذه المرة لم أتردد فى الاتصال بماكس بيركنز .

استقبلنى بحرارة وود فى مكتبه ضئيل الأثاث ، ناولته المخطوط ، كان يرتدى قبعة بحافة مثنية بدت ضيقة على رأسه ، جلس ببطء وبدأ يقلب الصفحات لمدة ربع ساعة دون أن ينطق بكلمة ، ثم نهض وشبح ابتسامة ترتسم على شفتيه ، تحرك حول مكتبه بحذائه الجديد اللامع ، محركا اعضاءه المتصلبة ، ناظرا من النافذة على حركة المرور فى الشارع ، وبدأ يحدثنى عن ذكرياته فى فيرمونت حين كان شابا .

بعد حوالى ساعة من الذكريات الجادة أحيانا والطريفة غالبا ، جاء على ذكر المخطوط لأول مرة ، قال أن مؤسسة

سكرنبرز ستطبعها غالبا فى الربيع القادم سنة ١٩٣١ ، وأنه يود أن يختار قصتين لم تنشرا من قبل لينشرهما فى المجلة قبل صدور الكتاب .

وأنا استعد للمغادرة ، سألنى إذا كان لدى اقتراحات بخصوص توقيع عقد الكتاب ، اخبرته أن لا شىء لدى عدا أنى احتاج قليلا من النقود تعيننى على الحياة وأنى أحبذ الدفع مقدما .

حذرنى بأن لا اتوقع بيع عدد كبير من كتاب يضم مجموعة قصص قائلا : أن جمهور اقتناء الكتب يفضل الروايات ، وأن حقوق النشر لن تتجاوز ٢٠٠ ـ ٢٥٠ دولارا ووعد بأن يعمل على دفع مبلغ كمقدم قائلا أن الشيك سيرسل لى مع العقد حين يجهز لتوقيعى فى اوائل اكتوبر .

ذهبت لأقطع تذكرة عودة بالمركب البخارى الليلى وأنا سعيد أنى سأتسلم مبلغا كهذا .

أرسل لى العقد والشيك دون تأخير ، وحالما تسلمت النقود بدأت أخطط لرحلة إلى مكان ما ، إذا لم تتح لى الفرصة لأسافر فى الفترة الأخيرة ، إلا بين مين ونيويورك بالباص أو المركب ، وكنت أرغب فى رحلة إلى شاطىء المحيط الهادى ، فأنا لم أذهب قط غرب نهر المسيسبى واتطلع بشوق منذ فترة طويلة لرؤية مقاطعات امريكا الأخرى ، بعد تجهيز برميل من عصير التفاح وتخزينه فى القبو ، كنت على استعداد للمغادرة ، وفى اوائل اكتوبر ، غادرت مين بالباص الى كاليفورنيا حاملا معى آلتى الكاتبة الصغيرة من ماركة كورونا وعلبة من التى تلف السجائر .

٣

النفقات كانت مسألة هامة ، ولذا تجنبت التوقف فى الفنادق على طول الطريق ، كانت الرحلة من بورتلاند إلى لوس انجلوس تستغرق خمسة أيام وست ليال ، وكان يجب أن أنفق مابين ١٢ ـ ١٣ دولاراً اسبوعيا ، علما بأنى انفقت ١٠٠ دولار ثمنا لتذاكر الرحلة الدائرية ، وكان ما يطمئننى بالاضافة إلى آلتى الكاتبة ، شريط الآلة الاحتياطى الذى أحمله ، ورزمتان من الورق الأصفر ، ومؤونة شهر كامل من التوباكو وورق البفرة .

توقفت فى بوسطن ، نيويورك ، بتسبرج وسانت لويس فترة تكفى فقط لتغيير الباص العابر للقارة . انفعالى بالسفر جعلنى أظل مستيقظا طوال الطريق الى نيويورك ، وفى الليلة التالية نمت على اهتزازات الباص ، وحين وصلت الى لوس انجلوس بعد ليلة ثالثة لم أنم فيها جيدا ، بدأت اتساءل هل من العقل أن أقيم فى الباص لمدة اسبوع من أجل توفير النقود ؟ ومع ذلك ، حين وجدت الباص المتجه الى كنساس من سانت لويس منتظرا ، صعدت اليه دون تردد ، بدت المسافة بين البلدين كأنها تعادل كل المسافات التى سافرتها فى حياتى ، بعد رحلة امتدت طوال النهار ، نزلت من الباص مترنحا لأضع آلتى الكاتبة وحقيبتى والقى بنفسى فى فندق بكويك .

فى الحالة التى اعترتنى من الكرى والسبات وقلة النوم بعد أيام ثلاثة بلياليها من السفر ، لم تتضح لى آنذاك ولا بعد ذلك التفاصيل الدقيقة لمجمل الأحداث التى وَقعت خلال الساعات الست التالية ، وقد حاولت مرات عديدة أن استعيد أحداث ذلك المساء خطوة خطوة ، إلا أنها تمر مرورا عابرا فى ذهنى ، مع فجوات فى وعيي بذلك الذى حدث ، ربما يرجع ذلك لعدم قدرتى أن أظل مفتوح العينين معظم الوقت ذلك المساء .

سجلت اسمى فى فندق بكويك ، وصحبنى أحد الخدم الى غرفتى ، وهناك تعثرنا واحدا بعد الآخر بمجموعة من الحقائب قبل أن نصل الى مفتاح النور ، كان هناك خمس أو ست حقائب ثقيلة ذات أحجام مختلفة على الأرضية قرب الباب ، تكلم الخادم فى التليفون ليسأل إذا كان هناك خطأ ما فى حجز الغرفة لى ، فأخبروه بأن الغرفة قد أخليت ، وأنه سمح ببقاء الحقائب مؤقتا وأن محتوياتها قيمة كما أفاد صاحبها وسترسل له بعد حوالى ربع ساعة .

كانت الغرفة منعشة ومزينة ، والسرير مغريا بالنوم والاضاءة ناعمة وغير مباشرة ، وبمجرد أن غادرنى الخادم ، بدأت استعد لأخذ دش وحلاقة ذقنى لأول مرة منذ ثلاثة أيام ، كنت فى الحمام حين دق الباب ، واربت الباب قليلا فرأيت فتاة نحيفة سمراء ، ترتدى ملابس مزركشة ، تبدو فى العشرينات من عمرها ، لايمكن وصفها بأنها ليست جميلة أو جذابة ، قالت بقلق وتقطيبة ترتسم على وجهها : هل انتقلت الى هنا ؟ هززت رأسى ، ساد الصمت للحظات ، قالت : أقمت فى الغرفة حتى الساعة السادسة ، غادرت حتى لايحسبون ليلة اخرى ، كل هذه الحقائب تخصنى ، أردت فقط أن أتركهم هنا حتى يحين

موعد القطار ، ولكن مطارى قد تأخر ويقولون انه سيغادر بعد ساعتين ، هل يقلقك إذا بقيت حقائبى هنا فترة أطول ؟ قلت لها : لا يقلقنى .

ابتسمت بود قائلة : أشكرك كثيرا ، ذلك جميل منك ، إنها مساعدة كبيرة ، لا أريد أن أنقلهم الى تحت ، لقد فقدت إحدى حقائبى الكبيرة بتلك الطريقة منذ فترة قليلة ، ألا يضايقك أن آخذ شيئا من إحدى هذه الحقائب ؟ قلت : لا بأس ، ودخلت الحمام وأغلقت الباب . بعد عشر دقائق خرجت من الحمام ونظرت فى الغرفة ، كانت الفتاة قد خلعت معطفها وجلست على كرسى تقرأ فى مجلة ، قالت مبتسمة : تريد أن تستخدم غرفتك الآن ، سأتركك حتى لا اضايقك أكثر .

خرجت إلى الصالة وأغلقت الباب وراءها ، ولم أجد الوقت لأطفىء النور أو أقفل الغرفة بالمفتاح ، ارتميت على السرير مرهقا ونعسا ، وبدا كأن لحظات قليلة قد مضت حين وعيت أن هناك من يهزنى بإصرار ، فتحت عينى قليلا لأرى الفتاة منحنية فوقى ، تساءلت وأنا نعسا : ما الحكاية ؟ قالت : القطار سيتأخر ساعة أخرى ، أكره أن أجلس فى الصالة كل هذا الوقت .

- وماذا ستفعلين ؟
- اتسمح لى بأن أمكث هنا ؟
نظرت الىّ متأملة وأضافت : فقط أجلس هنا وأقرأ .

حدقت فيها للحظات وأنا مستلق ورحت فى النوم ثانية .. وتنبهت على من يهزنى ، كانت الفتاة تجلس على حافة السرير آنذاك سمعتها تسألنى : ما حكايتك ؟

تمتمت : نعسان
ـ قالت : أنها التاسعة والنصف ، اتصلت بالمحطة والقطار لن يغادر قبل الحادية عشرة والنصف ، ذلك سيجنني .
سألت : لماذا ؟
ـ ألن يبعث ذلك فيك الجنون ، افترض أن عليك أن تقوم بعدة اتصالات صباح الغد ثم تذهب إلى مدينة اخرى وتجرى اتصالات اكثر قبل هبوط الليل .

سألتها : أى نوع من الاتصالات ؟
ـ أومأت الى الحقائب المكومة قرب الباب : ابيع مواد تجميل . ذلك عملى ، عندى سبعة مواعيد مضمونة فى تولسا ومثلها فى اوكلاهوما ، ومن يعمل عملنا يعيش من يده الى فمه ، واذا لم التزم بمواعيدى سيأتى آخر ويأخذ العمل .

هززت رأسى وأغمضت عينى تعبا ، نمت ثانية ، لكنى أوقظت بعد قليل ، سألتنى : ما عملك ؟ أنت تسافر اليس كذلك ؟
هززت رأسى وقلت : أنا أسافر .

ـ ماذا تبيع ؟
ـ ورق عليه كلمات .

سألت باهتمام : كيف ذلك ؟ ماذا تعنى ؟
نمت ثانية قبل ان استطيع اجابتها .
استيقظت على هزاتها ، إصرارها على بقائى مستيقظاً أصبح مزعجا ، حاولت أن أزيحها بعيدا عن السرير .

قالت محتجة : يجب أن نتعارف جيدا .. ما اسمك ؟

ـ قلت : سكينى .. واطبقت جفونى .
ضحكت : لابد أنه اسم دلع .
هززت رأسى قدر استطاعتى .
قالت وهى تهزنى بإصرار حتى فتحت عينى : اسمى ادنا .. سأتلفن ليرسلوا لنا بيرة .. لايزعجنى أن أقيم احتفالا .. ايزعجك ذلك ؟ ذلك القطار سيغادر فى الثانية عشرة والنصف .. هناك وقت كاف .

استطعت أن اسمع صوتها يصلنى ضعيفا وهى تتحدث الى شخص فى التليفون ، ولكن لا أذكر شيئا بعد ذلك إلا هزاتها لى بإصرار .. حين فتحت عينى انحنت فوقى وهمست بشىء ما ، ولكن صوتها بدا لى بعيدا جدا ، ولم اتضايق مما كانت تقوله .

وأنا نصف نائم ونصف مستيقظ ظننت أنى أتذوق البيرة ، لكنى غير متأكد ، ثم بعد ذلك بقليل شعرت بشىء ثقيل يسقط فوقى ، ووجدت نفسى أكافح من أجل التنفس ، وبعد فترة قصيرة أنتابنى إحساس لذيذ بالسقوط بلا نهاية فى الفراغ وفقدت كل وعيى .

حين استيقظت بعد ذلك ، كان الوقت فجرا ، ولم تكن ادنا أو حقائبها فى الغرفة ، استدرت وعدت للنوم ثانية .

٤

بعد أربع وعشرين ساعة من وصولي كانساس سيتي ، قضيت نصفها في النوم ، شعرت أني استطيع تماما مواصلة رحلتي الى الشاطيء الغربي دون توقف .

وصلت لوس انجلوس بعد ثلاثة ايام بلياليها من السفر المرهق وتغيير الباص في دنيفر وسولت ليك ، واقامة مقيدة في باص غير مكيف الهواء في جو ثلجي ، وكان ذلك بعد الظهر بقليل ، وفي خريف كاليفورنيا الممتع شعرت أني سأنام لو لم استمر في الحركة ، كنت أكثر تعبا ووسنا عما كنت عليه حين توقفت في كانساس سيتي .

عبرت عدة وحدات سكنية حاملا حقيبتي وآلتي الكاتبة ، دون أن يصادفني أي فندق ، سألت شخصاً عن فندق قريب بغرف رخيصة ، فاقترح أن أخذ عربة الى هوليود حيث يمكنني أن أجد عدداً أكبر منْ الفنادق في شارع سبرنج في لوس انجلوس .

وبينما العربة تعبر وسط هوليود ، رأيت يافطة مكتوب عليها "فندق مارك توين" ، تذكرت فورا قصة قصيرة كنت قد قرأتها لمارك توين وأنا في جامعة فرجينيا ، وقلت في نفسي أن مكانا يحمل اسمه يجعل الكاتب يشعر كأنه في بيته ، نزلت في المحطة التالية ورجعت الى الفندق .

كان الفندق صغيرا ، مطليا باللون الأبيض ويقع فى شارع ويلكوكس ، حكمت من مظهره أن بإمكانى دفع الأجرة ، وبمجرد أن دخلت الردهة ناولنى موظف الاستقبال قلم حبر وهو يرحب بي لأسجل اسمي . سألته عن تكلفة الغرفة في الشهر ، وكان السعر الذى قاله أعلى مما توقعت ، وترددت فى التوقيع ، أضاف : الدفع مقدما بالطبع ، قلت : ولكن لدى أمتعة .

راقبته وهو ينحنى فوق المكتب وينظر بلا اقتناع الى حقيبتى الممزقة وآلتى الكاتبة ، قال بلهجة اتهام : تلك آلة كاتبة .. اليس كذلك ؟ هززت رأسى ، وتساءلت لماذا يتخذ موظف في فندق يسمي مارك توين هذا الموقف العدائى من الآلة الكاتبة ؟

أضاف : وأنت كاتب .. أليس كذلك ؟
هززت رأسى ثانية .. قال وهو يبتعد قليلا : آسف لا يوجد لدينا غرفا تؤجر بالشهر الآن .

قلت : سآخذ غرفة لمدة أسبوع إذن .
قال باختصار وهو يهز رأسه : لا توجد لدينا غرف الآن .
قلت يائسا : إذن اعطينى غرفة لليلة واحدة ، لابد لى من مكان أنام فيه . لا استطيع أن أظل مستيقظا أكثر من ذلك .

أجاب : ابحث عن مكان آخر ، هناك فنادق كثيرة فى الشارع .
ـ لكن لماذا لايمكننى أن آخذ غرفة هنا ؟
ـ لأنه لا يأتينا من الكتاب إلا المتاعب ، يأتون إلى هنا

ويقيمون على الحساب ويفرون قبل أن يدفعوا .. وكل ما نجده بعد مغادرتهم حقيبة فارغة ، ودائما يخططون للهرب بآلاتهم الكاتبة بطريقة ما .

حملت حقيبتي وآلتي وسرت فى الشارع ، وعند الناصية دخلت ردهة فندق "وارويك" ، لم يكن أصغر من فندق مارك توين ، ولكنه بدا كفندق اقامة دائمة أكثر منه للاقامة السريعة ، تقدمت منى إمرأة فى حوالى الخامسة والثلاثين ذات شعر اشقر معقوص لتسألنى إذا كنت فى حاجة إلى غرفة ، اخبرتها انى ابحث عن غرفة رخيصة باجرة اسبوعية أو شهرية ،.قالت أن لديها غرفة يمكننى أن أستأجرها بسبعة دولارات فى الأسبوع ، وقعت على السجل بسرعة قبل أن يثار موضوع الآلة الكاتبة ، وناولتها سبعة دولارات .

حين رأيتها تنظر باهتمام للعنوان الذى كتبته فى السجل ، حملت متاعى وصعدت إلى الطابق العلوى ، بعد دقائق قليلة صعدت المرأة السلم يسبقها صوت حفيف تنورتها ، معبئة الجو بعطر نفاذ ، فتحت غرفتي متسائلة : من أى البلاد قلت أنك جئت ؟

ـ ولاية مين

ـ هل أنت متأكد ؟

قلت لها أنى متأكد ، هزت رأسها قليلا وهى تنظر نحوى ولم تقل شيئاً بعد مغادرتها ، اقفلت الباب ووقفت أنظر من النافذة ، كان الشفق ووهج بلود الورد يشع من الأضواء فوق هوليود

حتى أنى رغبت فى الخروج للتفرج على المدينة ، لكنى كنت أعرف أنى سأنام فى أى دقيقة ، فأنا لا أكاد استطيع فتح عينى ، لففت سيجارة بعلبة لف السجائر ، واشعلتها ، وسقطت تعبا على حافة السرير .

لا اذكر شيئا بعد ذلك ، سوى أنى استيقظت جزئيا بعد عدة ساعات على صوت فوضى وهياج فى الصالة خارج غرفتى بالضبط ، ظننت لبرهة أنى أحلم ، لأنى متأكد أنه لا يوجد أى فندق يمكن أن يسمح لنزلاء بعمل مثل هذه الضجة فى منتصف الليل حتى ولا فى هوليود ، زاد الصراخ والهرج ، وحين فتحت عينى متسائلا اذا ما كان هذا تقليدا هوليوديا ، فوجئت برجل إطفاء يكسر الباب بفأس .

وبعد لحظات كانت الغرفة تعج بدستة من الرجال والنساء المنفعلات ، معظمهم بالبيجامات والأرواب ، انتبهت لرائحة احتراق القطن آنذاك ، ولكن لم تكن لدى أدنى فكرة بأن هناك شيئا يحترق فى غرفتى ، حتى جرنى اثنان من رجال الاطفاء وهزانى بقوة ، أثناء ذلك ألقيت عدة جرادل من الماء على الفراش المحترق ، ثم رأيت أن نصف المرتبة على السرير المزدوج قد احترقت تماما تاركة "الزمبلكات" واضحة فى ذلك الجانب .

سمعت صوت المرأة المرح تقول : الولد المسكين ، عرفت من هيئته حين وصل هنا بعد الظهر أنه تعب ونعس ككلب ضال .. هل أصيب بحرق فى مكان ما .

تفقد رجل الاطفاء وجهى وذراعى وملابسى وقال لا أدرى كيف ظل سليما دون أن يحترق .

وقال آخر : هو لا يدرى كم هو محظوظ ، نصف ساعة أخرى وكان قد احترق تماما .

قالت المرأة : سأنقله إلى غرفة أخرى ليحصل على بعض النوم المسكين ، سألها أحد رجال الاطفاء : ألن تتخذى إجراء ضده لإشعاله النار فى الفراش ، كان يمكن أن يحترق الفندق كله لولا أن أحدهم شم رائحة الدخان فى الوقت المناسب .

قالت : لا .. وهى تتقدم لتحمل حقيبتى وآلتى الكاتبة ، قال رجل إطفاء آخر : ألن تخبرى البوليس حتى يجعله يدفع تعويضاً عن الخسائر ؟

قالت بحزم : لا .. وهى تدفعنى تجاه الصالة ، قالت إنه جاء إلى هنا من ولاية مين لكنه لايستطيع خداعى فهو يتحدث بالضبط كأهل جورجيا ، وأنا من جورجيا أيضا أعيش هنا بين أغراب وآخر ما يمكن أن أفعله أن أسبب إزعاجا لشخص من موطنى .

الرغبة فى الكتابة كانت أقوى عندى من الرغبة فى التفرج على مناظر هوليود الشهيرة ، ونادرا ما كنت أخرج من غرفتى فى فندق وارويك إلا لساعة واحدة ولمرة واحدة فى اليوم حيث أذهب لصيدلية تبيع السندويتشات مع الدواء لاتناول افطارا بـ ١٥ سنتا أو غداء بـ ٢٠ سنتا ، أو أسير عند الغسق مسافة وحدتين سكنيتين إلى مطعم يقدم وجبة عبارة عن قطعة عظم محاطه باللحم وبطاطس مهروسة ومحمرة بعشرين سنتا ، وهى وجبة لم تكن سهلة المضغ ، لكنها كانت تملأ البطن ، كنت انفق ١٢ دولارا فى الأسبوع وهو مبلغ فى حدود ميزانيتى ويوفر لى أيضا شراء الدخان وطوابع بريد للقصص التى أرسلها الى المجلات التجريبية يوميا تقريبا .

بعد ستة أسابيع من إقامتى فى فندق وارويك بدا واضحا لى عدم اقتناعى بالتقدم الذى أحرزه ، وبدأت أدرك بالتدريج أنى لن اقتنع بعمل من أعمالى إلا إذا كتبت رواية طويلة بل واكثر من ذلك أن تدور هذه الرواية بالضرورة حول الفلاحين المستأجرين للأراضى والعائلات التى تتقاسم المحصول والذين عرفتهم فى شرق جورجيا ، وبالرغم أنى كنت بعيدا عن رينز ومقاطعة جيفرسون لفترة طويلة ، فقد شعرت أنى لن أتمكن من الكتابة بنجاح عن أناس آخرين فى أماكن أخرى إلا

إذا كتبت أولا قصة العائلات المزارعة التى لا تملك الأرض ، وحياة الفقر المدقع الذى تعيش فيه على رحال تلال شرق جورجيا وطرق التبغ ، وبدت لى الروايات التى قرأتها كمراجع بعيدة عن تصوير حياتهم أكثر من أى وقت مضى ، كانت تقوم على مواقف زائفة وأحداث مفتعلة بعيدة عن الواقع .

اردت أن أحكى قصة الناس الذين عرفتهم ، وطريقة الحياة التى يعيشونها بالفعل من يوم ليوم وسنة لسنة ، أحكيها بغض النظر عن موضات الكتابة أو الحبكات التقليدية ، وبدا لى أن الأكثر أصالة والمادة الأساسية للخيال هم الناس أنفسهم وليست الحبكات المصطنعة أو المضادة التى تعالج ببراعة أقوال وأفعال الانسان .

واتخذت قرارى ، حزمت أمتعتى وعدت الى جورجيا مخترقا اريزونا ونيومكسيكو وتكساس ، وصلت فى ديسمبر الى بيت والدى فى رينز ، كان الطقس باردا ورطبا ، وحقول القطن بنية وشجيرات الاسيجة وسنانة ، وعلى بعد أميال قليلة من المدينة تجتمع العائلات فى المزارع المستأجرة حول مواقد النيران فى أكواخ يصفر فيها الهواء ، تسيطر على معظمهم الكآبة ، وينهش الجوع بعضهم كالعادة ، والبعض يرهقه المرض دون رعاية طبية ، ملابسهم وطعامهم قليل بل ومعدوما فى بعض الحالات والعمل غير متيسر ، ولم تكن الحالة تسر الخاطر بل واكثر تثبيطا للروح عنها منذ سنوات .

لم أستطع ابعاد ملاحظة ماكس بيركنز عن ذهنى وهى أن

الحياة الاقتصادية للأمة ليست على ما يرام ، ويبدو أنها لن تتصلح لفترة طويلة ، ولم تكن الحياة الاقتصادية على ما يرام منذ فترة طويلة جدا فى المزارع المستأجرة أو المشاركة بجزء من المحصول فى شرق جورجيا .

وأصبحت أكثر احباطا لما رأيت ، وأنا أذهب للريف يوما بعد يوم ، واتوغل ابعد وابعد عن المستوطنات السكنية والطرق السريعة ولم استطع أن أتعود على رؤية الاطفال يتلوون من الجوع أو المرضى من كبار السن الذين يعجزون عن المشى الى الحقول للبحث عما يأكلونه .

وفى المساء كنت ، أكتب ما اراه خلال النهار ، لكن فى كل ما كتبت لم أنجح فى التعبير عن المعنى الكامل لما رأيته من الفقر واليأس والاحباط ، وكلما توغلت اكثر فى مقاطعات بيرك وجيفرسون وريتشمون كلما قل اقتناعى بما كتبت ، كانت هناك قصة فى ذهنى مقدرة أن تروى وكان يجب أن تروى كما عرفها الناس بأنفسهم ، واخيرا حين عرفت أنها شىء كان من المفروض أن أفعله قبل كتابتى أى شىء ، تركت رينز وسافرت الى نيويورك ، فقد كان ما رأيته هو الذى كنت أبحث عنه .

استأجرت غرفة فى الدور الرابع فى بيت يقع فى الشارع الخامس فى الموقع الحالى لميدان روكفلر ، غرفة صغيرة ضيقة تتسع لسرير وكرسى ومصباح مكتب ، لكنها تطل على واجهات المبانى فى الجهة المقابلة للشارع ، وكان هناك تخطيط لازالة المبانى المحيطة لاقامة ناطحة سحاب لمبنى الاذاعة ، الاجرة كانت رخيصة ، ثلاثة دولارات ونصف

اسبوعيا ، واستطعت الحياة بخمسين سنتا يوميا للطعام المكون من رغيف من الخبز الشوفان ورطل من الجبن آكلهما فى غرفتى ، ووجبة اتناولها غالبا فى المساء فى مطعم قريب فى الشارع السادس ، سمى أخيرا بشارع امريكا ، عبارة عن طبق من شوربة العدس بعشرة سنتات ، وفنجان من القهوة بخمسة ، وبهذا المعدل من الانفاق ، سبع دولارات اسبوعيا للطعام والسكن وهو أقل مما كنتأنفقه فى كاليفورنيا بخمسة دولارات ، كان لدى من النقود مايكفينى لأشهر الشتاء فى نيويورك ، من يناير حتى ابريل .

بدأت بشراء شريط جديد لآلتى الكاتبة بخمسين سنتا ، ورزمة ورق بربع دولار ، وقلمين بخمسة سنتات ، ثم مزقت كل ما كتبته فى جوريجا ، كنت قد قررت عنوان الرواية وأنا أركب الباص الى نيويورك ، ولم يكن هناك عنوان مناسب لها اكثر من طريق التبغ ، وهو اصطلاح استخدم أصلا للطرق التى هيأتها دحرجة براميل التبغ عبر سلسلة التلال فى مزارع شرق جورجيا على نهر سافانا ، وحين لم يعد أحد يستخدم هذه الطرق لذلك الغرض ، عادت مساحتها الى الملاك التى تمر بأرضهم ، فأهملوها ولم يحافظوا عليها أو يعتنوا بها .

لم يكن فى ذهنى أدنى شك عن النتيجة التى ستؤول اليها الرواية منذ بدأت حتى انتهيت من المسودة الأولى بعد ثلاثة اشهر كانت عادتى اليومية ، أن أنهض قبل الظهر ، واتناول افطارا من الخبز والجبن ، وابدأ الكتابة ، كانت الرواية حية فى ذهنى حتى أنى لم أجد الوقت لقراءة ما كتبته فى اليوم

السابق ، واعتدت أن أتوقف عن الكتابة ساعة قرب المساء لاتناول شوربة العدس واتجول قليلا فى الشوارع ثم أعود لاستئناف الكتابة حتى الثالثة أو الرابعة صباحا وحين أنهى فصلا اراجعه حتى اقتنع به ، ثم أبدأ الفصل الثانى ، ولما بدأت كمية الورق تقل استخدمت ظهر الورقة للتوفير .

لم أشعر بالوحدة خلال تلك الفترة من اوائل سنة ١٩٣١ ، وربما لأن العمل الذى اكتبه استغرقنى تماما ، حتى أنى كنت اتراجع عن مكالمة أو الذهاب لرؤية ماكس بيركنز ، ومع ذلك جاءت مناسبات قابلت فيها بعضا ممن لهم علاقة بالنشر والكتابة ، فقد قضيت ذات مساء فى الحديث مع ريموند ايفريت وشارلس بيرس ، وهما محرران فى دار للنشر ، وفى اواخر مارس ذهبت الى حفلة كوكتيل فى مكاتب شركة ماكولى التى نشرت القافلة الأمريكية .

شيئان رئيسيان جذبانى فى هذه الحفلة ، البوفيه الذى وفر لى الوجبة الكاملة الوحيدة التى تناولتها خلال ثلاثة شهور ، ثم ماى ويست ، وبعد أن أكلت جيدا وحملقت حتى شبعت بماى ويست ، كان ذهنى قادرا أن يتذكر تجربة لقائى ببعض الضيوف الآخرين مثل لورنس ستالنج ، روبرت كانتويل ، مايك جولد ، ادوين سيفر ، جورج شرايبر ، دون بويل ، لويس ماجفورد ، جون شامبرلين ، وادموند ويلسون .

وفى هذا التجمع قابلت ماكسيم ليبر ، وكان محررا فى دار نشر برنتانو ، ويعمل على تأسيس وكالة المؤلفين الادبية وهو

اول وكيل ادبى يدعونى لأكون زبونا لديه ، وكان العرض مفاجئا لى لدرجة أنى لم أصدقه . قلت له أنى لابد أن أفكر قليلا فى الموضوع ، وخشيت أنه يجاملنى كصديق بلفتة كريمة ، وأن العرض سينسى بعد قليل ، ولكنه بعد أشهر كتب يسألنى ما هو القرار الذى وصلت اليه ، أجبت بسرعة أنى أرغب فى الارتباط به إذا كان متمسكا بما قاله ، ومنذ ذلك الوقت بقى ماكس ليبر وكيلى فى جميع ما كتبت من روايات وقصص ، وتولى كل العقود والمفاوضات حول كتبى .

أنهيت المسودة الأولى من طريق التبغ فى ٢٠٠ صفحة فى الأسبوع الأول من ابريل سنة ١٩٣١ ، وكان ما تبقى معى من النقود يكفى ثمنا لتذكرة العودة الى ماونت فيرنون ، وصدرت مجموعتى القصصية الأرض الأمريكية اواخر ذلك الشهر ، كما تسلمت ٣٥٠ دولارا من مجلة سكربنرز عن قصتين نشرتهما ذلك الربيع .

وسألنى ماكس بيركنز بعد صدور مُجموعتى عن رأيى فى كتابة رواية ، لم أخبره أنى قد انتهيت لتوى من المسودة الأولى لرواية ، بل قلت له أنى آمل أن أرسل له مخطوطة رواية قبل نهاية الصيف .

٦

مراجعات المجلات والجرائد لمجموعتى القصصية "الأرض الأمريكية" كانت خليطا منوعا ، بمعنى أن بعض المراجعين مدحوا المجموعة وتعاطفوا معها ، لكن الأغلبية منهم لم يكن كذلك ، لم أكن أتوقع أن يغمرونى بمديح واسع ، فأنا واع لبعض نواحى القصور فى مجموعتى ، ولكنى لم أكن مستعدا لهذه الحملة الواسعة من النقد غير المتعاطف ، خبرتى كمراجع للكتب جعلتنى استعد لمواجهة أشياء أخرى غير المدح ، لكن كان اكتشافا لى أن أجد معظم المراجعين ، حين لا يتفق ما يقرءونه مع وجهات نظرهم او لا يفهمون ما يقرءونه ، يزدرون العمل فى الغالب بل ويعاملون العمل الابداعى بسادية ، والملاحظات التى قيلت حول كتابى ليست فريدة من هذه الناحية ، وقد قرأت مراجعات لكتب أخرى ولاحظت أن التعالى كان صفة عامة فى معظم المراجعين ، ويبدو أن هناك حقيقة مؤكدة فى القول بأن كثيرا من المراجعين والنقاد هم مؤلفون فاشلون أو عشاق عاجزون ، وأنه لابد للناقد او المراجع الجيد أن يظهر مقدرته ، اولا فى ممارسة الحب او اصدار عمل ابداعى .

وفيما عدا قلة من النقاد والمراجعين ، فإن معظمهم نظروا إلى مجموعتى بازدراء ، بل وتعاموا عن الالتزام بواجبهم

النقدى ولم يخبروا القراء بشىء فيما يتعلق بمضمون القصص أو بمدى نجاح الكاتب أو فشله فى محاولته الابداعية ، وعلى العموم فان الكتاب ، وليس بسبب تلك المراجعات بالضرورة ، باع أقل من ألف نسخة .

بعد قراءتى لكم معقول من هذه المراجعات التى كتبت فى مجلات تصدر فى جميع أنحاء البلاد ، لم أعد أحترم مهنة مراجعة الكتب ، وتلاشى اعتبارى لها يوما بعد يوم ، ونتيجة لذلك وصلت لاقتناع أن عمود المراجعة المتوسط أو الصفحة الثقافية أو الملحق الادبى هو ابن الزوج أو الزوجة ويستحق الرثاء فى الصحافة الأمريكية ، يعامل معاملة سيئة ، تستجلب الحزن سنة بعد أخرى ، على يدى محررين فاقدى الحس ومعقدين نفسيا .

بدأت العمل بكتابة المسودة الثانية لطريق التبغ ، بعد تجربة قراءتى لمراجعات مجموعتى القصصية ، بفهم أكبر لما اريد أن أحققه .

كنت حتى وقت قصير ، جزءا من استقبال النقاد لكتابى ، معتقدا بغباء أن نجاح الكاتب يتوقف بدرجة كبيرة على مقدرته فى كسب ود هؤلاء كتاب المراجعات ، ولم يعد لدى الآن مثل هذا التصور ، وفى الوقت نفسه تعلمت درساً قاسياً ، وانى مقتنع الآن بأن واجب الكاتب والتزامه يجب أن يكون أمام نفسه وأمام قارئه .

وأن عليه تكريس جهده نحوهما ، وعلى المراجعين أن

يبحثوا عن مكان آخر لممارسة هوايتهم فى جلد الكتب ، فالقراء هم الوحيدون الذين لهم الحكم النهائى على كتبى .

وجدت أن أفضل تقسيم للوقت خلال ذلك الربيع والصيف ، هو تخصيص ثمانى ساعات للنوم يوميا ، وثمان ساعات للكتابة ، وثمان ساعات للعمل اليدوى ، فقد كان هناك خشب لابد أن يقطع ، وبطاطس لابد أن تزرع ، وعند اواخر يوليه كنت قد انتهيت من المسودة الثانية والأخيرة لطريق التبغ ، وملأت حظيرة الخشب بخشب القبقب والزان المنشور ، وجمعت محصول حبات البطاطس من الحديقة .

لم أكتب أية قصة قصيرة منذ تركت كاليفورنيا فى نوفمبر الماضى ، مخصصا الأشهر الثمانى الماضية للعمل فى الرواية ، ومع ذلك فإن القصص التى كتبتها قبل ذلك ، وقبلت ونشرت بدرجة أكبر من السنة الماضية ، كما أختيرت قصة "دوروثى" والتى نشرت ذلك الربيع فى سكربنرز لاعادة نشرها في مجلد "أحسن القصص القصيرة لعام ٣١" والذى يحرره ادوارد دوبراين .

عدت الى كتابة القصة القصيرة بعد ارسال المخطوطة الى ماكس بيركنز وفى أقل من اسبوعين وصلتنى رسالة قصيرة يعلمنى ماكس فيها أن الرواية قد قبلت وستطبع فى كتاب عن شركة سكربنرز فى اوائل العام القادم .

شعرت أنى استطيع أن أطلب وأنا مطمئن تسلم بعض

حقوقى المالية مقدما . وهكذا هيأت نفسى لمغادرة مونت فيرنون بعد أن مكثت هناك خمسة أشهر تقريبا ، وهى فترة طويلة أقضيها فى مكان واحد ، وحملت حقيبتى وآلتى دون أن انسى علبة لف السجائر وغادرت الى نيويورك بعد يوم عيد العمال ، (أول اثنين من سبتمبر ـ فعيد العمال أول مايو أو أول اثنين من سبتمبر ـ المترجم) .

حين وصلت نيويورك فى سبتمبر سنة ١٩٣١ ، نزلت فى فندق مانيجر لعدة أيام قضيتها فى البحث عن غرفة رخيصة فى مكان هادىء ، مازالت الغرف فى المنطقة التى سبق أن عشت فيها لأشهر ثلاثة الشتاء الماضى ، رخيصة ، لكن المبانى كانت تهدم بمعدل أسرع والضجة المتواصلة ليل نهار تزهد المرء فى الحياة هناك ولو مؤقتا ، حين أخبرت ماكس بير أنى لم أعد أستطع تحمل نفقات فندق مانيجر ، وهى بمعدل ١٤ دولارا اسبوعيا ، اقترح أن نذهب لمقابلة الروائى ثيانال ويست ، كان ويست والذى يعرف بيبب ويست قد صدر رواية عمد كثير من النقاد الى الحط من قدرها باعتبارها رواية معقدة كتبت لفئة خاصة ، ولذا فإنها لم توزع بشكل واسع ، ولم يشعر ويست بالمرارة لملاحظات المراجعين ولكنه شعر بالحيرة لموقفهم غير المتعاطف وعجزهم عن فهم هدفه من الرواية .

وبجانب كونه كاتبا ، كان ايضا مديرا لفندق ساتون الفخم ، وكان يعرف الصعوبات المالية التى يعمل فى ظلها المؤلفون ، ولكونه قريبا حميما لصاحب الفندق ، فقد كان فى موقع يسمح له بتقديم أسعار مغرية للكتاب ابان الأزمة الاقتصادية فى الثلاثينيات ، وقد قيل أنه من الأفضل للفندق ، فى تلك الأيام ، أن يكون ممتلئا بقدر الامكان ، ولو بالدفع الجزئى للأجرة ، أو حتى بعدم الدفع إطلاقا للبعض ، عن أن يظل خاليا ، لا أعرف كم عدد الكتاب والكتاب الواعدين الذين ساعدهم بيب بهذه

الطريقة خلال تلك الأزمة ، ولكن كان فندق ساتون لعدة سنوات أحد الفنادق القليلة من نوعها الذى كانت النوافذ المضاءة به أكثر من النوافذ المظلمة .

وبالرغم من أن بيب وافق على انتقالى للاقامة فى ساتون ، فإنه رفض أن يحدد سعرا للغرفة أو يشير الى ذلك قائلا أن بامكانى دفع ما اقدر عليه ، ولأنى على معرفة بالأسعار الأساسية للفندق ، خجلت أن أخبره أن حدود امكانياتى تتوقف عند أربعة دولارات اسبوعيا ، أو خمسة على اكثر تقدير ، ومع ذلك حثنى ماكس ليبر ألا أضيع مثل هذه الفرصة ، وانتقلت الى غرفة فخمة فى الفندق ذلك اليوم .

بعد اسبوع من اقامتى ، ذهبت إلى موظف الحسابات وقدمت له عشرة دولارات أجرة الأسبوع ، لم يقل أحد شيئا يضايقنى لكنى شعرت بالضيق ، كنت أعرف أن ما أدفعه بالرغم من أنه ضعف ما استطيعه فهو يقل عدة مرات عن السعر المقرر للغرفة .

أثناء هذه الفترة كان بيب يكتب رواية نشرت فيما بعد تحت عنوان "سيدة القلوب الوحيدة" ولكنه لم يكن مقتنعا بما يكتبه ومزق المسودة مرتين ، وكان يقول ، كلما تحدثت معه ، أنه يرغب فى ترك نيويورك والذهاب إلى مكان ما فى الريف لينهى روايته ، وبالنسبة لى فلم أكن راضيا عن تقدمى فى الكتابة ، ولم استطع كتابة سوى بضع صفحات فى الرواية التى خططت لكتابتها ذلك الشتاء ، وشعرت بالقلق تحت هذه الظروف .. وتحققت أن لابد من المغادرة والبداية من جديد

فى الرواية بمكان آخر ، فى تناول الخبز والجبن فى آحد ألغرف الفخمة المغطاة بالسجاد كان أكثر مما تتحمله طاقتى ، فمهما شربت من الماء فإن بلع الطعام كان يزداد صعوبة .

بعد ثلاثة اسابيع من الاقامة فى ساتون ، أخبرت بيب أنى لابد من الانتقال الى مكان اقل فى التكلفة ، فحثنى على البقاء ، قائلا أنه بالنسبة لك يمكن أن تدفع دولارا فى الأسبوع أو لا تدفع على الاطلاق ، ومع ذلك حزمت حقيبتى ورحلت ، ذهبت ، هذه المرة ، الى غرب المدينة ، واستأجرت غرفة فى الطابق الثالث على بعد قليل من سنترال بارك ، كانت الأجرة اربعة دولارات ونصف فى الأسبوع .

تجربة كتابتى لرواية طريق التبغ مازالت تحتل عقلى تفكيرى ، فعزمت أن أطوع نفسى لكتابة الرواية التالية عن الحياة فى مكان غير الجنوب ، لم تكن طريق التبغ قد نشرت بعد ، فلن تظهر قبل فبراير سنة ٣٢ ، ولكنى كنت متشبعا بها لدرجة أنى كنت خائفا من أى كتابة عن الجنوب فى ذلك الوقت ستكون أقل قوة وبالتالى أقل تأثيرا ، اذن فالقصة التى بدأت اكتبها كانت عن عائلة من مين ، ولأنى انفقت ضعف المبلغ الذى كنت مقررا انفاقه فى الشهر الأولى لى فى نيويورك ، فقد حاولت أن أعيش بتقشف اكثر عن ذى قبل مازلت اتناول خبز الشوفان وجبنة مصايد الفئران فى غرفتى ، وحين أخرج بعد العصر ، ادفع عشرين سنتا لطبق من شوربة الفاصوليا وأوفر ثمن فنجان القهوة ، لقد خططت أن أقيم فى نيويورك خمسة أشهر أنهى فيها المسودة الأولى والثانية من الرواية الجديدة ، لكنى كنت أسير فى الكتاب ببطء اكثر من اللازم .

٨

كنت سأتضور جوعا ذلك الخريف في نيويورك ، لو لم أكن محظوظا بتناول وجبة كاملة عدة مرات اسبوعيا خلال أكتوبر ونوفمبر ، كانت تقطن الغرفة المجاورة لي في الطابق الثالث سيدة ظريفة ، لديها طبقان كهربائيان تعد عليهما الوجبات مرتين يوميا . لم يكن يسمح بالطهي في نظام الغرف التي نستأجرها ، لكن في حالتنا هذه كانت صاحبة المنزل متساهلة ، كانت رائحة الطعام تملأ الصالة وتتسرب من الشق تحت الباب الى غرفتي كل ظهر ، بعد اسبوع من انتقالي الى هذا البيت ، اخبرتني الفتاة أن أسمها ماريانا وأنها جاءت إلى نيويورك من ميامي في اوائل سبتمبر ، بدت كأنها في الثامنة والعشرين أو التاسعة والعشرين ، كنت في السابعة والعشرين آنذاك ، كانت ضئيلة الحجم بشعر بني ، ومن الواضح أنها قادرة على انفاق مبلغ معقول على ملابسها ، لكنها لا تخرج للعمل .

ذات مساء في اواسط اكتوبر دعتني لأول مرة على العشاء ، كنت جالسا في غرفتي والباب مفتوح قليلا ، وأنا أتناول الخبز والجبن ، نظرت في غرفتي وسألت : أهذا كل ما تتناوله على العشاء ؟!

أخبرتها صادقا دون أن أظهر البؤس أنها هي وجبتي المعتادة في ذلك الوقت كل يوم ، طلبت مني الحضور فوراً إلى

غرفتها لتناول بعضا من يخنى لحم البقر الذى أعدته ، لقد شممت رائحة طهو اليخنى منذ ساعتين وأضحيت أكثر جوعا قبل تناولى الخبز والجبن ، تبعتها الى الغرفة المجاورة ورأيت أنها قد أعدت طاولة صغيرة عليها طبقان وفنجانان ، وشربت أطعم قهوة تذوقتها منذ اسبوع ، وأنا أشرب الفنجان الثانى سألتنى كيف أتهجى اسمى ، فسألتنى : ألم يسبق أن دعاك أحد باسم سكينى ، قلت : أحيانا .. كيف عرفت ؟ قالت لأن ذلك هو التصغير المنطقى الوحيد الذى أتخيله لارسكين ، إنه من المقطع الأخير لاسمك .

وكان اسم التدليل مناسبا لسبب آخر ايضا ، حين كنت العب الكرة كان وزنى ١٨٠ رطلا ، لكنى فى السنوات الأخيرة ، هبط وزنى الى ٩٨ رطلا ونادرا الى ١٢٥ رطلا ، وكنت ست أقدام طولا (سكنى تعنى النحيف ، جلد على عظم - المترجم) .

سألتنى لماذا أقضى هذا الوقت الطويل اكتب على الآلة الكاتبة ؟ أخبرتها أنى أكتب رواية .. قالت أنها رغبت فى كتابة القصص القصيرة حين أنهت الجامعة ولكن بدلا من ذلك عملت مدرسة لثلاث سنوات .

جلسنا نتحدث حوالى الساعة ، لاحظت خلالها انها كانت عصبية وخائفة من شيء ما ، وحينما يعلو صوت خطوات فى الصالة أو على السلم تنصت باهتمام كما لو كانت تتوقع شخصا ما ، كان باب الغرفة مغلقا .

سألتها : هل تتوقعين احدا ؟

هزت رأسها بسرعة قائلة : لا .. ثم قالت بحزم : لا .. لا أحد قادم

نهضت ، وذهبت إلى النافذة ، أطلت من بين الستائر المنفرجة ، وبعد عدة دقائق عادت وجلست .

قالت وهى ترتعش ، وقد ابيض وجهها وعلاه التوتر : أنا خائفة ، خائفة فعلا .. سألت مندهشاً : مم تخافين ؟

نظرت نحوى نظرة طويلة كأنها تقلب الأمر هل تقول او لا تقول .

قالت : هناك رجل ..

توقفت ، ونظرت نحوى عدة دقائق كأنها فقدت فجأة الثقة بكل البشر ، قبل أن تضيف : رجل شرير .. وأكملت : يملك مطعما عند ركن شارع كولمبس .. انه .. لا ادرى .. يهددنى كل يوم تقريبا .

- إذا كان يهددك لماذا لا تخبرين الشرطة لتساعدك ؟

- أخبرنى ألا أفعل .

- يمكنك ترك المكان والذهاب إلى مكان آخر . يمكنك العودة الى فلوريدا ألا تستطيعين ؟

هزت رأسها جافلة ، سألتها : لماذا لا تعودين إلى فلوريدا ؟

- لأنه قال لى ألا أفعل .

- منذ متى تعرفينه ؟

- منذ قابلته فى ميامى .. منذ عام .

ـ هل أخبرك أن تأتى إلى نيويورك ؟
أومأت بالأيجاب .
ـ هل سبق له أن جاء هنا لرؤيتك ؟
أجابت فورا : لا
ـ متى ترينه ؟
ـ حين أذهب الى المطعم .
ـ لا تذهبى الى هناك إذن .
ـ لا أستطيع ، لا ادرى ما جرى لى ، لكنى لا استطيع الابتعاد عنه لابد أن احضر الى نيويورك حين يطلب ذلك ، اشعر أن علىّ أن أفعل ما يقوله ولا ادرى لماذا أفعل ما يقوله لى ، لكنى مضطرة لا ادرى ما سيحدث لى ، لكن سيحدث شىء وأنا خائفة .

ـ ما الذى يمكن أن يفعله اذا اراد أن يفعل شيئا ؟
ـ يضربنى .. ولا ادرى ما سيفعله غير ذلك .
ـ ما الذى يجعلك تفكرين بهذه الطريقة ؟
ـ لا أعرف .. ولكن هذا ما افكر به طوال الوقت .

نهضت وبدأت تغسل الأطباق فى الحمام ، قمت اسير فى الغرفة دهشا منها ، تبدو عادية فى كل شىء إلا فى خوفها هذا ، سواء كان حقيقة أم تخيلا ، لم استطع أن أقرر إذا ما كانت قد اخترعت هذه القصة أو أن هناك رجلا فعلا يسيطر عليها بهذا الشكل ، حين انهت غسل الأطباق .. غيرت ملابسها فى الحمام وجاءت لتجلس على السرير .

لم يشر أى منا إلى خوفها مرة ثانية ، حيث غادرتها عند

منتصف الليل الى غرفتى ، قلت لها : إذا جاء أحد هنا هل تخبرينى ؟

أجابت بوقار هازة رأسها : لا يأتى الى هنا ابدا . لابد أن أذهب الى هناك . هو قال لى ذلك .

وخلال ايام أكتوبر التالية وشهر نوفمبر كنت اذهب إلى غرفة ماريانا عدة مرات اسبوعيا واتناول الوجبات التى تعدها ، ولكنها لم تبح بأى معلومات أخرى عن خوفها السابق ، ومع ذلك ظلت مصرة أن هناك رجلا سيؤذيها بشكل ما وتعتقد أن ذلك حتمى ، وكانت تغادر المنزل لفترة قصيرة كل يوم لتشترى الطعام ، فى اوائل ديسمبر خرجت بعد ظهر أحد الأيام والثلج يتساقط ولم ترجع ثانية ، فتحت صاحبة البيت غرفتها بعد ثلاثة أيام وأبلغت البوليس الذى وجد فى الغرفة عنوان اقارب لها فى ميامى ، فأعلموهم أن ماريانا قد إختفت ، وبعد حوالى اسبوع حزموا حاجاتها وارسلوها بسفينة الى فلوريدا .

أخبرتنى المالكة بعد ذلك أن الشرطة استجوبت صاحب مطعم فى شارع كولمبس أفاد بأنه رأى فتاة فى أوصاف ماريانا ترددت على مطعمه عدة مرات فى الأشهر الثلاثة الأخيرة ، وأنه لم يحدثها إطلاقا ولا هى حدثته أيضا ، وأقنع البوليس أنه لا يعرف شيئا عن اختفائها .

« ٩ »

لم اقتنع بالمسودة الأولى للرواية التى اكتبها عن عائلة تعيش فى مزرعة منعزلة على طريق خلفى فى "مين" ووجدت صعوبة فى اتمامها فيما تبقى من ايام السنة ، لكن المسودة الثانية التى بدأتها فى يناير سنة ١٩٣٢ وانهيتها فى مارس كانت افضل بكثير بل أمتع وأقرب إلى الهدف الذى كان فى ذهنى .

عدت الى ماونت فيرنون لأجهز المخطوطة لارسالها الى شركة سكرنبرز سنز حيث لها الحق - حسب بنود العقد - فى طبع الكتابين التاليين لطريق التبغ ، وفى الوقت نفسه صدرت رواية طريق التبغ فى فبراير ، ووزعت اكثر بقليل من المجموعة القصصية ، ووصلت مجمل مبيعاتها بضعة آلاف نسخة ، كانت حصيلتها من النقود تغطى بالكاد مقدم الحقوق التى أخذتها ، وهذا يعنى أن هناك أملا ضئيلا فى استلامى أى مبلغ من حصيلتها ذلك العام ، ولم استطع منع نفسى من القلق حول الكيفية التى سأساعد بها عائلتى ، حقيقة كان هناك الكثير من البطاطس واللفت الأصفر للأكل ، ولكن كان ذلك كل شىء .

كتب عدد من النقاد مراجعات تتسم بالفهم والتعاطف ، وأن بقيت نسبة المراجعات المعارضة بالقدر نفسه كالمرة السابقة ، فالمراجعات التى قرأتها كانت بصفة عامة مشابهة لتلك التى

كتبت حول كتابى الأول على الرغم من احتلال المراجعات لمساحات اكبر بشكل ملحوظ فى معظم المطبوعات ، وتناول الرواية من عدد أكبر من الصحف والمجلات .

لم يطرأ تغيير يذكر على وجهة نظرى فى المواصفات والامانة الثقافية للمراجع العادى ، ولم اسمح لنفسى بالابتهاج لدرجة كبيرة بالمراجعات المتعاطفة ، ولا أن احبط بدرجة كبيرة بالمراجعات المعارضة .

بعد نشر طريق التبغ بقى موقفى الفكرى تجاهها كما هو ، وكان من المستحيل أن يقنعنى انسان بأن القصة لم تكن جيدة أو أن تصويرها للحياة التى تعرضها وتعبر عنها لم يكن اصيلا .

مر حوالى شهر دون أن يذكر ماكس بيركنز شيئا عن مخطوطة الرواية الجديدة التى ارسلتها اليه ، ثم كتب الىّ يقول أن لجنة القراءة فى سكرنبرز فشلت فى الاتفاق على رأى موحد حول الرواية ، ورغم أنه مع طبعها فانه لا يستطيع قبولها تحت هذه الظروف .

وكانت هذه أخباراً محبطة ، بالاضافة الى أن ذلك يعنى أنى لن أقبض أية حقوق مقدما يمكننى أن أعيش عليها ، وكان أول رفض يواجهنى منذ فترة طويلة ، واقتناعى الزائد بما كتبت جعلنى غير مستعد لذلك الرفض ، فى البداية سيطر علىّ الاحباط والتعاسة حتى أنى فكرت جديا ترك الكتابة والبحث

عن مجال آخر اعيش منه ، ولكنى ادركت بسرعة عبث هذا التفكير .

وبعد عدة ايام من التفكير ، سافرت الى نيويورك ، ولدهشتى لم يكن ماكس ليبر (وكيلى) قلقا بأى شكل ، بل على العكس كان يؤكد لى أن هذه ضربة حظ وضعته فى موقع يستطيع أن يتفاوض منه مع ناشر آخر وبشروط أفضل ، وكان قد تحدث مع ماكس بيركنز وأحاط علما بانقسام الآراء الذى ادى إلى رفض الرواية ، وبعد سماع تقريره فهمت أن شارلز سكربنر ، الذى لم اره قط ، كره الرواية وعارض نشرها .

ذهبنا لرؤية ماكس بيركنز فى مكتبه وتحدثنا حديثا وديا طويلا ، وقال فى النهاية أنه يأمل ألا ابحث عن ناشر آخر وأن أقدم لهم كتابى التالى رغم أن رفض الرواية يناقض العقد ويعطينى الحق فى نشرها فى مكان آخر .

كنت على استعداد أن أوافق على العرض ، لكن بدبلوماسية شديدة نجح ماكس ليبر فى اخراجى من المكتب قبل أن يؤدى احترامى لماكس بيركنز فى توريطى ، وغادرنا ونحن أصدقاء معه ، قائلين أنها مسألة تحتاج وقتا للتفكير ، وذهبنا الى مقهى لنتناقش مدة ساعتين للوصول إلى قرار .

قال ماكس ليبر اخيرا : أنت حر .
كان مستفزا لعدم موافقتى له بألا أعود لسكربنرز .
قال : سكينى لا يوجد سبب فى العالم يجعلك لا تقدم على الخطوة الأكثر فائدة لمصلحتك .. المؤلف يجب أن يطبع كتبه

وإلا توقف عن أن يكون مؤلفا نشطا . هذه القصة التى كتبتها تعجبنى ، وماكس بيركنز يقول انها تعجبه ، وأنت قلت أنها تعجبك ، أليس هذا كافيا ؟

قلت : لا أعرف ياماكس .. مازلت لا استطيع أن أصل بنفسى الى نقطة قطع ارتباطى بماكس بيركنز .. ولا أعرف ماذا افعل .

إذن انظر للأمر بالشكل التالى ، لقد قضيت فترة طويلة من السنة فى كتابة الرواية .. واذا لم تطبعها .. فلا يوجد ما تقدمه بديلا لها ، أليس من الأجدر أن نتعامل مع ناشر آخر ، من أن ندع الأسباب العاطفية تشدك لسكربنرز ؟ كن واقعيا فى تفكيرك .. انتبه لحياتك .. لديك عائلة تعيلها .. ودخلك الوحيد من الكتابة .. ذلك هو الجانب الاقتصادى المحطم فى الموضوع كله ، أعرف مقدار احترامك لبيركنز كمحرر وانسان وأنا أحمل الاحترام نفسه نحوه .. وقد قال بنفسه أن الكتاب يجب أن ينشر ، والآن دورك لتتخذ الخطوة .

سألت : من سينشره ؟

- هناك العديد من الناشرين المغامرين الذين يتشوقون لاصداره .. اترك ذلك لى .

- ولكن هذا يعنى أن نترك سكربنرز ؟

- طبيعى .

كان من المزعج بعد معرفتى الطويلة لبيركنز أن أفكر بقرار كهذا .. كان ذلك يعنى أنى لم أعد فى موقف يسمح لى أن

أتصل به للمساعدة أو النصيحة ، وقد أعتدت أن أنتظر رسائله بشوق وابدأ بقراءتها قبل الرسائل الأخرى .

غادرنا المقهى وعدنا الى مكتب ماكس ليبر ، حين وصلنا كنت على استعداد لقبول نصيحته ، حين اخبرته بذلك طلب منى الحضور فى اليوم التالى .

سرت فى الشارع الخامس الى مبنى مؤسسة سكربنرز ، وقفت على الناصية اتطلع الى نوافذ مكتب ماكس بيركنز ، ودمعت عيناى وكنت أفكر كيف أخبر وكيلى أنى غيرت رأيى ولا أرغب فى أن يبحث لى عن ناشر آخر .
حين وصلت مكتب ماكس ليبر صباح اليوم التالى ، اخبرنى بحماس بأن هناك دقائق قليلة ويحيل موعدنا مع هارولد جينزبرج ومارشال بيت من مؤسسة فايكنج برس . أردت أن أبقى فى مكتبه وأشرح له مشاعرى حول ترك سكربنرز ، لكنه كان منفعلا لتوقعه أن يصل الى تفاهم جيد مع مؤسسة فايكنج حتى أن لم استطع تمالك نفسى لقول أى شىء .

أشار الأثنان إلى المزايا التى يمكن تحقيقها من توقيع عقد مع مؤسسة فايكنج برس ، وبعد غداء فخم ووفير اقتنعت بتقديم كتبى الثلاثة القادمة لهم ، وناولهما ماكس ، ونحن نغادر ، مخطوطة الرواية التى رفضتها سكربنرز .

عدت إلى ماونت فيرنون بمجرد توقيعى على بنود العقد مع فايكنج أشفقت فى البداية أكثر من أى وقت مضى على قطع ارتباطى بماكس بيركنز ، لكن أسعدنى الاهتمام الذى ابداه

هارولد ومارشال بعملى ، وبعد تفكير طويل تساءلت هل دعوتهما لى على الغداء وحتى على تناول ما اريد دون النظر الى التكلفة هو مادفعنى إلى تغيير ناشرى ؟ المرة الوحيدة التى دعانى فيها بيركنز إلى الغداء طلب لى ساندويتشا وكوبا من عصير البرتقال .

وسألت نفسى هل أرغب حقيقة فى طبع الرواية التى تدور فى مقاطعة مين فى ذلك الوقت ؟ لقد قمت بكتابتها فى محاولة لتصفية ذهنى من تجربة كتابة طريق التبغ ، وقد أدت الغرض التى كتبت من أجله .

والآن تأكدت تماما أنى أريد الاستمرار فى الكتابة عن الجنوب ، وقد فكرت فى قصة خلال الأسابيع الماضية ، شعرت أنى يمكننى كتابتها بنفس قوة طريق التبغ ، وهى عن الحياة فى مكان آخر شرق جورجيا .

وكما حدث فى سكرنبرز ، فإن لجنة القراءة فى فايكنج لم يتفق رأى محرريها حول الرواية ، أو ربما كانوا مجمعين على معارضة نشر الرواية ، على أية حال كنت أرغب فى ذلك الوقت فى عدم نشرها ، وبالتالى فإن ماكس ليبر سحب اعتراضه ، وبذا لم استفد من الغرض الرئيسى لتغيير الناشر ، ولكنى بدأت اسعد بارتباطى الجديد . وكنت متشوقا لبدء العملْ فى رواية الجنوب الثانية ، ومن المحتمل أن أنتهى منها لتطبع فى اوائل العام القادم وفى اوائل مايو بدأت اكتبها واسميتها "أرض الله الصغيرة" .

« ١٠ »

بالرغم من أني جعلت إقامتي الدائمة في ماونت فيرنون لعدة سنوات ، فإني لم أكتب كتابا واحدا هناك ، فالأرض الأمريكية كتبت معظمه في أوجستا وموراتا وبلتيمور وبورتلاند ، وطريق التبغ كتبت في غرفة في أحد شوارع نيويورك ، والرواية التي مازالت مخطوطة كتبت في غرفة في شارع قرب سنترال بارك .

كان لابد أن أعود إلى ماونت فيرنون ذلك الصيف لقطع الأخشاب وزراعة البطاطس ، بالاضافة إلى أني لا أملك ما يمكنني من الاقامة في نيويورك أو أى مكان آخر ، وكانت النقود الوحيدة المتاحة لأعيش بها هي تلك التي أتلقاها كمكافأة عن قصة نشرت هنا أو هناك ، وهي تتراوح بين ٥ دولارات وخمسة وعشرين دولارا عن القصة ، وهناك عدد قليل من المجلات لم يدفع شيئا ، ظهرت هذه القصص في مجلات باجاتي ، ستورى ، كلاى ، كونتاكت ، وغيرها ، إحدى هذه القصص اختيرت ليعاد نشرها في أحسن القصص القصيرة سنة ١٩٣٢ ، وكان عنوانها "نهر دافيء" وقد نشرت أولا في مجلة باجاتي الفصلية التي يصدرها ريتشارد جونز .

في دفء فصل الربيع في مايو ، كنت سعيدا أن الوقت قد حان لكتابة عمل في "مين" كانت الأيام طويلة ، أحيانا مشرقة بنور الشمس وغالبا ضبابية بسبب تقلبات الطقس ، وسواء

كانت ذلك أو تلك فقد كانت اياما سعيدة ومبهجة ، يمكن للمرء أن يرى حيوانا مرموط الخمائل يتشمس فى الحقول ، والأرانب تقضم العشب عند الأصيل فى المروج أو أفنية المنازل ، وكانت الأمسيات غالبا باردة ، لكن ليست الى درجة تحتاج لاشعال النيران للتدفئة .

وكما أحببت طريقتى فى كتابة كل كتاب ناجح فى مكان مختلف ، أحببت أن أجرب كل مرة طريقة مختلفة فى الكتابة ، كنت دائماً أكتب مسودتين أو أكثر من كل رواية أو قصة طويلة ، بينما أعيد كتابة ومراجعة قصصى القصيرة مرات عدة ، لكن حينما بدأت كتابة أرض الله الصغيرة ، أردت أن تكون مسودتها الأولى هى النسخة الأخيرة وتكون جاهزة للنشر بمجرد كتابة الصفحة الأخيرة ، كانت أحداثها قريبة الى سطح الوعى عندى ، وشخصياتها مألوفة لذهنى ، حتى أنى اقتنعت أنها ستنجز بهذه الطريقة .

وحينما كتبت الصفحة الأولى ، شعرت أنها ستسير بتلك الطريقة ، فأخرجت الورقة من آلتى الكاتبة ، ووضعتها مقلوبة على الأرض ولم أنظر اليها حتى كتابة الصفحة الأخيرة .

وبما أن العمل اليدوى كان كثيرا ذلك الربيع والصيف ، ويحتاج لانجازه الى وقت فى الأرض المخصصة للأشجار الحرجية وفى حديقة الخضراوات ، فقد قررت أن أكتب فى الأيام الزوجية من الشهر وأن أعمل خارج المنزل فى الأيام الفردية ، فى نهاية الشهر الأول كانت البطاطس قد زرعت

وحملان من الخشب الزان ، والقبقب قد قطعا ، وصفحات خمسة فصول من الرواية تستلقى على الأرض .

بعد شهرين ، كنت قد أنجزت ثلثى الرواية ، ورغم أنى لم أعد قراءة أى جزء منذ نزعته من الآلة الكاتبة فإنى كنت مقتنعا أن كل شىء يسير على مايرام .

في اوائل يوليه ، بدأ الزوار يتوافدون على ماونت فيرنون لقضاء نهاية الأسبوع ، كان الفرد مورانج يأتى من بورتلاند بانتظام ليجلس فى ظل شجرة تفاح ويرسم طول النهار ، كما كانت هناك زائرة مواظبة أخرى من بورتلاند ، فتاة اسكندنافية زرقاء العينين ، شقراء الشعر . تحب النهوض مبكرا فى الصباح لتنغمس فى إحدى [illegible] على المرج المندى لمدة نصف ساعة قبل الإفطار . [illegible] تتأمل حمام شمس بوقار كبير .

زارنى جارى "ارثر دولوف" ذات أصيل ليرى التقدم الذى أحرزته فى قطع الأخشاب ، وصادف فى طريقه الفتاة تلتقط التوت فى الايكة على جانب التل ، لم يكلمها ، وتوقف طويلا ليفحص القماش الذى يرسم عليه "الفرو" ثم أسرع حيث كنت أنشر الخشب ، وقال معلقا ومشيرا بذقنه إشارة خفيفة إلى الدغل وبستان التفاح اللذين يبعدان حوالى خمسين ياردة : .ارى انك حصلت على صحبة من المدينة ثانية ، تمتمت بكلمات غامضة دون أن أرفع رأسى عن كتلة الخشب التى أنشرها .

قال : ذلك الرسام يبدو مسالما .. لا اقول أن ذلك مفيد لكن يستحق أن يبتعد الانسان عن البلايا مادام عقله لم يضل .

استدار والقى نظرة سريعة تجاه شجيرات التوت الأسود ، من العقل لزائر نشأ فى المدينة أن يجلس فى الظل كما يفعل ، فهو لن يصاب بضربة شمس إذا حفظ رأسه وبقى حيث هو .

لم يضف أى تعليق حتى انتهيت من نشر كتلة الزان ، قال بحزن :

ـ ليس في يدى ما افعله .. لكنى قلق على الفتاة الصغيرة .

سألته : لماذا يا آرثر ؟

ـ لأنها تجمع التوت بأغرب طريقة رأيتها أو سمعت بها ، لابد أن تزودها ببعض الملابس القديمة حتى لا تتمزق ملابس المدينة الأنيقة وسط الأغصان الشائكة .. أنت منهمك فى نشر الخشب ولا تدرى بذلك ، ولذا اخبرك .. إنها هناك على المنحدر الجنوبى من البستان حيث كثافة الأغصان الشوكية ، إنها عارية من الرأس الى القدم ، وأى إنسان عاقل يستطيع أن يسمع صوت احتراق جسدها وهو يطش فى الشمس الحامية .

أوضحت له أن "ساين" تدرك ذلك وأن حمام الشمس أحد أفكارها للبقاء فى صحة جيدة فهى من أنصار العراء .

قال : لم أكن لأقول عنها ذلك .. تحدثت بلغة عامة .. إنها عارية تماما .

ـ إنها اسكندنافية .. وكثير منهم يؤمنون بالثقافة البدنية .

ـ ليس لدى رغبة فى تعلم الكثير عن الأجانب ، لكنى أخمن أن جلدهم يمكن أن تصيبه القروح كأى شخص آخر .. إذا أصرت على أن تبقى كذلك ولم ترغب فى إرتداء ملابسها ، فعليك أن تحذرها وتنصحها بحمل مظلة فوق رأسها .. وإلا فسيقشر جلدها من حرق الشمس .

ظل صامتا حتى نشرت كتلة أخرى من خشب التدفئة ، تساءل :

ـ هل تخطط لتمكث سنة أخرى هنا ..
ـ طالما استطعت دفع المائة دولار أجرته السنوية أو أن أحصل على الف دولار لشراء المكان .
ـ إذا قررت أن تبقى فعليك الحضور فى الخريف والشتاء لتحصل على خشب للتدفئة للسنة القادمة ، حين ينساب النسغ من الجذوع ، اذا فعلت ذلك فلن تضطر لتشقى فى نشر الخشب الرطب ثم تجفيفه ، لا أعرف الكثير من أهل المدن الذين ينشرون الخشب فى الربيع والصيف حين يكون النسغ قد جف .

شكرته على النصيحة ، وحاولت أن أوضح له أن سبب قطعى الخشب فى الصيف هو بعدى عن البيت ، عادة ، فى الخريف والشتاء .. لم يقتنع بتفسيرى ، وتناول حفنة من النشارة الرطبة وضغطها حتى أصبحت مثل كعكة صلبة ، ورمقنى بنظرة ذات معنى ، ورماها جانبا .

وسألنى بعد فترة : هل تخطط لزراعة شىء لو بقيت هنا ؟

قلت : فترة كافية تسمح بزراعة بطاطس ولفت فى الحديقة ، أما بقية وقتى فأقضيه فى الكتابة ، الكتابة هى تجارتى يا آرثر .

ساد صمت طويل ، وعرفت قبل أن يعاود الكلام ، أنه وجد الفرصة التى كان يبحث عنها ، لم ينس أبدا انتقال الجرذان من برد بيتى القاسى الى دفء بيته فى الشتاء ، وكان عليه أن ينتقم بطريقة ما قبل أن يهدأ باله .

قال بايماءة قصيرة : حرفتك ككاتب لا توفر لك عيشة مريحة أليس كذلك ؟

ـ اعترف بذلك .

يبدو أنه اقتنع فقد سار فى الأحراش متخذا الطريق المضاد الذى جاء منه ، ودون أن يقول شيئا ، متجنبا تعريشة التوت الأسود على المنحدر المشمس قرب بستان التفاح .

« ١١ »

كتابة آخر صفحة ، آخر فقرة ، آخر جملة ، ثم آخر كلمة فى رواية أرض الله الصغيرة ، كانت أكثر التجارب إشباعا لى منذ بدأت الكتابة أول مرة ، كنت أكثر سرورا وسعادة منى حين انتهيت من طريق التبغ ، وذلك لسبب واحد هو أن الرواية تغطى مساحة اكبر وتقدم فى قصة واحدة طريقة الحياة فى مدن الجنوب والمعيشة اليومية لعائلة فى مزرعة بدأت الرواية بثقة ودون خوف أو شكوك حول مردودها والذى ضايقنى خلال كتابتى لروايتى الأولى ، وشعرت لأول مرة فى حياتى أنى استطيع أن أعتبر نفسى روائياً محترفاً .

انهيت الكتاب فى اواخر اغسطس ، وبعد ايام قليلة اخذته الى نيويورك ، بدا لى ان الدهشة اعترت كل فرد فى مؤسسة فايكنج حين سمع أنى جئت بمخطوطة كاملة لرواية جديدة ، وحتى ماكس ليبر دهش حين رآها ، وحين اعطيتها لهارولد ومارشال لم يقنعا بأنى كتبتها خلال الشهور الثلاثة الماضية .

عزمت أن أبقى فى نيويورك حتى يقرأ هارولد ومارشال الرواية ويتخذا قرارا بشأنها ، لكنى كنت عاجزا عن دفع نفقات الفندق هذه المرة بدرجة أسوأ من المرات السابقة ، حين سمع مارشال بذلك طلب منى أن أقيم معه فى شقته .

بعد أيام قليلة ، قبلت الرواية وتقرر نشرها اوائل سنة ١٩٣٣ ، ورتب لى ماكس أن آخذ مبلغا كمقدم ضعف ما أخذته عن أى كتاب من قبل .

كان مجمل دخلى سنة ١٩٣٣ حوالى ٧٠٠ دولار ، وهو أكبر مبلغ جنيته من الكتابة ، عدت الى مين ودفعت أجرة سنة مقدما وبقى مبلغ يكفى عائلتى لستة اشهر قادمة ، تناولنا اللحم المشوى لأول مرة منذ سنة ، وتركنا اللفت ليتعفن فى الأرض ذلك الخريف ، وأملت أن أكون ما أكلته منه هو آخر ما آكله فى حياتى .

ارسل لى ماكس ليبر (وكيلى الأدبى) عدة اوراق واتفاقيات لأوقعها عن السنة الماضية ، كنت أهتم أكثر بما اكتب وأقل فى تفاصيل العمل المتعلق بأعمالى ، وبدأت أعطى انتباها لهذه الأمور . أحد هذه الاتفاقيات التى وقعتها والتى ذكرنى بها ماكس ، تعطى الحق لجاك كيركلاند بتحويل طريق التبغ إلى مسرحية ، ويطالبنى جاك الآن بحق تحديد الاتفاق ، كان المسرح بعيد عن حياتى حتى أنى لم أعر حكاية المسرحية ادنى تفكير ، ومازال يبدو لى أنه من غير المناسب تحويل الرواية الى مسرحية ، كتبت لماكس انى لست مهتما بالموضوع ولكن اذا اصر فلا مانع لدى من تحديد الاتفاق ، أكد لى ماكس أن جاك جاد فى مسرحية طريق التبغ ويقترح أن تقدم فى برودواى ، وقعت الورقة وارسلتها إلى ماكس دون تعليق .

وماكان يثير اهتمامى آنذاك هو كتابة القصة القصيرة ، لقد خصصت معظم وقتى فى السنتين الاخيرتين لكتابة ثلاثة

روايات ، ومعظم القصص القصيرة التى كتبتها أما قد نشرت أو فى طريقها الى النشر .

ذهبت ذلك الخريف للعمل فى غرفة علوية فى البيت الكبير واكتب قصة بعد أخرى ، ولم يحدث أن سألت نفسى عن الهدف من كتابتى للقصص والروايات حتى واجهنى السؤال بالحاح يتزايد ، احب كتابة القصص والروايات كما يحب البعض تربية الماشية أو لعب الكرة أو ممارسة القانون . ولأنى لا اكون سعيدا بممارسة أى شىء آخر ، وأردت أن أجعل من الكتابة مهنتى وأن أنجح فى ميدانى واكسب عيشى عن طريقها بالضبط كأى مهنة أخرى أو تجارة يمارسها الناس .

وحين أسأل لماذا اكتب القصص ، كل ماكنت أقوله انى أحب الكتابة ، وحين أسأل عن تفسير أو شرح معنى قصة أو رواية كنت أقول أنها تعنى ما قالته للقارىء ، ليس لدى حقائق فلسفية اعلنها ، ولا قضية ابشر بها لتغيير مجرى التاريخ ، كل ما اردت عمله ببساطة أن أصف على قدر استطاعتى آمال وآلام الناس الذين اكتب عنهم ، واذا كان هناك دروس داخلها ، فكل قارىء حر فى أن يفسرها كما يشاء حسب وعيه .

ارسل الآن كل شىء أكتبه الى ماكس ليبر ، بدل من ارساله مباشرة الى المجلات كما كنت أفعل من قبل ، وكان ماكس صارما فى اصراره على توقفى عن ارسال القصص القصيرة الى المجلات الصغيرة لنشرها ، وطلب أن يبقى القصص

عنده حتى لو لم تجد لها ناشرا على الفور .. وبالتدريج بدأت هذه القصص تظهر واحدة اثر الأخرى فى مجلات شهيرة لم تنشر فيها أعمالى من قبل .

استطعت شراء آلة كاتبة جديدة من ماركة كورونا ، وكانت الآلة القديمة التى استعملتها لعشر سنوات تقريبا قد تفسخت وتكاليف اصلاحها تقدر بثمن واحدة جديدة ، واوضح المتعهد الذى اشتريت منه الآلة الشنطة الجديدة أن الآلة القديمة لايمكن إصلاحها لكنه دفع فيها اخيرا خمسة دولارات .

التبذير الوحيد الذى وقعت فيه كان شرائى لثلاث نسخ من قاموس وبستر ، وكانت نسخة واحدة جديدة تكفى ، لكنى ولمدة طويلة كان طموحى أن يكون لدى ثلاثة قواميس فى الوقت نفسه .. فالقاموس القديم والذى استخدمته كثيرا وحملته فى كل مكان ذهبت اليه كان قد تمزق وضاعت منه عدة صفحات ، وضعت نسخة فى الغرفة العلوية حيث أعمل ، ونسخة أخرى فى غرفة المعيشة ، والنسخة الثالثة فى المطبخ ، وبذلك يكون باستطاعتى الوصول الى القاموس بسرعة حينما اكون فى المنزل .

الممتلكات الثلاثة التى أقدرها أعظم تقدير : الآلة الكاتبة ، وعلبة لف السجائر ، والقاموس .. وأعظمهم تقديرا هو القاموس وكنت أحاول النظر فيه أطول وقت ممكن ، لا للرجوع اليه ولكن لقراءته فى وقت الفراغ بدل قراءة الروايات والمجلات ، وفى تقديرى أنه لم يكتب شىء مدهش وممتع ومثير ومشبع وبناء ككتاب يحوى كلمات ومعناها المغرى الفاتن .

« ١٢ »

كانت سنة ١٩٣٣ وبالتحديد منذ أوائل فبراير وحتى أواسط ديسمبر ، سنة مزدحمة مليئة بالأحداث ، ولأول مرة منذ عقد من الزمان تقريبا لم اكتب لا رواية ولا قصة قصيرة واحدة خلال تلك الفترة ، لكنى فى نهاية تلك الفترة تعلمت درسا مفيدا ، وهو أن على الكاتب أن يكرس متسعا من الوقت للتمرين على مهنته والسهر عليها بغيرة ، وإلا فإنه سيجد أن كثيرا من أيامه قد أهدرت بما لايثمر وإن كان يثير .

كنت أنذاك ، وفى ذهنى تلك الحقيقة ، استطيع أن انظر إلى خبرتى السابقة كفترة كنت محظوظا فيها ، لأعرف أين وصلت وأتطلع إلى ماأريد أن أحققه بعد ذلك .

فى بداية ذلك العام ، اقترح مارشال ديست أن اختار عددا من قصصى القصيرة لتصدر فى كتاب عن مؤسسة فايكنج ، اخترت عشرين قصة نشر معظمها خلال الأشهر القليلة الماضية أو فى طريقها إلى النشر فى عدد من المجلات ، فكرت فى عدة عناوين للمجموعة وأخيرا قررت تسميتها : « نحن الأحياء » كتبت المجموعة على الآلة الكاتبة وأخذتها إلى مارشال حين ذهبت إلى نيويورك للاشراف على نشر أرض الله الصغيرة ، وحددت مؤسسة فايكنج موعد نشر المجموعة فى خريف ذلك العام .

أثار نشر « أرض الله الصغيرة » عددا من المراجعات أكثر

مما كُتب عن الكتابين السابقين مجتمعين ، نسبة المراجعات المتعاطفة للمراجعات المعارضة ظلت كما سبق ، لكن الرواية وزعت حوالى عشرة آلاف نسخة ، وهو ضعف حجم توزيع « طريق التبغ » .

كنت أقيم ، وللمرة الثانية ، مع مارشال بيست فى شقته ، وذهبنا ذات مساء إلى بيت « هارولد جويتربرج » ، وهناك قابلتِ الناقد الشهير الكسندر وولكوت ، وكان لقائى الأول معه ، وشعرت بالرهبة من ذكائه الحاد وجسمه الضخم ، لم يكن رجلا طويلا ، بل كان قصيرا مملوءا كالكعكة المحشوة ، يملأ مقعده ويفيض عنه ، وسيطر على الحديث بصوت عالى الطبقة ، واثناء مغادرتنا طلب منى أن أزوره فى شقته فى اليوم التالى فى الساعة الخامسة مساء .

وصلت فى الموعد تماما الى العنوان ، وقادنى خادم إلى غرفة استقبال صغيرة ، انتظرت فيها لمدة نصف ساعة ، وحينما لم يظهر اريك ، نهضت وتمشيت قلقا فى الشقة ، متسائلا اذا كنت قد ارتكبت خطأ فى الموعد والتاريخ ، بعد ربع ساعة أخرى فتح الباب قليلا وتطلع نحوى كما لو اكتشف ضيفا غير مرغوب فيه .

قال : اسمك كالدويل .. هل طلبت منك أن تزورنى .

اومأت بتعبير غير واثق .

فتح الباب بوصات أكثر وقال : لماذا طلبت منك المجيء ؟

اجبت وأنا ارتجف قليلا : لا أعرف .

فتح الباب دفعة واحدة وقال : ولا أنا .. إلى اللقاء .

تراجعت الى الغرفة متسائلا اذا كان هناك مايقال فى مثل هذه الظروف ، كنت على حافة الغضب لكنى حاولت أن اكبح

نفسى فى الرد على رجل فى مثل سنه .
قال مشيرا إلى باب آخر : هناك باب خلفك .
وتقدم الى منتصف الحجرة ، وانتبهت أنه كان يرتدى روب مطرز باللون الأحمر الغامق . كان يبدو كامرأة عجوز بدينة .

تحدث بحدة قائلا : لماذا لاتفعل او تقول شيئا .. ماحكايتك ؟ تملكنى الغضب ونطقت بأول ماخطر على بالى من كلمات !

لو لم تكن تبدو كجدة عجوز ، لقلت لك شيئا .
قال رافعا صوته : ماذا ؟
لمع وجهه وأحمر جلده : ماذا قلت ـ ماذا كان ماقلته ؟
ـ تبدو شبيها تماما بجدة عجوز .
قال بأمر : تعال هنا .
كان يشوح ذراعيه القصيرين ، وملامحه الدقيقة تزداد احمرارا .
ـ تعال نجلس ونتناول شرابا ، لم أكن اعتقد أن لك الجرأة وحضور الذهن لتقول شيئا كذلك . كثير ممن هم أذكى منك لايجرءون ويخافون سخريتى القارصة .. أنا سعيد انك لست كذلك .. لكنى لماذا انت لست كذلك ؟
ـ اعتقد لأنى لا أعرف مقدار شهرتك .
دق الجرس لخادمه : سأشرب مشروبا متحضرا .. براندى .. ماذا تشرب ياكالدويل .. مشروب بغيض كالمارتينى ؟

مكثت نصف ساعة أخرى وغادرت ، حين عدت إلى شقة مارشال واخبرته بلقائى مع اليك ودلوكت ، بدت عليه الراحة ،

وكان تعليقه أنى عوملت برفق أكثر من عدد كبير من زوار اليك .

بعد نشر ارض الله الصغيرة بوقت قصير ، وفى أوائل مايو كانت الرواية تقدم للمحكمة بتهمة « الاباحية » ، ورفضت الدعوة ضدها « جمعية نيويورك لمكافحة الرذيلة » ، أقام الدعوى سكرتير الجمعية جون سمنر ، وتولى الدفاع عن الرواية مؤسسة فايكنج .

وهب خمسون ناقدا وكاتبا للدفاع عن الرواية وتأييدها وكان الكسندر وولكوت أحد المدافعين عنها بحرارة .

بعد ثلاثة أسابيع رفضت الدعوى ، رفضها القاضى جرينبان قائلا : فى مذكرة مكتوبة ان الرواية ليست اباحية ، واضفت نص مذكرته الى الطبعات التالية من الرواية .

« ١٣ »

بعد أيام قليلة من رفض الدعوى ضد « أرض الله الصغيرة » وفى أواخر مايو سنة ١٩٣٣ ، كنت على بعد ستين ميلا جنوب أورليانز أكافح البعوض ليلا نهارا فى كوخ لصيد السمك مقام على ركائز في مستنقعات « باراتاريا » . كنت أحد كتاب السيناريو الصغار مع وحدة من شركة مترو جولدن ماير السينمائية ، وسبب وجودى هناك أن ماكس ليبر وليلان هيوارد ـ وكان وكيلا ادبيا آنذاك ـ عرفا انى انفقت آخر دولار أملكه للحضور الى نيويورك ومتابعة القضية ، فقررا أن يفعلا شيئا لتحسين احوالى المالية .

وكانت مترو جولدن ماير تبحث عن كاتب ليساعد فى سيناريو فيلم يخرجه تودبراوننج ، وعمل ماكس وليلان على أن أنال الوظيفة ، وكان عقد الأشهر الثلاثة يقول ان المرتب ٢٥٠ دولارا أسبوعيا .

وصلت نيواورليانز على طائرة ذات محركات ثلاثة تصدر فرقعات أثناء طيرانها وقدماى ترتجفان لأنى لم اتناول طعاما منذ ظهر اليوم السابق ، وكان ذلك بعد نقاش حام مع شركة جولدن ماير . فقد بدا لى أن الطريق المنطقى الوحيد للسفر الى اورليانز هو ركوب قطار الجنوب السريع بعد الظهر والوصول الى اورليانز في الليلة التالية . وكانت رحلة القطار هذه تستغرق ثلاثين ساعة ، وكان تفضيلى للقطار انى لم

أركب طائرة من قبل ولم أر سببا يجعلنى اعانى ركوب طائرة فى ذلك الوقت .

وكانت خطة الشركة ، والتى صممت عليها ، انه لابد من ركوب قطار المساء من نيويورك الى كليفلاند ، ثم استقل الطائرة من هناك الى اورليانز وحين اشرت أن هذه الرحلة تستغرق حوالى ثلاثين ساعة وهى نفس المدة التى يستغرقها القطار السريع ، فاخبرونى ان الخطوط الجوية التجارية الأمريكية كانت تكافح لاثبات وجودها ، وان شركة م . ج . م ، لايمانها بالتقدم قد اتبعت سياسة تشجيع الخطوط الجوية الأمريكية .

ولأن م . ج . م . هى التى ستتحمل الأجرة وبقية التكاليف فلم يكن بوسعى سوى التعاون لأقصى حد .

ركبت القطار الى كليفلاند ، وقبل مغادرة محطة جراند سنترال أخبرونى بأن ممثلا عن شركة الخطوط الجوية سيكون منتظرا فى كليفلاند ليوقظنى فى الساعة الخامسة والنصف ويتأكد من مغادرتى القطار وذهابى الى المطار ، كما أن هناك نقطة أخرى وهو أنه سيقدم لى إفطارا ساخنا قبل ركوب الطائرة .

وكما حدث ، لم يصعد أحد الى القطار ليوقظنى ، ومع ذلك استيقظت قبل الساعة السادسة فى وقت يسمح بارتداء الملابس ومغادرة القطار عند وقوفه ، ووجدتهم فى المحطة لايعلمون شيئا عن الموقف ، فأخذت سيارة أجرة إلى المطار ، أخبرنى السائق أن خدمة ايقاظ الركاب وتقديم الافطار الساخن قد اوقفتها شركة الطيران فى الاسبوع السابق .

وصلت اورليانز بعد طيران ١٤ ساعة متعبة ممرضة ، ووصل القطار الذى كنت سآخذه من نيويورك فى الموعد نفسه تقريبا .

نزلت فى فندق روزفلت فى نيواورليانز عدة ايام قبل انتقالى الى خليج باراتاريا ، ومن ثم وضعت ذات صباح على ظهر مركب يسير فى رافد لأحد الأنهار ، لينتهى بى الى خليج سمخى صغير فى خليج المكسيك .

أقمت فى كوخ دون نوافذ سلكية فى موقع لصيد سمك القريدس ، أجلس طوال الوقت ملتفا بالناموسيات ، أراقب صيادى القريدس اليابانيين ، منتظرا أن يعلمونى ما الذى يجب أن أفعله ككاتب سيناريو .
كان فى الموقع هوارد والاس وهو أحد كتاب السيناريو أيضا ، والذى قال لى ان لديه فكرة واضحة نوعا ما ، عن القصة لكن خطها الروائى قد تغير عدة مرات فى الفترة الأخيرة ، سواء فى هوليود أو فى موقع التصوير ، وهو لايدرى ماذا يفعل بها . وبقدر مافهمت فإن القصة تدور حول ابنة جميلة لأحد صيادى فأر المسك ، انتحرت غرقا لفشلها فى الحب .

مكثنا اسبوعا فى موقع صيد سمك القريدس ، ننتظر كل يوم أن يقرر تود براوننج كيف يريد القصة أن تروى على الشاشة ، ولكنه كان مشغولا بتصوير المناظر التى ستستخدم فى الفيلم ، نصحنى هوارد الا اقلق ، فالافلام لابد أن تنتهى بشكل ما ، بالاضافة الى انها فرصة لأتعلم كيف أكيف نفسى مع طريقة الحياة فى صناعة الأفلام ، اعترفت انها حياة تختلف عما ألفته ، وانى أعانى من اضطراب قليل .

بعد اسبوع ، اخذونا ، أنا وهوارد ، الى نيواورليانز واركبونا ، قطارا على خطوط شركة سن ست المتحدة الى لوس انجلوس ، بينما بقى الآخرون فى خليج باراتاريا لالتقاط صور أكثر للمناظر .

ركبنا فى مكان منخفض مريح ، وكنت مقتنعا بالمكان الذى اجلس عليه وهو عبارة عن مقعد أتوبيس هزاز محسن ، لكن هوارد ، رأى أن على الاستوديو أن يوفر اقصى درجات الراحة لكتابه ، وبدأ تعيسا ، وتحدث عن فقد ماء الوجه .

كان علينا أن نقضى يومين وثلاث ليال على خطوط سن ست ، بعد الليلة الأولى في اسرتنا المنخفضة ، اتخذ هوارد قرارا بالتصرف ، قال انه يمكننا أن نأخذ مقصورة وندفع الفرق ومن ثم نطالب الاستديو بالمبالغ حين وصولنا كاليفورنيا ، كان ذا خبرة ككاتب سينمائى بينما كنت مجرد كاتب صغير بلا خبرة ، وهكذا وافقته وانتقلنا الى مقصورة .

وحدث ان رأى هوارد فتاة فى القطار ، ظن ان بامكانه أن يقيم علاقة معها ، فدعاها للاقامة بمقصورتنا ، عند الأصيل بدت المقصورة مزدحمة بنا فاقترح هوارد ان بامكانى ان اكون مستريحا فى مكان الفتاة فى العربة المجاورة ، وحين عدت عند العشاء وجدت باب المقصورة مقفلا ، ومتاعى قد نقل الى العربة المجاورة ، وقضيت الليلتين التاليتين فى سرير علوى فيها ، فسر لى هوارد الموقف بأن ذلك سيتيح لى فرصة اكبر للتفكير فى القصة السينمائية ، وابدى استعداده لارجاع نصيبى الذى دفعته كفرق اجرة نظير اقامتنا فى عربة البولمان الفخمة .

في الصباح ، وفي محطة الهمبرا ، كانت تنتظرنا عربة ليموزين من الاستديو ، انصرف هوارد الى منزله في بيفرلي هلز ، وذهبت الى ستوديو م . ج . م . في مدينة كلفر ، بدأ موظف الاستعلامات في مدخل الاستديو مندهشا وهو يقول لي انه من غير المعتاد أن يأتي كتاب السيناريو للعمل مبكرا ونصحني ان أذهب الى مكان ما وأعود حوالي الساعة العاشرة .

كنت قد لاحظت وانا في طريقي الى الاستوديو فندق كالفرسيتي الذي يقع في أعلى بناية في الجوار ، حملت حقيبتي وآلتي الكاتبة وسرت الى الفندق حيث حجزت غرفة أجرتها الاسبوعية اكبر مما دفعته في فندق واروبك في هوليود ، وبما اني لااملك سيارة ولا اعتزم شراء واحدة ، فقد خططت أن أسكن على مسافة قريبة من الاستديو يمكنني قطعها على الاقدام . حين دخلت صالة الفندق ، لم أر أحدا يبدو عليه انه كاتب ، كان هناك العديد من النساء والرجال يبدون كالممثلين ، بعضهم اقزام ، وبعضهم له هيئة الاكروبات وكثيرون كانوا يرتدون زي رعاة البقر المبهرج .

في العاشرة سرت في شارع واشنطن بوليفار الى الاستديو ، وبعد انتظار لمدة ثلاثة ارباع ساعة ، أخذت الى غرفة كبيرة تحتوي على عدد من الأرائك المصنوعة من الجلد ، وكراسي يغوص فيها المرء اذ جلس ، وكنبات ضخمة ومنافض ، سجائر بحجم الفازات ، كان النهار مشمسا ومشرقا في الخارج ، لكن الستائر كانت مسدلة تماما على النوافذ ، والغرفة مضاءة اضاءة خافتة مستترة غير مباشرة .

كان هناك مخرجون ومساعدو مخرجين يجلسون فى أوضاع مختلفة مريحة ، بعد أن قدمت للجمع ، سألنى رجل يجلس فى أحد المقاعد التى يغوص فيها المرء بطريقة حماسية عن رأيى فى الفيلم الذى أعمل به .

قلت على الفور : لاتسألنى .. فأنا أقل واحد يعرف عنه شيئا .

نظر المخرجون والمساعدون نحوى وكأنى اهنت كل منهم شخصيا .

سألنى أحدهم : ماذا تعنى بذلك ياكالدويل ؟

ـ لم أر أحدا فى لويزيانا ، يعرف شيئا عن القصة ، كل ما أعرفه فتاة صغيرة جميلة ستنتحر غرقا فى خليج صغير .

صاح واحد بانفعال : حركة يارجل . اعطنا حركة .. ذلك ماكنا ننتظره .

ساد بعد ذلك صمت عميق لعدة لحظات .

سألنى شخص آخر بصوت هادىء : تعنى ان السكربت لم ينته بعد !

قلت : لا . لم اكتب شيئا بعد . أريد أن أعرف اكثر عن القصة أولا .

عقد مؤتمر سريع من المخرجين فى ركن من المكتب الكبير ، وحينما انتهى ، جاء شخص وامسكنى من ذراعى وطلب منى أن انتظر فى غرفة الاستقبال ، بعد نصف ساعة جاءت احدى السكرتيرات وسألتنى أين أقيم ، اخبرتها انى اقيم فى فندق كالفرسيتى ، ترددت لحظة قبل ان تكتب ذلك فى مفكرتها ، ثم قالت : لابد أن تذهب لمقابلة سام ماركس .

وكان سام محررا قصصيا ، وذا شخصية مهيئة للتعامل بدبلوماسية ، مع المواقف المزعجة ، التى تبرز بين المخرجين والكتاب ، دعانى على الغداء ، وسألنى عن رأيى فى الاقامة بغرفة فى مبنى الكتاب ، وبعد كلمات قليلة كنصيحة اخوية تركنى لأتلاءم مع حياة كاتب سيناريو مبتدأ فى شركة م . ج . م .

جاءنى بعد عدة ايام ليخبرنى ان القصة التى كنت سأعمل بها قد وضعت على الرف مؤقتا واقترح انه ربما يعجبنى العمل فى مادة قصصية أخرى ، وقادنى الى غرفة تسجيل الصوت حيث يعانون من مشكلة مع أحد افلام ميريام هوبكنز ، كانت المشكلة كما رأيتها مجرد اعطاء تعليمات لميريام بما تفعله لتحية حبيبها حين يصل . بدا الأمر سهلا تماما بالنسبة لى ، اقترحت ان تنهض ، وتسير اليه بلهفة وتتركه يأخذها بين ذراعيه ، ذكرنى مستشار المنتج بسرعة اننا فى عصر السينما الناطقة وليس الصامتة وان على كاتب السيناريو ان يقدم حوارا لكل موقف ، ارسلوا لاستدعاء كاتب آخر ، وحين غادرت كانت ميريام تتأرجح فى الشرفة وحبيبها جالس على كرسى بلا ظهر يقرأ .

أخبرنى سام ان م . ج . م . تخطط لسلسلة من الأفلام القصيرة المبنية على ملفات المباحث الفيدرالية تحت اسم « الجريمة لاتقيد » وانه ستعطى لى عدة قصص لمعالجتها سينمائيا . وكانت أول قضة بعنوان : « سرقة القطار السريع » .

بعد حوالى اسبوعين من اقامتى فى مدينة كلفر ، تلفن لى

جاك كير كلاند ودعاني للمجيء الى بيته على شاطيء ليلان في سانت مونيكا ، رغبت في الذهاب ولكن لعدم وجود سيارة لدي ، وعدم معرفتي بالمدة التي تستغرقها الحافلة لتصل هناك ، اعتذرت ، اخبرني ان مسرحيته طريق التبغ قد انتهت ويتوقع ان تظهر على المسرح في برودواى الخريف القادم .

في أيام السبت كنت آخذ الباص السريع الى هوليود ، اعتدت ان اذهب الى مكتبة ستانلي روز في شارع هوليود بوليفار ، وهي مكان تجمع للكتاب والكتاب الواعدين ومشتري الكتب الخلصاء ، وكانت الغرفة الخلفية من المكتبة مزدحمة في الاصيل والمساء ، وحسب قول ستانلي فان مبيعاته من الكتب كانت تافهة ، وكان اذا اراد الحصول على دخل ليعيش ويدفع اجرة المكتبة وثمن الاضاءة ويحافظ على سير عمله ، يملأ عدة صناديق بالكتب ويوزعها على ستوديهات السينما ولايحاول اقناع المناقشين في مكتبته بالشراء .

قبل مغادرتي كاليفورنيا بفترة قصيرة للعودة الى مين ، ارسل ستانلي دعوات لحفل كوكتيل يقيمه في احدى الامسيات في المكتبة ، كان موعد البدء الثامنة ، لكن المكتبة كانت قد امتلأت عند حلول الساعة السابعة بمائة أو اكثر معظمهم غير مدعو ، وحين وصل المدعوون في الثامنة ، لم يستطع كثير منهم ان يخطو داخل المكتبة المزدحمة ، فوقفوا على الأرصفة يتطلعون من النوافذ ، كان ستانلي قد اخبرني ان الدائنين يطاردونه وانه بحاجة ماسة لبيع الكتب ليستمر عمله ، وان هدفه الوحيد من الحفل هو التأثير على امرأة شابة بدأت منذ فترة قصيرة تكتب عمودا في جريدة هوليود ، وانه يطمح ان تشير الى مكتبته وتجتذب الزبائن .

كانت هذه المرأة هي هيداهوبر ، وحين قدمت اليها نسيت

تماما ماحثتنى عليه ستانلى من اقناعها بكتابة شىء يساعد مكتبته ، وحين تذكرت كانت قد ابتعدت ولم استطع الاقتراب منها ثانية ، وبينما كانت تغادر صحت بصوت عال غطى على المناقشة قائلا :

ـ سأذكرك بقبعتك .. حتى لو لم استطع التحدث معك .. قالت وهى تمرق وسط الجمهور وتغادر : اذا استمتعت بقبعاتى فقط فقد احسنت .

وحين لم يبق سوى حفنة من الضيوف ، قرب منتصف الليل ، انتحى بى ستانلى جانبا وسألنى ماذا قلت لهيدا عن المكتبة ، اعتذرت بشدة قائلا : حاولت ان أصل اليها واحدثها .. لكن كثافة الحضور لم تتح لى فرصة .

قال : تعنى انك لم تقل لها شيئا .. لم تأخذ وعدا للكتابة عن مكتبتى ؟

ـ لم تتح لى الفرصة لقول شىء عن المكتبة .. لكنى اعتقد انها لها قبعة ذات شكل عجيب .. وقد قلت لها ذلك .

قال يتهمنى : ذلك سيفلسنى .. ستكتب الآن عمودا كاملا عما قاله : شخص ما عن قبعتها .. دون كلمة واحدة عن مكتبتى بعدما انفقت ٧٥ دولارا حصلت عليها بصعوبة على هذه الحفلة لتكتب عنها فقط ، وقد آتت لتبعد ذلك عن ذهنها ، ليت كان لديك الحس بعدم ذكر القبعات وهى هنا .

قلت : لكن على كل حال ياستانلى ـ لقد بعت الكثير من الكتب الليلة أليس كذلك ؟ ذلك قد يساعدك .

قال عابسا : ابيع كتب للمتقفين ! كل هم الجمهور هنا أن يسمع نفسه يتحدث .. انهم يعتقدون ان الفلاحين فقط هم الذين يشترون الكتب .

عدت إلى مونت فيرنون فى الأسبوع الأول من سبتمبر ، ومعى ألفان وخمسمائة دولار مما كسبتها فى الاشهر الثلاثة الماضية ، ١٠٪ من مرتبى ذهب الى ماكس وليلان عمولة الوكالة، وكانت مصاريفى الاسبوعية فى كاليفورنيا تعادل خمسة وعشرين دولارا ، وانفقت ثلاثمائة دولار على الملابس والنثريات .

ذهبت الى بورتلاند ، بعد يوم عيد العمل ، ودفعت للبنك قيمة الدين البالغ الف دولار ، واشتريت سيارة فورد جديدة ، وهى أول سيارة لم تكن مستعملة اشتريها ، كل ذلك جعل معظم المبلغ يتبخر ، لكن خلال ايام قليلة تلقيت اشعارا مع شيك بألف دولار قيمة فوزى بجائزة بيل ريفيو للأدب لسنة ١٩٤٣ ، هذا الحظ مكننى من شراء البيت لعائلة فى مونت فيرنون ، فعلت ذلك على الفور بدفع الألف دولار نقدا ثمنا له . كانت القصة الفائزة ، والتى نشرت فى بيل ريفيو ذلك الربيع ، بعنوان « بلد مملوءة بالسويديين » وكان لهذه القصة تجربة مريرة من الرفض المتواصل ، فقد دارت لمدة سنة دورة سريعة على اكثر من دستة من محررى المجلات ، وقبل أن تقبلها بيل ريفيو بفترة وجيزة ، كان أحد المحررين قد أعادها مع ملاحظة تقول : « هذه الفرس العجوز لن تفوز فى سباق » ..

صدرت المجموعة القصصية « نحن الاحياء » عن فايكنج برس ، واخبرنى مارشال ويست انهم يرغبون فى رواية للعام

القادم ، لم أكن قد كتبت سطرا ابداعيا واحدا خلال الاشهر التسعة الماضية ، ولم يكن لدى عدد كاف من القصص القصيرة لتصدر فى كتاب ، اخبرت مارشال انى اخطط لبدء الكتابة فى يناير ، بدأت بروفات طريق التبغ فى نوفمبر ، وطلب منى انطونى براون - المخرج - الحضور الى نيويورك لايام قليلة ، حضرت عدة بروفات ولم يكن لدى سوى ملاحظات قليلة مع اصرارى بضرورة التزام الممثلين ، بنص الحوار الأصلى ، قرأت المسرحية ووافقت عليها ، وكان جاك كير كلاند قد حافظ على روح الرواية بحيث رأيت ان النص لايحتاج أى تغيير .

قبل مغادرتى نيويورك اعطيت اول مقابلة صحفية فى حياتى ، نشر الحوار فى جريدة نيويورك هيرالدتربيون ، وحين قرأته فى اليوم التالى بدا لى انه من المفترض ان اقول بعض التعليقات المثيرة عن الحياة فى الجنوب ، كان الحوار حين قرأته فى وضح النهار يبدو عاديا والآراء التى جاءت به تحصيل حاصل .

افتتحت المسرحية على مسرح الماسك فى نيويورك يوم الاثنين ١٩٣٣/١٢/٤ ، وهو تاريخ الغاء الحظر فى الولايات المتحدة ، وكانت من انتاج كيركلاند واوشرن وهما صاحبا الحق الوحيد لانتاجها ، وكانت حصتى المالية فى المسرحية نصف حق التأليف مع جاك . كانت المراجعات التى كتبت حول المسرحية مشابهة لتلك التى كتبت حول الرواية ، ولم تبد مشجعة وساد اعتقاد بأنها لن تستمر لاكثر من اسبوع او اثنين ، كانت نفقات الانتاج تعادل ٢٥٠٠ دولار اسبوعيا ، واعتقد جاك وهارى ان الدخل الاسبوعى سيغطى التكاليف ،

وكافحت المسرحية لمدة شهرين بدخل اسبوعى يتراوح بين ٢٠٠٠ ـ ٣٠٠٠ دولار .. وبالرغم من ان مسرحيات قليلة استمرت على مسارح برودواى بهذا الدخل الضئيل ، فإن جاك وهارى رفضا الاعتراف بفشل المسرحية .

وفى يناير سنة ١٩٣٤ نشر جوزيف باترسون سلسلة من مقالات المحررين فى الديلى نيوز تمتدح المسرحية وتحث الجمهور على مشاهدتها ، وتضاعف الدخل على الفور واستمر تدفق الجمهور يتزايد بقية الموسم ، فى نهاية العام كانت المسرحية قد أضحت راسخة فى برودواى ، وحين انتهى عرضها كان ذلك بعد استمرارها لمدة سبع سنوات ونصف مسجلة بذلك اطول مدة لمسرحية استمر عرضها على المسرح فى نيويورك ، وبصرف النظر عن مزايا المسرحية نفسها ، فان الفضل فى نجاحها يعود الى محررى باترسون وتمثيل هنرى هل الذى قام بدور جيترليستر ، وسام بيرد الذى قام بدور دود . ومع ذلك ، فمن المشكوك فيه أن أيا من هؤلاء كان سيجد الفرصة للمشاركة بهذا النجاح لولا تصميم جاك كيركلاند ورفضه انهاء المسرحية حين كان دخلها فى البداية اقل من النفقات ، وقد عمل فى وظيفة لكتابة الافلام فى هوليود كى يوفر نقودا لأجرة المسرح والممثلين ونفقات الترويج والاعلان ، ولم يبح بمقدار المبلغ الذى انفقه لكنه كان كبيرا .

وكان من المحتم ، تبعا لاختلاف الممثلين الذين قدموا المسرحية ، ان تتعرض المسرحية لتفسيرات مختلفة من سنة لأخرى ، بعضها كان جادا رضيت عنه وبعضها ساخرا أسفت له ، وبالنسبة لى كان تفسير هنرى هل هو الأكثر اصالة وقبولا .

وبالاضافة الى العرض الاصلى فى نيويورك ، كانت هناك فرقتان جوالتان تقومان بأداء المسرحية فى أوقات مختلفة فى ارجاء الولايات ، وكان نصيبى من حقوق التأليف يتراوح بين ٣٥ دولارا اسبوعيا الى ١٠٠٠ دولار فى الأسبوع ، لقد بدأ عرض المسرحية سنة ٣٣ واستمرت تقدم بلا انقطاع لمدة ١٧ سنة تالية سواء فى مكان ما من الولايات المتحدة أو خارجها على يد اكثر من فرقة مسرحية .

وقد قدمت فى دول عدة ، سواء بموافقتنا او بدونها ، قدمت فى الارجنتين واستراليا وبلجيكا والبرازيل وتشيكوسلوفاكيا والدانمرك وانجلترا وفرنسا واليونان والمجر وايطاليا والنرويج والسويد وسويسرا ، وكانت اطول العروض فى فرنسا ٤٩/٤٨ وانجلترا ٥٠/٤٩ حيث قدمت لأكثر من سنة وفى سنة ١٩٣٤ نشرت مؤسسة فايكنج النص الممسرح للرواية فى كتاب ، كما كتب نونانى جونسون نصا سينمائيا عن الرواية والمسرحية لم يكن بالدرجة نفسها من الجودة ، واخرجته شركة فوكس للقرن العشرين سنة ١٩٤١ .

هدية الكتاب
مكتبة الأستاذ الدكتور
رمزى زكى بطرس

« ١٦ »

كان قرارى الثابت فى سنة ١٩٣٤ أن أعود الى الكتابة دون تأخير . ان سنة من البعد عن تخوم الكتابة ومتطلباتها كانت امرا ممتعا ومربحا لكن استمراره جعلنى اغدو بائسا وتعيسا ، لقد دفعت الديون واشتريت سيارة ومنزل وقمت باسفار كثيرة ومعى من النقود مايكفى لنفقات سنة قادمة ، ولكنى فشلت فى كتابة كتاب لسنة ٣٤ ، وكما بدا لى آنذاك فان كل هذه الانجازات تتضاءل قيمتها ، اما القيمة الكبرى ألا وهى كتابة ونشر كتاب .

إدراكى الكامل لفشلى فى هذه النقطة وأنا الذى خططت حياتى أن أعيش لأكتب ، جعل التعاسة تنتابنى ، فجلست على الفور فى الاسبوع الأول من يناير لأكتب ، وكما اعتدت فى السنوات الماضية تركت البيت لاكتب ، وكنت فى مثل هذه الأوقات اغدو سريع الغضب ، نكد المزاج ، وفى حالة ذهنية غير طبيعية ولا اطاق وكانت عائلتى تبذل الكثير لتتحملنى خلال هذه النوبات ، ذهبت الى نيويورك واستأجرت غرفة فى دور أرضى بسبعة دولارات اسبوعيا فى مبنى قرب سنترال بارك ، وبدأت اكتب القصص القصيرة من الصباح الباكر الى وقت متأخر فى الليل . كان البرد قارسا ذلك الشتاء فى نيويورك خاصة فى تلك الغرفة الرطبة فى الطابق الأرضى دون سجادة تغطى ارضيتها الاسمنتية وشعرت بالبرد بدرجة اكبر مما كنت عليه حتى فى « مين » . ولقد اعتدت أن اتمدد على

ظهرى فوق الأرضية لمدة عشرين او ثلاثين دقيقة بعد يوم طويل من الجلوس وراء الآلة الكاتبة . البرد والرطوبة اعادا القروح الى يدى .

بعد اسبوع من نقاش لاطائل وراءه مع المالك بسبب نقص التدفئة ، بدأت اخذ رحلات بالباص تستغرق عدة ايام كل مرة ، فالباص المكيف كان دافئا ومريحا ، واثناء النهار وعلى الطرق السريعة الناعمة ، فى الريف ، كنت أكتب بالقلم الرصاص ، وفى الليل اتوقف فى فندق واواصل الكتابة على الآلة الكاتبة ، هذه الرحلات التى تكررت مرة أو مرتين اسبوعيا جعلتنى اتجول فى مناطق ومدن كثيرة .

بعد ستة أسابيع ، وفى اواسط فبراير تقريبا ، كنت قد انتهيت من ست قصص ، احداها طويلة اسميتها « اركع للشمس المشرقة » وهى تحكى عن ظلم احد الملاك فى الجنوب لمزارعيه ، قصة شعرت بالحاجة الى كتابتها منذ عدة شهور ، وكان لهذا العمل الطويل ان ينتظر فرصة فراغ لانجازه .

رفضت عدة مجلات القصة ، قبل ان يقبلها ماكس بيركنز لتطبع بعد سنة فى مجلة سكر بنرز ، وكانت « اركع للشمس المشرقة » عنوانا للمجموعة القصصية التى أصدرتها دار فايكنج فى العام التالى .

رجعت الى « مونت فيرنون » فى فبراير وأنا على ثقة انى سأستمتع بدفء أكثر من الغرفة الأرضية فى نيويورك . وبدأت اكتب رواية وأنا اجلس امام مدفئة متوهجة فى كوخ قرب بحيرة باركر المغطاة بالثلوج ، كان عنوان الرواية

« الرحالة » وهي تحكى عن قس ، لم تعينه الكنيسة رسميا ، في الجنوب ، يمارس الاحتيال تحت غطاء دعوته، وقد لاحظت اشباهه في الحياة كثيرا في جورجيا وفلوريدا وكارولينا ، وكانت الفكرة التي بنيت عليها القصة في ذهني معظم السنة الماضية ، جاهزة لأضعها على الورق بالسرعة التي استطيع الكتابة فيها ، وكنت انظر الى احداثها كاحدى ظواهر الحياة الطبيعية في الجنوب والتي رغبت ان اضمنها سلسلة من الروايات .

المرة الوحيدة التي توقفت فيها اثناء كتابة الرواية ، كانت بسبب اعلان لاداء ضريبة الدخل عن السنة السابقة ، وهي المرة الأولى في حياتي التي اكسب نقودا اطالب بدفع ضريبة عنها . وفزعت حين وجدت انى مدين لهم بعدة مئات من الدولارات ، هذا الدين ذهب بالمبلغ الذي اعتمدته للانفاق خلال سنة ١٩٣٤ ، ورغم انى كنت اتسلم ايامها حقوقي من عرض مسرحية طريق التبغ ، ومبالغ اخرى تتراوح بين ٥٠ - ٧٥ دولارا من النشر ، إلا أن المسرحية كانت تعرض من اسبوع لاخر ، وبدا لي انه من غير المعقول تستمر طويلا ، بالاضافة الى أن ادفع ضريبة عن كتب نشرت وانفقت حقوق نشرها .

انهيت الرواية في اواسط مايو تقريبا ، وارسلتها لهارولد ومارشال لتقييمها ، واثناء انتظاري لرأيهما ، قضيت جزءا كبيرا من الوقت مشغولا بتوفير ماتحتاج اليه عائلتي المكونة من خمسة افراد بقية العام ، فقد كان كل ما املكه ٢٠٠ دولار ، وهذا يعني أن يعيشوا بمبلغ ٢٥ دولارا شهريا .

● ● ●

« ١٧ »

قبل أن أتلقى كلمة واحدة من فايكنج ، أعرف منها اذا قبلوا طباعة الرواية أم لا ، طلبت منى شركة م . ج . م . فى اتصال مفاجىء ، أن أعود لكاليفورنيا للعمل فى كتابة قصص للسينما فى ستوديو كالفرسيتي ، استشرت ماكس ليبر حول العرض ، وحيث انهم قرروا رفع اجرى الى الضعف ليصبح ٥٠٠ دولار اسبوعيا ، فوافقت على الذهاب لمدة ثلاثة اشهر ، وبهذه الطريقة احسن أوضاعى المالية .

وصلت لوس انجلوس فى أواخر مايو ، وقضيت عدة أسابيع اقرأ مواد سينمائية ، واكتب وأراجع مشاهد من نصوص شبه كاملة ، ثم اقترح هارى بيهن وهو كاتب سيناريو متمرس ، ان نتعاون فى كتابة قصة جيدة للسينما ، وقد لاقى الاقتراح قبولا من ماكس وآخرين من المهتمين بالسينما ، وهكذا ذهبت انا وهارى لتقيم فى المبنى المخصص للكتاب ، كانت تجربتى الأولى فى التعاون مع كاتب سيناريو أو أى كاتب اخر فى عمل ما ، كان هارى يفضل الاملاء ، بينما لم يسبق لى أن أمليت قصة ، اتفقنا ان يملى هارى مشهدا ثم أراجعه قبل أن ننتقل الى المشهد التالى .

اتفقنا على كتابة قصة عن قطع الاخشاب فى الشمال الغربى ، على أن يكون رئيس العمال فى معسكر قطع الاخشاب هو البطل ، وتكون البطلة ابنة قاطع اخشاب فى

المعسكر . احرزنا تقدما خلال الاسبوعين الأولين ثم وجدنا انفسنا فجأة فى ظلام مطبق .

كان هارى بيهن طويلا رشيق العضلات ، ومن عادته ان يستلقى على احدى الكنبات لافا ساقيه ، يفكر ويملى . يبدو انه يملى احسن ماعنده حين يكون جسمه ملتويا ، وصلنا الى مشهد جديد ، وبدا أننا لانستطيع ابتكار حدث يبدو كخطوة منطقية تالية ، وخلال ربع ساعة لم تمل كلمة واحدة ، بينما كانت اطراف هارى مربوطة كعقدة على الكنبة ، وكنت احدق من النافذة بجماعة من الكومبارس تجلس على عتبة الباب ، وكاتبة الاختزال تقلب بهدوء صفحات مجلة .

همهم هارى فجأة : لقد عجزت اخرجنى من هنا .

وضعت كاتبة الاختزال المجلة وبدأت تسير فى الغرفة . بدا انفجار هارى عاديا تحت هذه الظروف ، قلت متعاطفا : لاتقلق ياهارى .. اعتقد اننا نستطيع معالجة هذا المشهد بشكل جيد . ربما يجب علينا أن نتوقف اليوم ونبدأ غدا بنشاط .

قال بصوت مملوء بالألم : لاأعنى ذلك ، ليس القصة ، هناك خطأ ما لااستطيع أن أفك نفسي - عندى شد عضلى فى كلتا الساقين . اتجهت الى الكنبة ونظرت اليه ، وكان قد ثنى ساقيه خلف ركبتيه بطريقة حشرت احد ذراعيه بشدة خلف الساق حتى بدت يده شاحبة لعدم سريان الدم اليها . وبدا وضعه الملتوى مشابها لمصارعة المحترفين المؤلمة ، حاولت أن أحرر احدى قدميه لأفك العقدة ، لكنه صرخ متألما بأعلى صوته .

سألته : ماذا يجب أن أفعل ؟

ـ لاأعرف . لكنى أفعل شيئا بسرعة فهذا يقتلنى . اسرع .

سمعت احدى السكرتيرات فى مكتب مجاور صرخة هارى ، فأسرعت بدخول الغرفة ، كانت فتاة صغيرة ضئيلة الحجم ، حين رأت ماحدث ركعت على الأرض قرب الكنبة وقالت : تبدو كأحد سرطانات بوسطن بما فعلته بنفسك ياسيد بيهن ، ولكن كيف حشرت ذراعك هكذا؟

قال بضعف : لا أعرف لكن افعلى شيئا بسرعة .

قالت : اعتقد انى استطيع ان افكك ، اهدأ فلن أوذيك ، ضغطت على إحدى ركبتيه ثم لوت إحدى اقدامه ، اندفعت قدماه الى الامام مع صدور صوت من ركبتيه ، وسقطت ذراعاه الى جانبيه ، كانت يده اليسرى بيضاء بياض الموت ، وغطى الأمل وجهه .

سألتها وهى تدلك يده وذراعه لتعود الدورة الدموية اليهما .

ـ كيف فعلت ذلك ؟

قالت : اعتدت الذهاب الى مباريات المصارعة مساء كل اربعاء ، ورأيت الحكم يفك عقد كهذه عدة مرات من ربطة هكذا ؟

قلت لها : فعل ذلك بنفسه .

قالت بدهشة :. انه انجاز لكاتب سيناريو .. فى مباريات المصارعة يتطلب الأمر معركة قوية لربط انسان بهذا الشكل .

انتهى عقدى بعد ذلك بقليل ، وغادرت كاليفورنيا بينما انتقل هارى الى اريزونا ، ولم تصور قصة قاطع الاخشاب فيلما ابدا .

« ١٨ »

لعدة سنوات وأنا اتشوق إلى فرصة تتاح لى لأجوب أمريكا بالسيارة في أوقات فراغي ، أذهب حيث أرغب وأتوقف وقتما أريد وها قد حان الوقت عند مغادرتى كاليفورنيا صيف سنة ١٩٣٤ .

سافرت من ولاية الى ولاية فى الغرب متخذا طريقا متعرجا ، مسافرا من شاطىء المحيط الهادى الى نهر المسيسبى ، احيانا اقطع عشرين أو ثلاثين ميلا ، فى اليوم وأحيانا مائتين أو ثلاثمائة ، ولم يكن ذلك وفق خطة معدة ابدا . قبل نهاية الرحلة وجدتنى أرغب فى الكتابة عن بعض مالفت انتباهى وامتعنى فى الطريق قررت مؤسسة فايكنج نشر رواية « الرحالة » فى يناير سنة ١٩٣٥ ، وبدأت اختار قصصا لنشر مجموعة ثالثة فى منتصف العام ، والاستعداد لكتابة عمل غير ابداعى يمكن تصنيفه كملاحظات مسافر ، بدا لى أنه من المناسب كتابته انذاك .

بعد ستة اسابيع من السفر فى الغرب عدت الى جورجيا لأجمع مادة لكتيب صغير اسميته « مستأجر الأرض » . وقد نشرت هذه الكراسة في مايو التالى عن دار فالنكس برس .

حين وصلت نيويورك فى أواخر اكتوبر فاجأنى ماكس ليبر بقوله بأن فرقة متجولة تقوم بتمثيل طريق التبغ فى شيكاغو قد

أوقف عرضها بأمر من العمدة ادوارد كيلى ، وطلب المنتجان منى السفر فورا الى شيكاغو للدفاع عن المسرحية ، واخذت القطار فى اليوم نفسه الذى وصلت فيه نيويورك ، وكان رأى كيركلاند واوشرن انه لابد من طريق قانونى لالغاء الحظر ، ولكن بعد عدة مداولات حامية فى المحاكم صدر الحكم ضد المسرحية ولم تعرض فى شيكاغو طوال حياة العمدة كيلى .

عدت الى نيويورك أواخر الاسبوع لأحافظ على مواعيد التزمت بها بلقاء غير رسمى مع فصول من دارسى اللغة الانجليزية فى جامعة نيويورك وجامعة كولومبيا ، كما قمت بالاختيار النهائى لقصص المجموعة التى ستصدر بعنوان « اركع للشمس الغاربة » ، وكانت تضم ١٧ قصة نشرت احداها فى كتاب احسن القصص القصيرة اسنة ١٩٣٤ ، وأخرى فى كتاب احسن القصص لسنة ١٩٣٥ ، وثالثة ظهرت فى كتاب القصص الفائزة بجائزة او هنرى التذكارية لسنة ١٩٣٤ ، وباقى القصص نشرت أو فى طريقها الى النشر ، ظهرت المجموعة عن دار نشر فايكنج فى يونيه سنة ١٩٣٥ .

كانت الصحافة لاتزال فى دمى ، ربما البقية الباقية من أيام اتلانتا جورنال ، وأردت أن أخوض مجالها قبل كتابة روايتى التالية ، هذه العودة الى الصحافة كانت مهمة بالنسبة لى ، فهى مدرستى الأولى فى تعلم الكتابة ، ولم تفشل ابدا فى تجديد روحى ، ورتب ماكس ليبر لسفرى الى الجنوب لكتابة سلسلة من المقالات لنيويورك بوست ، ونشرت هذه السلسلة تحت عنوان « مستأجرو المزارع فى شرق جورجيا » فى فبراير اتبعتها بسلسلة اطول للجريدة نفسها نشرت فى

ابريل ، وكانت حصيلة سفر عدة اسابيع فى جورجيا والاباما ومسيسيبى .

حين وصلت نيويورك للاشراف على نشر « اركع للشمس المشرقة » ، اخبرنى ماكس ليبر ان مؤسسة فايكنج لم توافق على طبع كتاب السفر والذى اسميته « بعض الأمريكيين » ، وكان رأيه الا يتأخر نشر الكتاب ، وهكذا اتفق على نشره مع مؤسسة ماكبرايد ، وظهر فى اكتوبر سنة ١٩٣٥ .

قضيت معظم الصيف فى « ماونت فيرنون » وخططت للعودة الى الشاطىء الغربى عدة اشهر لافكر فى نوع الكتاب الذى سأكتبه . فقد حدث فى السنوات الأخيرة ان افكار بعض الكتب لم تكن تشد الانتباه ، وأردت ان أتأكد ان كتابى المثالى سيكون مهما بالنسبة لى ، سأذهب الى كاليفورنيا ليس لكتابة الافلام هذه المرة بل للحياة بعيدا عن هوليود والتفكير فيما اكتب فى وادى سان نودناندو فى ديسمبر ٣٥ الى ابريل ١٩٣٦ .

حقوقى المادية عن طريق التبغ تزايدت بثبات ، وبعد سنتين كان دخلى الاسبوعى منها قد وصل الى الف دولار ، استثمرت معظم النقود وان كان بشكل غير حكيم ، فى تعاقدات للمواد الخام والبترول .

فى بداية ابريل ، اضحت فى ذهنى فكرة واضحة ، عن نوع الكتاب الذى ارغب فى كتابته ، سافرت الى نيويورك وتحدثت مع ماكس ليبر عنه ، كان الكتاب دراسة واقعية عن الفلاحين فى الولايات التى تزرع القطن والضغط الاقتصادى الذى يرزحون تحته ، كان هدفى ان اوضح ان الادب الذى

اكتبه له ركيزة اصيلة من الحياة المعاصرة فى الجنوب ، ورغبت ان يوثق الكتاب بمجموعة من الصور ملتقطة في مواقعها .

ورغم انى التقطت عددا من الصور لتظهر مغ مقالاتى في نيويورك بوست ، الا انها صور من التقاط هاو ، ولم تكن لدى اوهام عن مقدرتى فى ذلك الحقل ، ولذا كنتً احبذ استخدام افضل المصورين لالتقاط صور الكتاب ان امكن .

بعد استعراض اسماء عدد من المصورين ، رتب لى ماكس ليبر لقاء مع « مارجريت بورك وايت » وهى مصورة شابة ملهمة اصدرت كتابا مضورا عن الصناعة لقى تقديرا كبيرا ، فضلا عن انها مشهورة بكتابها المصور عن طرق الصناعة والزراعة الروسية . وتقرر أن نسافر معا بالسيارة نجوب الولايات الجنوبية ، لمدة ستة اسابيع او شهرين .

بعد قضاء عدة أسابيع فى « مين » عدت الى جورجيا فى يولية سنة ١٩٣٦ لمقابلة مارجريت والرحلة الى الجنوب ، كان اسم الكتاب الذى سنتعاون فيه « رأيتم وجوههم » .

١٩

مرت الأسابيع الثلاثة الأولى من رحلتنا دون حوادث ، خططنا لنسافر مسافة ثلاثة آلاف ميل فى اتجاه الغرب أولا ، من جورجيا عبر الاباما الى المسيسبى ، وفى لويزيانا الى اركنساس ، ثم شرقا عبر تنيسى وكارولينا الى فرجينيا . قدت عربتى الفورد الى جورجيا وهى مثقلة بمعدات التصوير والحقائب وثلاثة اشخاص ، الثالث فى زمرتنا كانت مساعدة تحرير دعوتها لتقوم بكتابة اختزال دقيق للمحادثات التى سندرجها فى الكتاب . قبل مغادرتنا اوجستا اتفقت مارجريت وسالى بشكل ودى عمن ستركب فى المقعد الخلفى ومن تجلس فى المقعد الأمامى ، وقبلت سالى الجلوس فى الخلف طوال الرحلة قائلة بطريقة مرحة انها الفتاة المستأجرة ، وأن مثلها يتوقع منهن الجلوس على المائدة الثانية .

وبدأنا الرحلة فى ود ، ولكنى ادركت متأخرا انه كان بامكانى تجنب المشاكل لو تطوعت منذ البداية بالجلوس فى المقعد الخلفى وتركت احدى الفتاتين تقود العربة .

حين وصلنا « ليتل روك » اوضحت سالى انه من الصعب عليها كتابة ملاحظاتها بدقة فى المقعد الخلفى الهزاز ، حاولت ان اعالج هذا الموقف المتشابك ، بالاقتراح بالبقاء فى ليتل روك بضعة ايام ، اعتقدت ان التوتر سيختفى بمجرد ان تذهب سالى الى الكوافير وتشاهد بعض الافلام .

وحتى لو فكرت فى علاج افضل ، كان من المحتمل ان يفشل ايضا ازاء عدم اقتناع سالى واصرارها على الوصول الى قرار قاطع فى ليتل روك ، اوضحت مؤكدة منذ اليوم الأول لاقامتنا انها لن تكمل الرحلة اذا كان عليها ان تجلس فى المقعد الخلفى كل الوقت ، وقالت مارجريت انها ربما تفقد كل اهتمام بالمغامرة اذا كان عليها أن تجلس فى المقعد الخلفى اى فترة مهما قصرت ، حاولت ان اخفف من حدة النقاش بقولى انه يشرفنى ان تتجادل فتاتان جذابتان على الجلوس بجانبى ولكنى من اجل الوفاق ساجلس فى المقعد الخلفى طوال الوقت ، افهمونى انى يجب ان ابقى خارج النقاش .

فى الساعة الثانية والنصف صباحا ، ايقظنى موظف الفندق الذى نقيم فيه ليخبرنى ان هناك ضوضاء وفوضى فى الدور السادس ، ولابد من ايقافها .

وكرر مؤكدا : يجب ان تتوقف الضوضاء فورا .. النزلاء يشتكون .

قلت : أنا لا أثير أى ضوضاء .. انا فى سريرى .

قال : لكن احدى الفتيات تثير ضجة كبيرة .. واحدة من رفيقاتك انها مسئوليتك .

وعدته انى سأتصرف ، حذرنى بأن الأمر بيدى الآن ، واذا لم تتوقف الفوضى فسيتخذ اجراءات أخرى .

اتصلت بغرفة سالى تليفونيا ، لكن لامجيب ، لبست وخرجت الى الصالة ، لم أر احدا ولم اسمع اى ضوضاء ،

الصوت الوحيد فى الفندق كله هو صوت شخير احد النزلاء ، نزلت الى صالة الفندق الرئيسية وقلت للموظف غاضبا لقد أخطأت لاتوجد ضجة فى الدور السادس .

سلمنى مظروفا قائلا بهمهمة : هذه الرسالة تركتها لك الفتاة .

ـ اية فتاة ؟

ـ صاحبة الشعر الأسود التي خرجت لتوها ـ استدعيت سيارة اجرة وذهبت الى محطة السكة الحديدية قائلة انها ستستقل القطار خلال عشرين دقيقة .

جلست على كرسى وقرأت الرسالة .

قالت سالى انها تترك العمل وتعود الى البيت ، انها تستطيع العمل مع كاتب مزاجى واحد ، او مع مصورة مزاجية واحدة ، ولكن لااحد يضطرها ان تحتمل فنانين مزاجيين فى عربة واحدة فى فصل الصيف فى اركنساس .

القسم الثالث

سنوات النضج

١

البحيرات زرقاء هادئة ، والليالى صافية باردة ، وغابات البتولا تتلون اوراقها بالبنى والاحمر والذهبى فى خريف نيوانجلند الشمالية . وبعد صيف فى السفر فى الحرارة الرهيبة للجنوب ، كانت ولاية "مين" باردة وهادئة ، بدا لى آنذاك ان اهم شىء اقوم به هو صنع عصير التفاح فى المعصرة الخشبية الكبيرة خلف الحجرة ، اقفلت الآلة الكاتبة ووضعتها فى دولاب بعيدا عن انظارى .

وبعد شهر من الانهماك فى صناعة عصير التفاح صباحا ، والصيد بعد الظهر فى الغابات ، والتجديف عند الاصيل فى بحيرة باركر ، لم استطع كبح الرغبة فى الجلوس الى الآلة الكاتبة ، اصبحت الكتابة عادة كتدخين السجائر ، من الممكن أن امتنع عنها لفترات قصيرة لكنى اعود اليها دائما بشوق متجدد .

لم ارغب فى الانتظار فترة اطول للبدء بكتابة "رأيتم وجوههم" غادرت ماونت فيرنون فى اوائل اكتوبر متجها الى نيويورك لاعيش فى شقة فى الشارع الثانى والاربعين ، كانت رغبة مؤسسة فايكنج نشر الكتاب فى اسرع وقت وتحدد موعد

النشر في ربيع ١٩٣٧ . وأملت أن انهى المخطوط واختار الصور مع مارجريت واكتب التعليقات عليها خلال الأشهر الثلاثة الاخيرة من عام ١٩٣٦ . كانت مارجريت في عمل لمجلة وايف خارج المدينة مما آخر الاختيار النهائي للصور ، ووجدتني منشغلا بأعمال لم يكن لها آية صلة بإنهاء الكتاب .

صدرت الطبعة الفرنسية من روايتي ارض الله الصغيرة في اكتوبر ومن ترجمة موريس كوندرو استاذ اللغة الفرنسية في جامعة برنستون ، وذلك عن دار نشر جاليمار ، وبمقدمة بقلم اندريه موروا .

وكان هذا اول كتبي التي تترجم الى للغة آخرى ، مع العلم أن كل ماكتبته قد نشر في انجلترا عن دور نشر مختلفة ، واصر موريس كوندرو ان يقيم حفلا بهذه المناسبة تحت اشرافه ، وجاء الى نيويورك ونظم عشاء في بنى ملحق في مطعم في سنترال بارك ، واهداني اثناء العشاء نسخة من ترجمته وعلمني ان جاليمار طلبت منه ترجمة ثلاثة كتب أخرى لي في اقرب وقت . وقبل عودته الى برنستون كان قد اتفق مع ماكس ليبر على ترجمة "الأرض الامريكية" وطريق التبغ ونحن الاحياء . وكانت هذه بداية تعاون طويل وممتع مع موريس ومع دار النشر جاليمار .

اصبحت معوقات العمل متواصلة ، وبدا كما لو أن كتاب "رأيتم وجوههم" لن ينتهى في الوقت المحدد لنشره في الربيع ، احدى هذه المقاطعات كانت معرض الكتاب الذى اقامته جريدة نيويورك تايمز سنة ١٩٣٦ والذى كان عبارة عن حلقة ادبية عقدت في معهد روكفلر خلال الاسبوع الاول من نوفمبر شارك فيها المؤلفون والنقاد ، حثني مارشال بيت على

قبول دعوة للاشتراك فى المعرض ووجدت ان هذا النشاط يستقطع اسبوعا من وقتى ، كما لم يكن لدى الرغبة اطلاقا فى الحديث عن اعمالى أو مناقشة المشاكل الادبية ، وقد اقنعنى هذا المعرض ألا ابدى أى استعداد للاشتراك فى امثال هذه المهرجانات الادبية . كنت على ثقة انى سأكون اسعد لو شاهدت مباراة كرة قدم أو سلة .

ولكن ماحدث هو أكثر ازعاجا من هذا ، وعانى كتاب "رأيتم وجوههم" المزيد من التأخير ، فقد فشل ماكس ليبر فى منعى من توقيع عقد للقيام برحلة لالقاء محاضرات خلال الفصل الدراسى ٣٦ ـ ١٩٣٧ ، ورغم أن آخر شىء فى العالم كنت اتطلع اليه هو الحديث من منصة عامة فلابد انى لم اكن فى كامل وعيى حين وافقت بغباء ان اطوف فى مختلف المدن لالقاء محاضرات .

وباقتراب موعد المحاضرة الأولى ، جافانى النوم ليلة بعد ليلة رعبا من هذه المحنة ، ولاتسأل عن المرات الكثيرة التى فكرت فيها كيف تورطت فى هذا الأمر او معرفة ماحدث لى للموافقة على فتح الموضوع معى ، وقبل أيام قليلة من موعد المحاضرة فكرت جديا فى السفر الى امريكا الجنوبية لاهرب مما سيكون بالتأكيد تجربة مؤلمة .

ولحسن الحظ ألغى الموعد الأول باتفاق بينى وبين من أستأجرونى ، تلك الضربة من الحظ ، اعطتنى الفرصة والشجاعة ايضا أن أناشد فرانسيس كوسيل المدير المشرف على مكتب المحاضرات اعفائى من كل اللقاءات الباقية التى

رتبتها ، اعتقنى من العقد بحكمة ، والا فان كل من يهمه الأمر كان سيعانى وقتا شاقا بلا شك .

•

كان المحاضرة الأولى قد تقررت ان تكون فى كلية هاملتون في نيويورك ولحسن الحظ كان كارل ساندبرج بدأ جولة محاضراته وطلب منى اذا كان بالامكان الغاء محاضرتى لصالح ساندبرج ، وافقت بسرعة ولم أسأل سبب هذا الرجاء المتأخر ، ولكن ليونارد ليونس قال فى عموده الساخر ان السبب ان ساندبرج يعزف القيثار مع محاضرته اما كل ما اقدمه أنا فهو الكلام ومهما كانت السبب فانه اعفانى من المعاناة ذلك الخريف والشتاء .

● ● ●

٢

بالرغم من التأخير والمعوقات الأخرى ، وبفضل وحى الدقائق الاخيرة ، كان كتاب « رأيتم وجوههم» ، جاهزا للنشر عن دار فايكنج فى أوائل ١٩٣٧ ، كما صدرت منه طبعة شعبية ورقية الغلاف فى اخر العام عن دار « مودرن ايج » ـ العصر الحديث .

بعد الانتهاء منه ، كنت متشوقا للكتابة الابداعية ، فبدأت فى الربيع كتابة قصص قصيرة ، وقد طلب منى « مونت بورجيلى » وهو مدير لعدة صحف ومؤسس ومشرف على صحيفة « ميدويك بكتوريال » الاسبوعية المصورة ، ان اكتب له أسبوعيا ولمدة سنة ، وكان يفضل أن اكتب القصة القصيرة بدل المقالات ، ولكن وجدت بعد كتابة ست قصص ، أن تزويد المجلة بقصة قصيرة ، اسبوعيا عمل قاس جدا ، فتركت الكتابة الابداعية وغير الابداعية فى مجلة بكتوريال آسفا ، كان العمل مع مونت ممتعا ومربحا ، لكنى لم ارغب فى تكريس كل وقتى للصحافة .

عند نهاية الصيف كنت قد انتهيت من سبع عشرة قصة قصيرة ، واخبرنى مارشال بست ان مؤسسة فايكنج ترغب فى نشر مجموعة لى فى السنة التالية ، اقترحت عنوانا

للمجموعة ، وهى الرابعة التى انشرها « طرق جنوبية » وكانت قصصها قد نشرت فى العديد من المجلات بترتيب من ماكس ليبر ، وتراوحت مكافأة القصة منها بين عشرة دولارات و١٥٠٠ دولار .

وبدا واضحا لى فى سبتمبر من ذلك العام انه لابد من عمل شيء ما لتنظيم سجلاتى المالية والتى حاولت الاحتفاظ بها خلال السنتين الماضيتين .

فما باقى عبارة من ارقام مبعثرة على كعوب الشيكات ، دون تفريق بين المصروفات المهنية والشخصية ، ولاتوجد لدى فكرة عما اقدمه لدائرة الدخل القومى ، وقد بلغ دخلى حوالى ٢٠٠٠ دولار اسبوعيا من ريع مسرحية ، طريق التبغ ، والف دولار شهريا من ربع الكتب ، لاتصرف كلها بل ادخر جزءا منها ، وكانت هناك اكوام من الرسائل تحتاج الى رد . وادركت انى احتاج الى مساعدة وإلا لن يبقى لى إلا قليلا من الوقت للكتابة ، وفكرت فى استخدام سكرتيرة لأول مرة .

انتقلت ذلك الخريف إلى شقة أكبر فى فندق للاقامة فى سنترال بارك الغربية ، واستخدمت سكرتيرة مدربة ، فتاة واعية تدعى مارجريت سالتر قضت عدة اسابيع تصنف الرسائل وتنظم حساباتى المختلطة .

ووجدت وقتا كافيا أنذاك للرد على الرسائل المهمة ، اما باقى البريد فيمكن تصنيفه الى :

ا ـ خطابات تطلب نقودا بصراحة .

ب ـ خطابات تحوى قصة حياة كاتبها مقابل مكافأة عادلة .

ح ـ خطابات مجهولة التوقيع تتهمنى بكسب نقودى من معاناة الجنس البشرى عامة والمستأجرين من الفلاحين خاصة . باقى الخطابات التى لاتندرج تحت هذه المواصفات كانت ذات طبيعة جادة عموما ، اما سؤالا عن اتوغراف ، او طلب مقالة تصلح لـ مدرسى ، او طلب توقيعى على عريضة لاحتجا . اكثر الرسائل التى لفتت انتباهى تلك التى يطلب اصحابها مبلغا محددا من المال لمنع الاذى الجسدى عنى أو عن أحد أفراد أسرتى .

ووجدت ضمن الأوراق وثيقة قانونية أخرى تحمل توقيعى ، ربما وقعتها فى الوقت نفسه ، الذى وقعت فيه عقد جولة المحاضرات ، وكانت هذه بالموافقة على تكليف الفردهيز وليون الكسندر بمسرحة رواية الرحالة .

قرأت المسرحية بسرعة ووافقت عليها مع بعض التحفظات ، عدلت المقترحات فى النص ، ووقع سام بايرد ، الذى ترك دوره البارز فى طريق التبغ ، بعد اربع سنوات عقدا مع معد المسرحية لانتاجها .

لم تكن بى رغبة للتورط فى انتاج مسرحى فى برودواى اكثر مما كان لى عند مسرحة طريق التبغ ، لكن الحاح سام بايرد بالتليفون والبريد واللقاء الشخصى جعلنى اوافق فى النهاية فى المساهمة المالية للمساعدة بظهور « الرحالة » على المسرح ° وفكرت بأنه سيقتنع لو استثمرت بضعة آلاف من الدولارات فى الانتاج ، لكنه قال ان هذا ليس كافيا ، وأصر أن أساعد فى مراجعة نص المسرحية ، ومقابلة الممثلين

والحديث اليهم وحضور البروفات مما شغلنى لمدة شهرين بعمل يستغرق اليوم بطوله من الصباح حتى منتصف الليل .

وافتتحت المسرحية على مسرح فالتون فى نيويورك فى امسية شعرية فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٨ ، وقد حدث اثناء البروفة النهائية فى اليوم السابق ان معد المسرحية ومخرجها انكروا بصوت عال اى علاقة لهم بالمسرحية وشجبوا الشخصيات بكل الألفاظ بحيث لم يبق الا استخدام العنف .

لم يلق سام بالا لهذا الهدير الهائج واعتبره مجرد انفجار مؤقت عادى يحدث فى برودواى عشية الافتتاح ، وبقى محتفظا بهدوئه ومقتنعا ومتحمسا كعادته .

كانت مراجعات الصحف عن ليلة الافتتاح كلها تقريبا غير متعاطفة ، بل كانت عنيفة وذات تأثير يدفعنا لعدم رفع الستارة لليلة ثانية .

كان سام رجلا عنيدا ، ولايسمح لنفسه بأن « تيأس بسبب النقد » . قال ان فى تاريخ المسرح كثيرا من المسرحيات التى هاجمها النقاد ومع ذلك بقيت شهورا كثيرة منتعشة على الخشبة ، وأنه يود أن يرى الرحالة تأخذ مكانها بين تلك المسرحيات المختارة ، وكانت فكرته أن يوفر نقودا اضافية لمرتبات الممثلين وأجرة المسرح للمحافظة على استمرار المسرحية اسبوعا كاملا ، قائلا أن اضرار المراجعات الصحفية تكون قد نسيت فى نهاية الاسبوع وربما يظهر الشباك بعض التحسن ، وطلب منى توفير مبلغ خمسة آلاف دولار بأية طريقة .

من الطبيعى ، أنه ليس سهلا اقناع احد بدعم مسرحية قبل أن تفتتح ، ولكن شبه مستحيل أن تجد شخصا يدفع آلافا من الدولارات للمحافظة على استمرار مسرحية افتتحت .

قلت : سام لا أعرف أحدا يضع نقوده فى مسرحية تبدو فاشلة .

قال مؤكدا : ذلك سهل . ستجد ممولين فى برودواى لآلاف من الأشياء التافهة ، ان كل مايزمك هو الوصول الى الشخص المناسب والتحدث بسرعة .

قلت : انت عشت فى برودواى فترة اطول منى وربما تكون اقدر فى الوصول الى الشخص المناسب والحديث معه .

- يجب أن أبقى قريبا من الشباك فمن المهم للمنتج أن يراقب الشباك كما يراقب القبطان فى البحر البارومتر .

وكما تخوفت ، زودت المسرحية بالنقود من مدخراتى ، فى نهاية الأسبوع الأول انفقنا ٧٥٠٠ دولار للمحافظة على استمرار المسرحية اسبوعا آخر ، تبخرت مدخراتى بعد ذلك وجفت المنابع الأخرى وتوقفت المسرحية فى نهاية الاسبوع الثالث ، وأنا أشهد ذلك قررت أن أكون اكثر حرصا ؛ استثمار اموالى فى المستقبل خاصة فى دعم مسرحية برودواى .

٣

بعد اقامتى فى نيويورك لاكثر من سنة ، كنت قلقا بالرغبة للسفر ثانية سلمت مخطوطة مجموعتى القصصية « عادات امريكية » الى مؤسسة فايكنج لتصدر فى يونيه ٣٨ ، ولم أرتح لفكرة البقاء مدة ٦ ـ ٨ أشهر لكتابة رواية قبل ان أسافر فى رحلة الى مكان ما .

كنت فى الرابعة والثلاثين من العمر ولم أخرج من الولايات المتحدة وكندا ، ولم يكن صعبا ، فى مثل هذه الظروف، ان اقنع نفسى بأن السفر الى الخارج مازال فى اليد . اقترحت على مارجريت رايت ان نتعاون فى كتاب اخر ، بالصورة والنص ، وقد شعر كلانا ان كتاب « رأيتم وجوههم » برهن على تعاون ناجح ومن الضرورى ان يتبعه كتاب آخر ، يشبهه فى خطته ويختلف عنه فى موضوعه ، وبعد الاخذ فى الاعتبار عدة امكانيات قررنا السفر الى تشيكوسلوفاكيا لقضاء شهرين نجمع فيهما مادة لكتاب رحلات .

وحيث أنى لاأتكلم إلا الانجليزية ، أدركت صعوبة تعلم التشيكية والسلافية خلال أسابيع قليلة ، وحتى معرفتى المحدودة باللاتينية والفرنسية لم تفدنى فى هذه الناحية ، ومع ذلك كان هناك الكثيرون فى براغ ممن يتكلمون الانجليزية ، وفكرت انى اذا احتجت لمساعدة اتصل بجيرى بوير وهو وكيل أدبى ، او بفرانز ديسكوف وهو محرر فى

جريدة يومية ، وكانت ترجمة روايتي آرض الله الصغيرة قد صدرت بالتشيكية سنة ٣٧ من ترجمة ليدوفا كالتور ونشر مؤسسة جيرى بوبر .

وحين بدآنا الترحال فى الآقاليم الوسطى والشرقية من تشيكوسلوفاكيا ، بدت حواجز اللغة احيانا مسألة خطيرة . فى بوهيميا ومورافيا لم تكن هناك صعوبات كبيرة فى التفاهم مع سائقى التاكسى ورجال الشرطة وخدم المطاعم ، ولكن فى الاقاليم الشرقية لَم يكن من السهل العثور على من يعرف الانجليزية . حتى عمال الفنادق الذين يفخرون فى آوربا كلها بمقدرتهم على اجابة طلبات الاجانب العادية ، كانوا فى هذه الاقاليم يهزوّن اكتفاهم ويمضون، لدرجة ان الحصول على وجبة طعام فى فندق أو مقهى ، كان محطما للاعصاب احيانا ومحنة يحسب المرء حسابها ، فمثلا آنا آحب البفتيك ، وهو طعام تجده فى كل قائمة فى الولايات المتحدة ، وكان الطعام الوحيد تقريبا الذى يوجد بينى وبين الخدم تفاهم حوله ، فهم مغرمون به ، يحملونه باحترام شديد ، بغض النظر اذا كانوا هم يتناولونه او الزبائن . يبدو عليهم السرور دائما حين اطلبه . كما لاحظت انه من يطلبه يحظى باحترام اكثر من المعتاد .

ولمدة شهر كنت اتناول البفتيك فى الغداء والعشاء وحتى فى الوجبة الخفيفة . عند منتصف الليل اذا تصادف وتناولتها ، ويقدم هذا الطبق عادة فى اقاليم وسط اوروبا بيضة مقلية او اثنتين على البفتيك وأحيانا يقدم مع بيض مسلوق .

ذات صباح فى « أزغورد » قرب حدود اوكرانيا الروسية حاولت ان أطلب بيضا دون بفتيك فى الصباح ، فان تناول البفتيك مرتين فى اليوم يكفى .

قلت للساقى موضحا كلامى بشكل محدد باللغة التشيكية ، بيض دون بفتيك قال هازا رأسه قليلا : لابفتيك .

فكرت ان اناقشه بهذه المناسبة لتقوية لغتى لكنى خفت أن أربكه .

كررت : كثير من البيض فقط .
قال بلا حماس · كوروشو .
ذكرته بشدة : لابفتيك .. بيض .
قال وهو يمضى : تاك .

بعد حوالى عشرين دقيقة ، عاد بابتسامة عريضة ووضع أمامى طبق شوربة مملوء بالكافيار الأحمر ، وقال هو ينتحى ، لابفتيك .

قلت : ناظرا الى العطام النيىء : تاك .
ذقت قليلا من الطبق وبدأت امضغه كتجربة .

قال الساقى بالانجليزية لأول مرة : هل عجبك ؟

قلت ساخطا : اذا كنت تتكلم الانجليزية فلماذا احضرت لى بيض سمك بدل بيض الدجاج ؟

هز كتفيه كأنه لم يفهم شيئا مما قلت ، وبينما كان يقف مهمهما بسعادة تناولت معظم الكمية بالملعقة .

بعد السفر على معظم خطوط السكك الحديدية الاساسية والكثير من الخطوط الفرعية فى تشيكوسلوفاكيا ، اتناول البفتيك فى عشرات من المقاهى ومطاعم الفنادق ، ذهبنا الى بودابست واخذنا قطار الشرق الى باريس ، وفى أغسطس عدنا الى الولايات المتحدة .

كنت قلقا وأود أن أنهى الكتاب دون تأخير ، ورغبة فى تجنب المقاطعات ، استأجرت كوخا فى جزيرة برات ، وبعد شهرين كنت قد انهيت المسودة الأولى من الكتاب ، كان الشتاء قد قرب على الانتهاء ، اشتريت بيتا على قمة تل فى « دارين » بمبلغ عشرين الف دولار ، وانهيت النص فى آخر العام واخترنا الصور ، ونشر الكتاب عن دار فايكنج فى ابريل ٣٩ بعد أن احتل الألمان تشيكوسلوفاكيا ، وكان العنوان الذى اخترناه له أنا ومارجريت « شمال الدانوب » .

٤

وكما يحدث أحيانا ، فإن العقود تنتهى فتراتها ولا تجدد ، بغض النظر عن ودية العلاقات الشخصية والمهنية القائمة بين الناشر والمؤلف ، ويعتبر هذا حدث عادى حين يتضاءل حماس احد الاطراف . وطبيعى فى مثل هذه الحالات ان يلقى باللوم على الطرف الاخر ، مثلا حين يعرض الجمهور عن شراء الكتاب بالكميات المتوقعة ، فيلوم المؤلف الناشر او يأتى الناشر باللوم على المؤلف ، انذاك يضحى فك التعاون بينهما وشيكا .

استاءت دار فايكنج لأنى لم آكتب رواية منذ "الرحالة" التى نشرت سنة ١٩٣٥ وأعيد نشرها سنة ١٩٣٨ ، ولأنى أيضا أكرس معظم وقتى لكتابة كتب غير ابداعية ، مثل "شمال الدانوب" و"رأيتم وجوههم" ، وبدا ماكس ليبر وكيلى الادبى تعيسا لان هارولد ومارشال لا يميلون لقبول توقيع عقد جديد ، ولم أكن بدورى سعيدا لانى أعتقد أن دار فايكنج لم تبد اهتماما كافيا بالكتب التي كتبتها ، وكان حتما ـ تحت مثل هذه الظروف ـ ان يقل حماس الطرفين تدريجيا حتى تلاشى فى النهاية تماما .

لم تنتابني المشاعر نفسها ، عند انسحابى من دار فايكنج ، كتلك التى انتابتنى حين انهيت تعاونى مع ماكس بيركنز وسكر بنرز ، بدأت انظر للنشر كعمل أكثر منه كموضوع شخصى .

كان الوقت ربيعا ، وقد أزهرت الأشجار فى "كونيكتيك" ، نشر كتاب "شمال الدانوب" ، وبدأت كتابة رواية جديدة اسميتها "متاعب فى يولية" ، وهى تقدم وجها آخر من الحياة ، فى التصوير المتواصل للجنوب الامريكى والذى بدأته بطريق التبغ ، ثم أرض الله الصغيرة ، والرحالة ، كانت القصة عن السياسة فى مدينة صغيرة ، وتأثيرها على حيوات وشخصيات الناس فى المجتمع .

كنت أكتب خارج المنزل فى آيام الربيع الدافئة ، جالسا على جلمود صخر مغطى بالطحالب يطل على "لونج ايلاند" ، انهيت المسودة الأولى للرواية فى شهرين ، وقبل البدء فى الكتابة الثانية والأخيرة للرواية رأيت ان من الحكمة أن أصل إلى قرار حول عقد جديد للنشر سواء مع فايكنج أو آى دار نشر أخرى .

التقيت أنا وماكس عدة مرات مع هارولد ومارشال ، فى آحد هذه اللقاءات سأل ماكس هارولد إذا كان ينوى نشر رواية "متاعب فى يولية" .

قال هارولد : افترض اننا سننشر المادة الجديدة التى كتبها كالدويل ، قال ماكس وهو ينتصب فى جلسته : مادة .. تسمى رواية "متاعب فى يولية" مادة .. لم نأت هنا لندلل على بضاعة ، نحن هنا لنتحدث عن رواية ، وكالعادة ، حين تثور مثل هذه المواقف ، يلطف مارشال الجو بملاحظة فكهة تثير الضحكات الخافتة فى الغرفة ، ومع ذلك . ظل ماكس مصمما ان يدفع لنا مقدم كبير كحقوق تأليف لكل كتاب جديد ، وان نتسلم حقوق بنسب مئوية متزايدة بعد ذلك ، وقلت مضيفا الى

هذا الجو المكفهر انى آرغب فى وضع الأسس لسلسلة من الكتب تنتشر حول الولايات الأمريكية المختلفة تحمل عنوانا عاما "عادات شعبية امريكية" جذب هذا المشروع انتباهى منذ بدآت السفر فى الولايات ، ولاحظت الاختلافات البينة فى حياة الناس فى الآقاليم المختلفة ، أردت أن اخطط لسلسلة دراسات يكتبها مؤلفون على علم تام بالأماكن التى يقيمون فيها . بحيث يمكنهم وصف وتفسير الصفات الطبيعية والفطرية للحياة فى امريكا ، وقد قال لى توماس وولف قبل وفاته بقليل سنة ١٩٣٨ ، انه يرغب فى كتابة أول كتاب فى هذه السلسلة . ولكن بوفاته آجلت محاولة اصدار هذه السلسلة .

الهدف من كتب هذه السلسلة ، بالاضافة إلى كونها طريفة ومقروءة ، هو وصف التآثير الثقافى الذى غرسه المستوطنون الأصليون واحفادهم على الحياة المعاصرة ، وشرح الطريقة التى تختلف فيها الحياة من اقليم إلى آخر .

وبدا لى ان مجموع هذه الدراسات سيكشف ماتشربته الشخصية الامريكية . واعتقدت ان هذا البرنامج يمكن انجازه فى ٢٥ ـ ٣٠ مجلدا .

لم يكن هارولد ومارشال ، متحمسين لتنفيذ مغامرة كبيرة مكلفة كهذه تحت اشرافى ، وفى النهاية بدآوا ينظرون بعدم الرضا حول كل الطروحات التى قدمناها انا وماكس ، وبالتالى ، مع البقاء اصدقاء ، وافقنا على انهاء العقد بيننا وعدم توقيع عقد جديد .

مكثت فى "دارين" خلال صيف ٣٩ ، وانهيت رواية

"متاعب فى يولية" فى أوائل سبتمبر ، ولم تكن أول رواية اكتبها منذ عام ٣٥ فقط ، ولكنها أول كتاب اكتبه منذ سنة ١٩٣٠ ، ولم يكن لدى ناشر له .

عرضت دار "راندوم هاوس" ان توقع عقدا معى بشروطى ، لكنى ترددت فى الاتفاق مع ناشر حتى آتأكد انى سأقتنع بالتعاون معه لفترة طويلة ، كنت آمل ان أحقق علاقة ودية غير محدودة بفترة زمنية مع ناشرى الجديد ، وليس مجرد عقد لثلاث سنوات وثلاثة كتب كما فى الماضى .

كانت دار "راندوم هاوس" تنشر سلسلة المكتبة الحديثة ، باخراج جيد واعادة طبع زهيدة الثمن ، ولقد عرفت المحررين فيها بنيت ودونالد منذ نشرت أرض الله الصغيرة فى السلسلة سنة ١٩٣٤ ، كنت على وشك الدخول باتفاق معهما ، فقد قدموا بنودا أفضل من بنود أى عقد وقعته من قبل ، وكنت سأوقع العقد لو لم يحدث ان قابلت "شارلز دويل" على عشاء كنا فيه ضيوفا على أميل كلارك .

أخبرنى "دويل" عن الخطط التى رسمها مع سلوف وبيرس لانشاء دار نشر جديدة ، عرفت بيرس لسنوات عديدة واحترمت قدراته وبعد نظره كمحرر ، قلت لدويل انى أبحث عن ناشر جديد وانه بالتالى هناك دار نشر فتية وجريئة تبحث عنى ، قال فى الحال انه يمكننى كتابة عقد معهم . تصافحنا لتأكيد تفاهمنا واخبرته انى سأطلب من ماكس ليبر ان يوقع عقدا معه فى الحال .

ووقع العقد بعد ايام قليلة مشتملا كل البنود التى رغبنا فيها انا وماكس بما فيها برنامج نشر سلسلة كتب "طرق

شعبية امريكية" على ان يصدر منها سنويا من ٢ ـ ٤ مجلدات .

أول كتاب اعطيته لهم رواية "متاعب فى يولية" وتقرر نشرها فى فبراير سنة ١٩٤٠ ، ولكى نبدأ فى سلسلة طرق شعبية أمريكية باسرع وقت تركت "دارين" فى أواخر أكتوبر سنة ٣٩ وسرت فى رحلة اجتازت البلاد بحثا عن عدد من الكتاب القادرين على المساهمة فى الكتابة الى السلسلة .

٥

بعد خمسة أسابيع من مغادرتى "كونيكتيكيت" ، كان خمسة مؤلفين قد وافقوا على كتابة خمسة مجلدات فى سلسلة عادات شعبية امريكية جين توماس من كينتكى يكتب مجلدا بعنوان "بلد التلال الزرقاء" ، وآوتوا ارنيست من اركنساس يكتب "بلد الأوزال" ، وقضيت عدة أيام فى جامعة أوكلاهوما اتحدث مع ستانلى فستال حتى وافق ان يكتب مجلدا بعنوان "بلد العشب الأخضر" ، وقضيت أسبوعا فى سانتانى ، فى نيومكسيكو موطن هانيال لونج الذى وافق على كتابة "بلد الصنوبر" وفى لوس انجلوس تعاقدت مع ادوين كورل على كتابة "بلد الصحراء" .

وكان كورل هو الوحيد من المؤلفين الخمسة الذى لم اتراسل معه او اعرفه من قبل ، وحين انتهيت من حديثى معه موضحا سبب قدومى لرؤيته ، كان نقاشه معى شرسا نوعا ما .

قال : أحب أن أكتب الكتاب ، لكن لا أحب أن يراجع أحد ما أكتبه . إذا كان هناك ما يتطلب اعادة كتابة .. أقوم بذلك بنفسى ، أكدت له اننى لا أقوم بالمراجعة او التحرير بالشكل الذى يتخيله ، ووضحت له ان كل كاتب فى السلسلة عليه ان يخطط للكتابة بنفسه ، وبالشكل الذى يراه وكل ما افعله هو

تقديم الاقتراحات اذا طلبت . قال ! حسنا ذلك مختلف ، لقد رغبت فى كتابة مثل هذا الكتاب "بلد الصحراء" منذ عشر سنوات ، والان سأكتبه فى سلسلة عادات شعبية امريكية حتى لو تشاجرنا معا على كل فصل فيه .

وقد اقتنعت انه بهذه الكتب الخمسة ستبدأ السلسلة بداية ناجحة ، وقد نشرت هذه الكتب خلال عام ٤١ ـ ١٩٤٢ وفى خلال السنوات العشر التالية كان قد تم نشر ٢٥ مجلدا فى هذه السلسلة .

حين غادرت كاليفورنيا ، توقفت فى اريزونا خلال الأسبوع الأول من ديسمبر لزيارة هارى بيهن ، كان قد اشترى بيتا فى توكسون ، وهى المرة الأولى التى اراه فيها منذ غادرت هوليود ، كان قد افتتح قسما لكتابة البرامج الاذاعية والحوار الاذاعى فى جامعة اريزونا وكان رئيسا لذلك القسم . وخلال الأسبوع الذى قضيته هناك ، حاول ان يقنعنى بلا جدوى أن اشترى بيتا فى الصحراء اقيم فيه جزءا من السنة ..

كانت أول زيارة لى لصحراء اريزونا الجنوبية ولم تبهرنى شهرتها واتساعها القاحل وجبالها الجافة العالية . ولم استطع أن أفهم وأنا الذى قضيت ٣٧ سنة جائلا فى جنوب البلاد وشرقها ، لماذا يترك انسان ما بنفس راضية أراضى مملوءة بالأشجار الخضراء والعشب النضير ، من أجل رمل حمصته الشمس والصبار بأشواكه فى الصحراء .

بعد أسبوع فى اريزونا قررت الذهاب الى شاطىء ميامى وقضاء أسبوعين للاستجمام قبل العودة ، كانت المسافة بين توكسون وآل باسو فى تكساس أكثر من ٣٠٠ كم ، وقبل

وصولى الى باسو بعدة ساعات ، بدأت اشعر بالضعف والدوخة ، أوقفت السيارة عدة مرات على الطريق السريع قبل أن أتمكن من قيادتها ثانية ، هجمات من الحمى والدوخة تأتى على فترات ، لم اعتقد أنى سأموت لكنى لم أشعر من قبل انى قريب لهذه الدرجة من الموت ..

اعتزمت ان اتوقف عند فندق فى آل باسو ، ولكن ما ان غادرت العربة فى البلازا فى وسط المدينة ، وحاولت الوقوف أثنيت ركبت تحتى ، فعرفت أن الأمر خطير ، بعد جلوسى فى العربة لمدة ثلاثة أرباع الساعة ، سألت سائق تاكسى عن اقرب مستشفى ...

قال : ثلاثة بلوكات من هنا على الجانب الأيمن من الشارع ، لن تضل إذا حاولت . اضطراب نظرى لم يمكنى من رؤية شيء أبعد من المكان الذى أنا فيه ..

سألته : ما اسم المستشفى ؟

قال : هوتيل ديو ..

بدأت أحس بالحمى تغطى ذهنى ، قلت وأنا أهز رأسى للسائق :

ـ لا أريد الذهاب إلى فندق ، آريد مستشفى . دلنى على أقرب مستشفى . قال بجد : ذلك ما أقوله لك ... هوتيل ديو على بعد ثلاثة بلوكات ، لن تتوه . احتججت بضعف : مازلت تقول انه فندق أريد مستشفى ... أخذ نفسا عميقا وصاح ساخطا : إلا تفهم ماتسمع حين تسمع ، قلت لك أنه مستشفى ... هوتيل ديو اسم المسبتشفى .. اذهب الآن ..

حملقت فيه دون ان أراه جيدا ، وانتابني تساؤل لماذا يعذبني ...

رجوته : الا تدلني على مستشفى آخر .

قال هازاً رأسه : مستشفى مدينة المقاطعة ، ربما يعجبك اكثر هذا الاسم ...

سر فى هذا الشارع لمدة ثلاثة أميال فستصل إليه ..

قدت عربتى فى اتجاه المستشفى ، عثرت عليه بعد منتصف الليل بقليل ، تركت العربة فى موقف أمام المبنى وسرت مترنحا الى الاستقبال ..

كان فى الخدمة ممرضان وطبيب ، بدا عليهم الشك وهم يرونني أسير مترنحا ، ثم شم الطبيب نفسى ثم قادنى إلى غرفة مجاورة ، وأخذ حرارتى ، قال أنها فوق المعدل الطبيعى بدرجة خطيرة وأنى لابد ان أبقى تحت الملاحظة حتى الصباح ، كنت سعيدا أن أكون حيث أنا حتى أنى لم أهتم بما ستكشف عنه الأعراض ..

أيقظنى طبيب وممرضة عند الفجر ، ضحك الطبيب الطويل والذى كان فى مثل سنى وهو يخبرنى أنى مصاب بمرض « جدرى الماء » وأن علىّ أن أبقى فى المستشفى لمدة أسبوع ..

حين دفعت حسابى وهممت بالخروج فى نهاية الأسبوع ، أخبرتنى الممرضة أن الطبيب قد التقط العدوى وأنه وضع فى الحجر الصحى ... ذهبت إلى صيدلية قريبة واشتريت حلقة مطاطية من التى يعض عليها الأطفال وارسلتها له ..

وصلت فلوريدا قبل عيد الميلاد بوقت قصير ، ونزلت فى فندق ووفورد فى شاطىء ميامى .. مكثت هناك عدة أيام جاءتنى خلالها فتاة فى العشرين من عمرها ذات شعر آسود ، وطلبت منى مقابلة لمجلة طلابية تصدر فى جامعة ميامى . وفى الحوار الذى استمر ساعة تحدثت ميلدريد زن وهذا هو اسمها بذكاء ونباهة تلفت النظر ، قلت لها وهى تغادر أن هناك عملا لها معى كمساعدة تحرير فى أى وقت تشاء ..

قالت : انها تتوقع أن تتخرج من الجامعة فى منتصف فبراير وبعد ذلك ستفكر بالبحث عن عمل ... فى أواخر فبراير جاءت ميلدريد الى دارين حيث اقيم .

٦

بعد نشر «متاعب فى يولية» فى فبراير سنة ١٩٤٠ ، كانت هناك أوقات قليلة خلال السنة التالية لا أكتب أو أسافر فيها ، بدأت مع ميلدريد مهمة استغرقت ثلاثة شهور فى اختيار مجموعة قصص من المجلات ومن المجلدات القصصية الأربعة التي اصدرتها ، لاصدار مجموعة تحتوى على ٧٥ قصة . وقررت بالفعل بالاشتراك مع كاب بيرس أن نسمى العمل Jack Pot وتقرر أن ينشر فى بداية الخريف ... وقد اقنعنى سام سلون بأن أكتب مقدمة مختصرة لكل قصة من القصص الخمس والسبعين فى المجلد البالغ ٧٥٦ صفحة .

كان الاختيار سيتم من بين مائة قصة وذلك هو عدد القصص التى وضعتها كهدف أمامى سنة ١٩٣٠ ، رغبت أن أختار أحسن ٧٥ قصة وبدا واضحا أن عملية الاختيار وكتابة المقدمات ليست عملا عاديا سهلا قامت ميلدريد كبداية بالقصص التى نشرت فى المجلات ولم تنشر فى كتاب ولم يكن سهلا ايجاد نسخ من هذه المجلات ، فكانت تنسخ القصص التى لاتجدها من مكتبة نيويورك العامة ..

وكانت ميلدريد ، بالاضافة إلى عملها فى اعداد المجموعة القصصية ، تشارك فى التخطيط والاختيار لسلسلة طرق شعبية أمريكية ، وكانت الكتب التالية فى السلسلة هى : بلد الحدود العالية لاريك ثين ، بلد النخيل لستيتسول كنيدى ، وبلد المورمون لوالاس ستيجنر ...

في يولية غادرت دارين في رحلة الى مكسيكو ، ولقد تطلعت إلى الرحلة كعطلة من الكتابة ، لكني وجدتني أعمل في كتابة القصص القصيرة معظم الوقت ، وسافرت لعدة ولايات فترة استغرقت عدة أسابيع ، ثم عدت إلى نيويورك لأجد سام سلون قد رتب لي الاشتراك في عدد من البرامج الاذاعية ، منها ، والذي وجدته أكثر امتاعا ، برنامج معلومات من فضلك ، وبرنامج لقاء المدينة على الهواء ..

لم أكره الاذاعة وليس لي اعتراضات عليها كتلك التي جعلتني اتجنب جولات المحاضرات ، ومع ذلك فان الاذاعة لاتجتذبني كالكتابة ، وحين سألت سام لماذا يحثني على الحديث في برامج الاذاعة قال انها وجهة نظر الناشر الذي يرى أن الاشتراك في مثل هذه النشاطات من مقابلات في الاذاعة أو الصحف ، قد اثبتت انها جزء مهم للشهرة وبالتالي للتوزيع .

كتبت خمس أو ست قصص قصيرة في مكسيكو حيث نشرت بعد ذلك في عدة مجلات ، ومع ذلك كنت قلقا في البدء في كتاب جديد .. وفي سبتمبر اقترحت على مارجريت وايت ان نتعاون في كتاب ثالث بالنص والصور ، وقررنا هذه المرة ان نبقى في الولايات المتحدة ونسافر بالقطار والطائرة لمدة ثلاثة أشهر ..

بدأت الرحلة في أكتوبر من ولاية ايوا وانتهت في كولومبيا في كارولينا الجنوبية في ديسمبر ، خلال هذه الأشهر الثلاثة سافرنا إلى أكثر من اثنتى عشرة ولاية ، الكتاب الذي خرجنا به « قل هل هذه هي الولايات المتحدة ؟ » كتبناه في شهري يناير وفبراير ، وتقرر نشره في يونيه في العام نفسه .

أثناء العمل فى الكتاب ، أبدت مارجريت رغبتها فى التعاون معى فى كتاب رابع ، واقترحت ان نذهب هذه المرة إلى روسيا ، كانت قد سافرت إلى روسيا ولم أكن كذلك ، ولقى المشروع قبولا لدى .. ذهبنا إلى واشنطن وطلبنا فيزا لدخول الاتحاد السوفييتى السفير الروسى لدى أمريكا لونستانتين أومناسكى لم يبد حماسا لخطتنا بالذهاب إلى روسيا لجمع مادة الكتاب ، قال أولا أن رحلة كهذه فى ذلك الوقت بالذات .. ستكون مرهقة لرفيقتى بسبب صعوبات السفر ، سنة ١٩٣٩ ، وانها خبيرة بالسفر أكثر منى ، ثم حاول ان يثبط همتنا بقوله انه يعد بدخولنا روسيا لكن لايعد بخروجنا منها ، وأخيرا حذرنا بأننا قد نجد أنفسنا سجناء حرب فى الاتحاد السوفييتى .. لكنه ضاف إذا نجحنا فى الوصول إلى الصين ، فإننا يمكن أن نحصل على فيزا من السفير السوفييتى فى شانج كينج .

بدأنا نعد للرحلة فورا . أعطيت مخطوطة « مثل هذه هى أمريكا» ، إلى الناشر ، وذهبت لاشهد عرضا لمسرحيتى طريق التبغ فى برودواى لآخر مرة ، وهى المسرحية التى سجلت حتى ذلك الوقت رقما قياسيا فى استمرار عرضها ، والتى سيتوقف عرضها بعد سبع سنوات ونصف . وعلى الرغم من أن المسرحية بدت اسوأ مما كانت فى السابق ، فالممثلون قد لعبوا أدوارهم لفترة طويلة حيث أعطوا الانطباع بالملل فى عملهم ، فانها بدت لى قوية كما رأيتها تقدم أول مرة .

ذهبت أنا ومارجريت ، فى منتصف مارس ، إلى لوس انجلوس لنطير من هناك إلى هونولولو حيث أخذنا تصريحا

لدخول الصين على الخطوط الجوية الأمريكية ، كانت الحرب الصينية ـ اليابانية على أشدها سنة ١٩٤١ وكان من الصعب وجود أماكن فى الطائرات وهى الوسيلة الوحيدة للسفر عبر الصين من هونج كونج إلى شانج كينج ، انتظرنا أسبوعا فى هونج كونج ، قبل أن نحصل على مكان على طائرة شحن تحمل بالات من العملة الصينية القومية إلى عاصمة الحرب شانج كينج ، فى هذه المدينة قضينا معظم وقتنا فى مخابىء مزدحمة اتقاء الغارات الجوية اليابانية ، وبعد انتظار لثمانية أيام ختم السفير السوفييتى جوازات سفرنا بالفيزا لدخول الاتحاد السوفييتى ...

بدأنا رحلتنا بألما آتا عاصمة جمهورية كازاخ السوفييتية على متن طائرة صينية صغيرة بمحرك واحد ، وصلنا لانشو فى ولاية كاتو الصينية حيث تعطل محرك الطائرة الألمانية الصنع ، وانتظرنا تسعة أيام حتى جاءت طائرة أخرى من الطراز نفسه وحملتنا إلى هامى فى ولاية شكيانج والتى كانت محطة تغيير الطائرات مع الخطوط الجوية الروسية .

هبطت عاصفة رملية فوق صحراء جوبى فى منغوليا أرغمت الطيار الصينى أن يهبط اضطراريا فى مطار حربى منغولى ، وأحاط الجنود بباب الطائرة كسد منيع ، وتساءلنا هل كان فى ذهن لونستانتين اومانسكى منغوليا حين قال ربما نجد أنفسنا سجناء حرب فى روسيا .

بعد ثلاث ساعات ونصف من مكوثنا فى الطائرة الممنوع عنها حتى الهواء ، وضعنا فى عربة لورى ونقلنا إلى معسكر حيث وضعنا تحت الحراسة حتى انتهت العاصفة الرملية فى اليوم التالى . تأخرنا لمدة ٢٤ ساعة تسبب فى تأخرنا عن

موعد الطائرة فى هامى ، وكان علينا أن ننتظر ستة أيام أخرى لموعد الطائرة الأسبوعية إلى الما آتا .

حين كنا فى السفارة السوفييتية فى تشانج كينج ، كانت أليس لون موتس تطلب فيزا لدخول روسيا ، وقد حجزت معنا فى لاشو ، وقضينا الوقت معا فى هامى نلعب الشيكرز الصينى ونأكل الكافيار الروسى الأسود الجيد الذى كان الكيلو منه يباع بثمان دولارات .

فى ألما آتا تأخرنا مرة أخرى بسبب تفتيش الأمتعة وتفحص جوازات السفر ، لكنهم فى اليوم الرابع أعادوا لنا أمتعتنا وجوازات سفرنا ووفروا لنا الأماكن إلى موسكو على طائرة روسية حديثة بمحركين ، الفرق الوحيد الملحوظ بينها وبين الطائرة الأمريكية الشبيهة لها هو أنه لم يكن بها أحزمة للمسافرين .

بعد طيران لمدة يومين ، وتوقف ليلى فى اكيتوبنسك ، وصلنا موسكو فى الأسبوع الأول من مايو سنة ١٩٤١ .

٧

المكافآت السخية فى الاتحاد السوفييتى لمن ينشر له من الكتاب محيرة ، من الممكن لكاتب شيوعى ان يتوقع معاملة خاصة فى دولة شيوعية ، لكن لست شيوعيا ، ولهذا لم أكن مهيأ لهذا الكلام ، ذهبت مع مارجريت لكتابة وتصوير كتاب عن عيد العمال هناك وليس للحياة فى رفاهية ، وفجأة وجدت كل هذا العز يلقى فوقى ، وبدا من الحمق الا أطلب من الساقى أن يحضر لى الكافيار والشمبانيا لوجبة خفيفة عند منتصف الليل .

سألت ايوجين بتروف وهو صحفى وروائى روسى يتكلم الانجليزية ، لماذا ينال المؤلفون حقوقا لكتبهم فى روسيا أكثر منهم فى أمريكا ؟

قال : حين يطبع كتاب لمؤلف هنا فذلك يشير إلى انه يعبر عن وجهة نظر الدولة ولذا يطبع منه مئات الألوف من النسخ .

قلت : لكن كتبى أمريكية ... فلماذا تطبع هنا ؟

ـ الروايات الأمريكية الآن مع السوفييت وقد تكون غدا ضدهم . بعد أيام قلائل فى موسكو ، اخبرنى ميخائيل ابلتين سكرتير القسم الأجنبى فى اتحاد الكتاب السوفييت ان لى مبلغا كبيرا من الروبلات كحقوق نشر لكتبى ، كان العرف قد جرى فى الاتحاد السوفييتى هو طبع كتب المؤلفين الأجانب

دون التفاوض مع المؤلف أو كتابة عقود ، لكن الحقوق تقدر بالكامل ، وتودع فى بنك الدولة كحق للمؤلف ، ولكى تحصل على هذه الحقوق يجب ان تذهب إلى روسيا وتطلبها شخصيا .

اعطانى قائمة لكتبى المترجمة ، الأرض الأمريكية طبع فى موسكو سنة ١٩٣٦ فى طبعة مصورة وأعيد طبعه سنة ١٩٣٧ فى طبعة شعبية ، طريق التبغ نشرت على نطاق واسع سنة ١٩٣٨ ، متاعب فى يوليو سنة ١٩٤٠ ، طبعات مختارة من المجموعات القصصية نحن الأحياء وأركع للشمس نشرت ١ ، ٣ ، سنة ١٩٤١ كما نشر العديد من القصص فى المجلات الشهرية والجرائد الأسبوعية .

حين سئلت فى قسم النشر الابداعى كم روبلا أود أن اسحب قلت ، آخذ كل حسابى ، لم تعط لى أية فكرة عن مقدار هذا الحساب ، وخمنت انه سيكون مئات من الدولارات تكفى لدفع جزء من تكاليف معيشتى وسفرى وأنا فى روسيا .

وما كان يمكن أن يتم ويحدث فى حالة كهذه كى تسحب حقوقك من مكتب النشر هو خطوة بسيطة لكنها تحولت إلى احتفال كبير بدأ فى الواحدة والنصف بعد الظهر وانتهى فى السادسة مساء .

ومنذ بدأ الحفل لم يبد على أحد أنه يود أن يضع نهاية له .. قدمت انواع مختلفة من الفودكا ، وبعد حديث لمدة ساعة عن جاك لندن ، وشكسبير وابتون سنكلر ، وميخائيل شولوخوف ، وكونفوشيوس وشخصيات أخرى موضع الاعجاب ، وزعت الفودكا لساعة أخرى على المحررين

ومساعديهم والمترجمين فى الوقت نفسه الذى كان الكافيار يحضر فى آنية كريستالية كبيرة ، والجرسونات يحضرون الشمبانيا البيضاء والقرنفلية ، وبمجرد ان يفرغ وعاء كافيار جزئيا ، يحضرون آخر مملوءا ، وامدادات الشمبانيا تترى بكميات غير محددة .

وقرب المساء قدمت حلوى من الشيكولاتة ثم القهوة .

وأخيرا دخل محاسب ومساعده يحملان روبلات محزمة ، المبلغ كان فى رزم من العشر روبلات ، وكل ربطة تحتوى على ألف روبل . بعد أن رتبت بعناية فى صفوف على غطاء المائدة الأخضر طلب منى المحاسب التوقيع باستلام المبلغ .

أعطونى حقيبة لوضع النقود بها ، لأحملها واحتفظ بها فى خزانة فندقى ، حيث سأواجه موقفا عصيبا كأجنبى اذا حاولت ايداعها أحد البنوك ، متى سحبت النقود يصعب ايداعها ثانية كما لايمكن اخراجها من البلاد .

أعطيت نصف المبلغ تقريبا لمدير الفندق ليحفظه لى ، ووزعت الباقى تحت السجادة وفى الدواليب وخلف الصور على الحائط .

ولم يمض وقت طويل حتى اكتشفت ان اسعار البضائع

والخدمات حين تدفع بالروبل أعلى مما توقعت ، وفى الوقت الذى غادرت فيه روسيا لم أكن فقط أحول الدولارات الى روبل بسعر رسمى ولكن انفق على مهنتى أكثر مما اكسبه فى روسيا وامريكا معا .

خططت مع مارجريت ان نسافر عبر روسيا البيضاء ، واوكرانيا والقوقاز واجزاء من سيبيريا ، لكن بعد انتظار ثلاثة اسابيع كنا سعداء ان أخذنا تصاريخ للسفر فى رحلة الفى ميل الى ماركوف وقبليسى والبحر الاسود ، واخبرنا المراسلون الاجانب الذين لهم فى موسكو شهورا عدة ، ولم يفلحوا فى شراء تذكرة قطار للينجراد ، اننا محظوظان بالحصول على تصريح للسفر خارج ضواحى موسكو .

بعد الاسابيع الثلاثة ذهبت الى مكتب الصحافة الحكومى ، وسألت متى يمكننا تسلم التصاريح لبدء الرحلة ؟

قال شاب صغير وقور الوجه فى حوالى السابعة والعشرين ويتكلم الانجليزية بوضوح وطلاقة ، ان اليس موتس لن يسمح لها بمرافقتنا وهكذا لايمكننا مغادرة موسكو حتى تغادرها .

فتساءلت عن السبب الذى تطلب فيه اليس تصريحا للسفر معنا .

قال بآسى : لانك مسئول شخصيا عن تصرفاتها .

ـ لكن لماذا ؟

ـ لانك مستخدمها .

ـ لا . هى تسافر على مسئوليتها الخاصة لتكتب كتابتها الخاصة .

ـ انت مخطىء اذن . فقد ادليت بمعلومات خاطئة .

ـ قلت محتجا : لا اعرف لماذا تقول ذلك . فأنا لم أر اليس فى حياتى حتى قابلتها فى الصين ، وكانت مصادفة ان تأتى الى روسيا على الطائرة نفسها .

ـ مستر كالدويل .. من العبث أن تظل مصرا على أنكار الحقيقة .

ألأمر واضح لابد لها من الحصول على تصريح سفر حتى ترافقك .

ـ لا أعتقد أن ذلك سيروق لها .

ـ أنها لاتستطيع البقاء فى موسكو ، اذا أنت غادرتها ، وأنت لاتستطيع أن تغادر دون صحبتها .

قالت : هناك شيء ما خطأ . هناك خلط ما .

قال : من الواضح أنك احضرتها الى روسيا معك . ذلك نعرفه جيدا وانت شخصيا مسئول عن تصرفاتها السياسية مادامت داخل حدودنا .

قلت بصوت منخفض : لكنى لم أحضرها .

فتح الرجل ملفا واخرج عددا من الأوراق الرسمية وفردها على المكتب امامنا ، قال وهو يراقبنى : هنا .. أمامنا البرهان المطلق .

قلت : قل لى ماذا تقول الأوراق ؟

قال . مسجل هنا كمحضر رسمي أن اليس موتس منحت إذنا بدخول الاتحاد السوفييتى فى ألما آتا بناء على طلب منك .. والسبب الموضح هنا انها سكرتيرتك .

قلت : لم أقدم مثل هذا الطلب وهى ليست سكرتيرتى أيضا .

ـ مستحيل أن تكون السجلات الرسمية على خطأ .
ـ شخص آخر هو الذى فعل ذلك .. لكنى أعرف انى لم أفعل .
ـ لن يسمح لها بدخول الاتحاد السوفييتى لو لم تقدم أو يقدم أحد غيرك طلبا بذلك .
قلت : اسألوا عن شخص آخر .
قال هازا رأسه : هذه مسألة خطيرة .. لو تخليت عن أى مسئولية تجاه تصرفاتها السياسية فهذا يعنى انه لم يزكها أحد وعليها مغادرة الاتحاد السوفييتى فورا .

قلت : اذا كنت أنت الذى ستخبرها بذلك فيجب أن تستعد للجرى بسرعة قبل أن تبدأ بقذفك بالاثاث .. لا اعتقد انها سترحب باقتراحك .. بالاضافة انها اذا كانت ذكية بدرجة تمكنها من دخول البلاد فستكون ذكية مما فيه الكفاية للبقاء ، انت تعرف كيف تكون عليه هؤلاء الفتيات الامريكيات حين يردن شيئا .
جمع الشاب أوراقه ووقف ، لم ترتسم الابتسامة على وجهه .
قال : تصريحات سفركما ستكون جاهزة غدا ، سيسمحون لكما بتنفيذ ماعزمتا عليه ، ولن يسمح لأليس بالسفر معكما .. خطط أخرى سترتب لها .

٨

انفجار الحرب الألمانية الروسية فى ٢٢ يونية ١٩٤١ وضع حدا مفاجئا للخطط التى رسمناها لجمع مادة الكتاب خلال بقية الصيف ، حين بدأت الحرب كنا فى منتجع سوخومى على الشاطىء الجورجى للبحر الأسود ، وتهيأنا للمغادرة على أول قطار ممكن ، استطعنا تدبير مكان فى عربة نوم ، ولكن كان من الصعب الحصول على طعام ، بدا لى انى انفقت معظم الوقت الذى قضيته مستيقظا فى الذهاب الى صنبور المياه الساخن والوقوف فى طابور من آجل الحصول على الماء المغلى لعمل الشاى كلما توقف القطار فى محطة ، وحصلت على الطعام بالانحناء خارج نافذة عربة النوم واستجداء امرأة عجوز تبدو كالجدة فى أن تبيعنى من الكاشا بدل واحدة ، واستمرت الرحلة شمالا عبر أوكرانيا أربعة أيام بلياليها ووصلنا موسكو صباح ٢٨ يونيه .

حين وصلت الى الفندق كان هناك العديد من البرقيات من امريكا ، معظمها من جرائد تطلب منى العمل كمراسل لها ، كان فى الاتحاد السوفييتى حقبة من الصحفيين وكانت هناك أعمال متوافرة لهم أكثر من عددهم . ذهبت لرؤية السفير الأمريكى فى موسكو لورنس ستاينهرات وكانت لديه برقيات اضافية لى ولمارجريت . بدأت مارجريت فورا التصوير لمجلة لايف . وبعد دراسة العروض التى قدمت لى . وافقت على

ارسال تقارير يومية بالراديو الى مؤسسة اتحاد الصحافة ، ورسائل مرتين بالراديو الى نيويورك على الموجة القصيرة لمحطة كولومبيا ، كما وافقت على كتابة مقالات لمجلة لايف . نتيجة لهذا العمل الكثير ليل نهار ، استخدمت جزءا من مدخراتى لشراء سيارة مستعملة واستئجار سائق وسكرتيرة ، لاحظت منذ البداية ان السائق يحمل مسدسا تحت بزة القيادة ، ولم اكتشف الا بعد عدة اسابيع انه كوربورال فى الجيش الأحمر ، وانه قد خصص ايضا ليكون حارسى الشخصى ، اما سكرتيرتى التى تتحدث الانجليزية بطلاقة كما انها حادة الذكاء فقد اختارها مكتب الصحافة لتقوم بالعمل الذى أريده .

من المهمات الثلاث التى اخذتها على عاتقى كانت التقارير المذاعة لمحطة CBS أصعبها خاصة فيما يتعلق بتوقيتها وظروفها ، أو أن النصوص التى ستذاع لابد أن تقدم فى ثلاث نسخ للرقابة فى المكتب الصحفى الحكومى ، وذلك قبل ساعة من اذاعتها ، وكما يحدث دائما حين ترفض كلمات او جمل أو نصوص كاملة كان يجب أن أصيغ بشكل آخر واقدمها من جديد للرقابة ، وكانت أوقات الاذاعة المحددة الثالثة بعد الظهر والثالثة بعد منتصف الليل ، واضحى العمل صعبا حتى فى الليل حين بدأت الغارات الالمانية على موسكو فى اوائل يولية ، وقد قذفت الاذاعة التى كنا نستخدمها بالقنابل فى الساعة الثالثة بالضبط بعد اسبوعين من بدء الغارات ، وكان علينا ان ننتقل الى اذاعة أخرى ، وكانت هذه الأخيرة علامة مميزة ومعروفة فى موسكو ، ويتوقع أن تكون من أول أهداف المغيرين ، وأصبح الذهاب والعودة من المحطة تجربة ليلية مرعبة فى الأشهر الثلاثة التالية ، فقد كانت القذائف الفارغة

المتساقطة من المدافع المضادة للطيران فى الشوارع المعتمة ، أكثر من القنابل التى تلقيها القاذفات الألمانية .

كنت أرسل تقاير لاسلكية يومية لمكتب اتحاد الصحافة الأمريكى ، حين بدأت استلم برقيات مطولة من رالف انجرسول المئول عن مؤسسة ب . م فى نيويورك كانت الأولى ودية وعارضة وتعلمنى فقط بأن ب . م محتاجة الى مراسل فى موسكو ، البرقية الثالثة تطالبنى بالمساعدة فى ايجاد مراسل لـ ب . م . بعد عدة أيام أصبحت برقيات رالف جادة وتحثنى بشدة على مراسلة ب . م . ولم تعد تمنيات ودية بالصحة والعافية . ثم قالها رالف بصراحة أنه يريدنى ان استقيل من مراسلة مكتب اتحاد الصحافة وأن أصبح مراسلا لمؤسسة ب . م مع زيادة فى المرتب . كان مكتب الصحافة يدفع لى الف دولار شهريا ، والمبلغ نفسه من الاذاعة وكنت مقتنعا بذلك ، اعلمت رالف أنى لا أرغب فى تغيير العمل ولكن ستظل ب . م على خاطرى فيما لو طلب أى مراسل ذلك العمل .

كنت قد كتبت عدة مقالات عن حصاد القمح فى كانساس للأعداد التجريبية لجريدة ب . م وتسلمت ٢٥٠٠ دولار نظير ذلك ، ولم يكن سهلا تحت هذه الظروف الضاغطة ان اناقش انى من حملة اسهم مؤسسة ب . م وانه من الأفضل ان أعمل لحساب شركتى ، كان ذلك قرارا صعبا علىّ أن اتخذه ، ووعدت نفسى الا أقوم بالتغيير ، اذا لم أجد الشخص الذى يقوم بالعمل لحساب المكتب الصحفى .

ولحسن الحظ كان ايوجين بتروف متشوقا للعمل كمراسل للمكتب الصحفى واستلم عملى فى الحال ، وابرقت لرالف اعمله انه كسب الجولة وسأعمل لحساب ب . م .

فى منتصف سبتمبر ادركت انى لن استطيع القيام بعملى اكثر من ذلك ، فعلى مدار ساعات اليوم اكتب لـ ب . م ومجلة لايف والاذاعة . اعلمت الشركات الثلاث انى اعتزمت مغادرة موسكو فى اكتوبر لأعود الى نيويورك وعليهم اتخاذ الترتيبات ليحل محلى آخرون ، وكانت مارجريت قد انهت المقال الأخير للايف ، ومستعدة للعودة الى الولايات المتحدة .

رتبنا ان نسافر فى سفينة بخارية تسير فى قافلة الى انجلترا ، وقام بترتيبات السفر سفير بريطانيا فى الاتحاد السوفييتى ، وكانت اليس موتس قبل ذلك قد اعلمت السفير انها ليس لديها النية فى مغادرة البلاد الا برغبتها وكان عليه نقل تلك الرسالة الى الخارجية الروسية .

بعت سيارتى وودعت سائقى وسكرتيرتى الحسناء ، وكان يعز علىّ بالدرجة نفسها مغادرة الجناح الفخم فى الفندق القومى ، اصبحت مشدودا بدرجة كبيرة الى الملائكة المجنحة المرسومة على أوراق ذهبية ترصع سقفه ، وقبل مغادرتى ارسلت فى طلب اخير من الكافيار والشمبانيا ، ونظرت لأتأكد أنى لم أترك روبلات كنت قد خبأتها .

وركبنا القطار فى أوائل أكتوبر الى اركانجلسك ، وصلناها عند هبوط الليل بعد يومين فى جو ممطر مثلج ، وكانت سفينة الركاب التى صعدنا اليها معدة للخدمة فى المناطق الاستوائية فلم تكن مجهزة بوسائل للتدفئة ، كان معنا اثنا عشر راكبا اخرين حين غادرنا فى رحلة طويلة باردة عبر وايت سى وبحر بارنيت فالبحر النرويجى الى فيرت كلايد . كان الضباب لاينقشع الا لماما ولمدة ساعة أو اثنتين فى اليوم ، ولذا كانت غارات الطائرات الألمانية علينا قليلة .

٩

اعتقدت أنى قمت بكمية كبيرة من الكتابة فى روسيا خلال خمسة اشهر ، لكن هذه الكمية تبدو ضئيلة مقارنة بالصفحات التى طبعتها على الآلة الكاتبة خلال أسبوعين فى انجلترا .

بدا وكأن كل صحيفة تقريبا فى فليت ستريت ، كانت تخطط منذ يونيه أن تستولى على حقوق النشر الكاملة لسلسلة مقالات رئيسية عن محنة الحرب الروسية الألمانية ، وكان السباق الصحفى من أجل ذلك ، محموما وأكثر عدوانية عما كان عليه فى موسكو أو نيويورك .

فى المساء الثانى من وصولنا إلى لندن من جلاسجو تعاقدت على كتابة سبع مقالات عن الحرب الروسية الألمانية كما لاحظتها فى موسكو وجبهة سمولينسك بدأت العملية فى الليلة نفسها ، فى غرفتى بفندق سأقوى ، وللتأكد من تسليمى المقال إلى الصحيفة المضبوطة وليس إلى صحيفة منافسة ، فقد تمركز فى صالة الفندق مراسل من صحيفة ديلى ميلى طلب منه أن يغادر غرفتى حتى يأخذ المقال الأول ، نشر المقال الأول فى اليوم التالى ، ولكى أتم سلسلة المقالات فى الوقت المحدد كان لزاما على ان استخدم طابعا على الآلة الكاتبة متفرغ تماما ، وقبل الانتهاء من نشر المقالات السبع ، عرضت شركة نشر هتشنسون ان أوسع هذه المقالات لتنشر بالصور فى كتاب . ووافقت مارجريت على اختيار ٧٨ صورة

مناسبة للكتاب ، انهيت العمل فى اسبوع وحدد موعد لطبع الكتاب فى ديسمبر . وكان عنوانه « روسيا فى الحرب » .

قبل موعد رحيلنا إلى الولايات المتحدة بأربعة أيام ، عرضت دار نشر هتشنسون نشر يوميات الحرب التى كتبتها فى موسكو ، كانت اليوميات مع الملاحظات التى دونتها تتكون من مئات الصفحات ، وكان لابد من اعادة الصياغة لها ، لكن الكتاب انهى فى أربعة أيام بمساعدة كاتبين على الآلة الكاتبة متفرغين تماما ، وحدد موعد لطبع الكتاب فى يناير التالى ، وكان عنوانه « موسكو تحت النيران » .

كانت لندن أكثر تعرضا للغارات من موسكو ، والصعوبات والمشاكل فيها أكثر وضوحا ، لكن الانجليز بروحهم المعهودة فيهم كانوا مهتمين بالقراءة عما يحدث فى روسيا أكثر من حديثهم عن مصيبتهم الخاصة .

طرنا من انجلترا إلى البرتغال ، وفى لزبون سافرنا على شركة الخطوط الجوية الأمريكية لنصل نيويورك فى الأسبوع الأول من نوفمبر سنة ١٩٤١ بالضبط بعد شهر من مغادرتنا موسكو .

بعد أن تحررت من ضغط الكتابة المحددة بوقت معين ، ثم الكتابة للاذاعة ١٨ ساعة فى اليوم ، ومتحررا ايضا من قسوة العمل المركز لمدة أسبوعين فى لندن ، اتخذت قرارا قبل وصولى نيويورك بالا اندفع فى أى نوع من الكتابة فى أمريكا .

ومع ذلك فان دويل وسلون وبيرس حثونى ان ادعهم ينشرون كتابا مبنى على أحاديثى الاذاعية وتقاريرى

الصحفية من موسكو على أن أسلمهم الكتاب فى أقرب فرصة ممكنة ، ولأنه من نوع الكتب التى أحب كتابتها ، فقد بدأت فى اعداده على الفور ، مصمما ألا ارتبط بأى نوع من الكتابة الأخرى .

وبمساعدة ميلدريد زن التى جاءتو إلى دارين لتساعدنى كسكرتيرة ، اتممت الفصول الأولى فى آخر نوفمبر ، ولحسن الحظ فإن مليدريد استطاعت ان تقرأ ملاحظاتى المشخبطة ، بالقلم الرصاص ، وقد وفرت النسخة المطبوعة على الآلة الكاتبة والتى قامت بها كثيرا من الوقت .

انهيت الكتاب فى أواخر ديسمبر واسميته « كل ماجرى على الطريق إلى سمولينسك » ، وقد تقرر نشره فى فبراير ١٩٤٢ ، وذلك بعد شهرين من دخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية .

فى يناير سنة ١٩٤٢ بدأت أكتب رواية مبنية على عمليات الفدائيين فى الاتحاد السوفييتى ، كان هدف الرواية ابراز الدور الذى لعبه المدنيون فى الحرب فى الاتحاد السوفييتى فى شكل روائى ، وبدا واضحا ان « نضال الانصار » كما كانت تسمى هذه الحرب من المدنيين ستصبح جزءا هاما فى الصراع الدولى فى المستقبل ، وان توضيحها سيكون موضع اهتمام الأمريكيين .

كان هذا أول عمل روائى اكتبه بعد متاعب فى يولية سنة ١٩٤٠ ، وكتبت الرواية والتى كانت عنوانها « طوال الليل » فى ثلاثة أشهر ونصف ، وسلمت المخطوطة إلى دويل وسلون وبيرس فى ابريل ، وتقرر نشرها فى خريف سنة ١٩٤٢ ، وقد اختارت جمعية الكتاب فى امريكا تلك الرواية لتكون رواية

الموسم ، واشترت شركة مترو جولدن ماير حقوق تحويلها كفيلم سينمائى بمبلغ ٥٠ ألف دولار .

بعد هذا النشاط الكثيف خلال سنة كاملة ، كنت منهكا جدا ، وبعد فحص طبى دقيق وشامل ، نصحنى الأطباء أن أخذ اجازة من الكتابة بكل أشكالها فى الفترة الباقية من السنة ..

أوقات قصيرة تلك التى مرت علىّ منذ سنة ١٩٢٥ والتى لم أكن أجمع فيها مادة للكتابة أو أكتب بالفعل ، لذا فقد ابديت احتجاجى بأنى لن استطيع البعد عن آلتى الكاتبة سبعة أو ثمانية أشهر ، لكن الطبيب أصر بشدة هذه المرة فى أن أتبع نصيحته .

تلفنت لهارى بيهن فى توكسون واخبرته انى جاهز فى النهاية لشراء بيت فى صحراء اريزونا لاقيم فيه فترة من الوقت ، ساعدنى فى اختيار منزل جديد تم بناؤه حديثا عند سفوح جبال كالتالينا على بعد ثمانية أميال شمال توكسون .

كان ثمن البيت ، المصمم ليلائم جو الصحراء ، والمبنى داخل فناء مسور بسور عال ، عشرين ألف دولار ، كان موقعه على السفح يجعله يطل على المدينة وعلى وادى سانتا كروز حيث كانت تبدو جنوبه جبال سانتا ماريا ارجوانية ومهيبة فى ظلال الأصيل . كنت على استعداد ان اعترف لهارى انى اشتاق الى الصحراء منذ غادرته ذات صباح فى ديسمبر سنة ١٩٣٩ .

فى نهاية يونية ١٩٤٢ كنت مستعدا للمغادرة إلى الغرب ، عازما على أن أكون فى اريزونا الجنوبية خلال أسبوع .

٩٠

فى الطريق إلى توكسون ، خططت أن أتوقف فى سانتا لعدة أيام ، أزور فيها الفرد مورانج إلى انتقل إلى نيومكسيكو من ولاية مين .

ميلدريد زن ، التى وافقت أن تستمر فى العمل معى فى اريزونا كسكرتيرة ومساعدة تحرير ، اشترت تذاكر القطار لنا وحجزت فى الفنادق فى سانتافى ومنوفيكى وتوكسون ، وقبل يوم الرحيل حضرت حفل كوكتيل فى نيويورك فى دار نشر سيمون اندشستر فى مركز روكفلر .

وصلت الحفل متأخرا ، حين وصلت قال ريتشارد سيمون ان جاك ديلك من شركة افلام وارنر ينتظرنى فى مكتبه للحديث فى موضوع هام . تلفنت لجاك ومكثت ٤٥ دقيقة فى محاولة لاقناعه بأنى غير مهتم بقبول عرضه بالذهاب الى استديوهات وارنر للعمل فى نص سينمائى .

قلت : قررت ألا أقوم بعمل ما لفترة ياجاك . أؤكد لك انى لن أعمل لمدة سنة ..

قال فى صوت مهيب : هذا شىء لا يمكن أن تقرره ببساطة .

المهم أنك مطلوب فى الاستديو لفيلم معين . وعملى أن اقنعك أن تكون هناك .

ـ لكنى لابد من الذهاب إلى اريزونا ياجاك ، لا استطيع الذهاب الى بيرباتك الآن ، ربما فى وقت آخر .

ـ وارنر برزرز على وشك اخراج « بعثة الى موسكو » للكتاب الذى كتبه جوزيف ديفر ، بأسرع ما يمكن ، لا وقت لتضيعه . الدولة مهتمة ان تضع هذا الفيلم أمام الجمهور لأسباب نفسية ولا يمكن أن نطلب منك العمل فى هذا الفيلم لو لم نكن نحتاجك سيكون الوضع مختلفا لو جئت الينا ، لكننا نسعى اليك ... والآن دعنا ندخل فى التفاصيل .

ـ لكنك لا تدرك ياجاك ، لابد ان آخذ بعض الراحة ، قبل البدء فى أى نوع من الكتابة .

ـ الاستديو لا ينتظر ، نريد أن ننتج هذا الفيلم ، ونحن نحتاجك الآن ، لقد قضيت وقتا كبيرا فى روسيا حديثا .. وأنت تعرف خلفيات الفيلم الأساسية .. وذلك سبب طلبك العمل متى تأتى ؟

ـ سأغادر غدا مساء لأتوقف فى سانتافى اياما قلائل .

قال بحماس : حسنا ، ذلك يناسبنا ، حين يصل قطارك كانساس سيتى . انزل وكلمنى فى التليفون فى البيت ، المكالمة تتم فى دقائق والقطار يتوقف لعشرين دقيقة .. اتوقع أن أتلقى مكالمتك .. هل تعد بذلك ؟

ـ وهو كذلك .. سأتصل بك .

حين تركت التليفون كانت الساعة قد جاوزت الثامنة ، وكان الضيوف قد غادروا .

عدت إلى دارين تلك الليلة ، متسائلا كيف اقنع جاك ويليك ، وشركة وارنر انى فى حاجة الى راحة طويلة من الكتابة .

وحثني ماكس ليبر وملدريد زن فى اليوم التالى ألا أدع أى شىء يبعدنى عن الذهاب الى اريزونا كما خططت .

تلفنت لجاك من المحطة الاتحادية فى كانساس سيتى ، وابلغته انى مازلت عازفا على الذهاب الى توكسون . طلب منى ان انتظر يوما أو اثنين قبل أن أتخذ قرارا نهائيا ، لم يبق وقت لنقاش أطول فقلت له انى سأقرر بالتحديد ما سأفعله حين أصل سانتافى . ومر يومين ، وفى سانتافى تلفنت لالفن مانويل وهو وكيل سينمائى قابلته منذ سنوات وأثق فى حكمه فى أى شىء ، يتعلق بهوليود ، سألنى عما أشعر به ، قلت له : أنى أشعر بتحسن كلما اتجهت غربا وسأشعر بتحسن أكبر حين أصل اريزونا الجنوبية قال ، باعثا اليأس فى نفسى : لا أفعل ذلك لو كنت مكانك ياسكنى .

ان الجو حار فى تلك الصحراء فى يولية واغسطس . ان درجة الحراراة تبلغ من ١٠٠ ـ ١٢٠ فهرنهيت فى الظل حينما اكره أن تتعرض لمثل تلك الحرارة ، كم عرض عليك جاك من النقود ؟ اخبرته انه لم يكن هناك نقاش حول النقود .

سألنى ما آخر اجر تقاضيته من العمل فى السينما ؟

اخبرته بالمبلغ الذى تسلمته فى آخر مرة عملت فيها لحساب شركة مترو جولدن ماير .

قال بثقة : ستحسن ذلك ، لن نعمل لأحد بأجرة عفا عليها

الزمن .. تلك سياسة عقيمة .

قلت : آل . لا أعتقد أنى سأقوم بالعمل ، يجب أن ابتعد عن كل أنواع الكتابة لفترة . احتاج لراحة . الطبيب اخبرنى بذلك .

- سكنى .. مشكلتك انك جوعان وأنت لا تعرف ذلك . استطيع أن أخمن ذلك من صوتك بالتليفون ، قضيت سنة تتقافز حول العالم ولم تكن تملأ معدتك جيدا . أنا قلق عليك .. عليك أن تبدأ الأكل فورا ، عندى الآن تيودور درايزر وريتشارد الدنجتون وهما يأكلان ، وكلاهما يقسم انه لم يشعر بالصحة الجيدة أفضل من الآن ، يمكنك أن تقوم بالعمل الذى تطلبه منك شركة وارنر فى شهرين واعطيك كلمة شرف بأنك ستتناول افخر الاطعمة ، وآنذاك يكون الرمل فى اريزونا قد برد قليلا ويمكنك ان تتنزه دون ان تؤذى قدميك ، سأتولى كل شىء وأتلفن لك بعد يومين ، لا ترحل وفكر فى شرائح اللحم إلى اللقاء ..

بعد يومين تلفن آل وقال انه اتفق على كل شىء .

سألته : ما الذى اتفق عليه ؟

- انهيت المسائل مع شركة وارنر . مسألة الأكل حلت والأجرة ستكون ١٢٠٠ دولار أسبوعيا ، جربت الليلة الماضية احدى شرائح اللحم ، وسيكون كل شىء على مايرام .. متى أصل إلى هناك .

سئلت : ما اليوم : قال فى الخميس .

قلت له : سأكون هناك يوم الأحد القادم .

ذهبت إلى ستوديهات شركة وارنر فى الأسبوع التالى ، فى البداية كتبت خطوطا عامة للقصة مع منتج الفيلم روبرت بكنر ثم كتبت مسودة للقصة السينمائية ، شعرت انى أديت نصيبى من الكتابة ، وكنت على استعداد لترك أى شخص آخر ليضع القصة فى شكلها السينمائى الأخير ، حتى يمكننى المغادرة إلى اريزونا . كتاب السيناريو الذين اتو بعدى فى العمل ، اصروا لأسباب سياسية أو ماشابه ألا يعزى لى أى فصل سينمائى لما قمت به . بل وساروا ابعد من ذلك وطالبوا شركة وارنر بازالة اسمى من الفيلم ، كانت كتابة السيناريو مثلها مثل الكتابة الصحفية أو كتب الرحلات تشكل جانبا ثانويا بالنسبة لاهتماماتى الأساسية فى الحياة ، لذا كان الجدال ذا أهمية ضئيلة بالنسبة لى . فى الواقع لقد صورته معتبرا أن العرض الذى قدمته للفيلم ، سيساعد فى تعزيز كتاب السيناريو الذين ظهرت اسماؤهم على فيلم « رحلة الى موسكو » .

فى أوائل نوفمبر ، كنت مستعدا للذهاب إلى اريزونا واخبرت ميلدريد انى لن أقوم بأى نشاط كتابى حتى أوائل العام . وقررت أن تبقى فى هوليود ، كان هناك رسائل كثيرة لابد من الرد عليها ، وسجلات مالية لابد من تنظيمها ، وطلبت من بولى ستاست التى كانت تقيم فى باسادنيا ان تأتى معى الى توكسون وتساعدنى فى الأشهر القليلة القادمة ، كانت شابة ونشطة ، وقد كيفت نفسها باستعداد تام للعمل معى فى الساعات غير العادية .

وصلنا توكسون فى إحدى امسيات الاسبوع الأول من نوفمبر ، وتلفنت لهارى اسأله كيف استدل على البيت الذى

اشتريته لم يكن هارى قد ذهب الى البيت ليلا . ومكثنا ساعة نبحث عن البيت على ضوء المشاعل ، وانحصرنا فيما يبدو فى منطقة كبيرة من سفوح كاتلانيا ، قررنا الانتظار حتى طلوع النهار .

فى الصباح التالى توقفنا عند مكتب المالك الذى بنى البيت وسألناه كيف يمكننا ان نسترشد الى البيت .

قال : من السهل العثور عليه ، كل مبانى السفح مرقمة ، أبحث عن رقم ٦٧ ذلك هو بيتك .

بعد نصف ساعة ، وجدنا البيت الذى كان محاطا بثلاثة أفدنة من النباتات البرية ، وعلى مدخله يافطة مكتوب عليها بحروف صغيرة « مبنى رقم ٦٧ » وبدت مناسبة لاسم لا لرقم مبنى .

١١

بعد أسبوعين من شمس توكسون ، وبعد قضاء معظم ساعات النهار على السطح المشمس أو ممتطيا ظهر حصان فى الصحراء الهادئة ، اصبح من السهل أن أقنع نفسى أن ليس هناك هدف يجبرنى أن ابتعد عن الكتابة .

كنت خلال السنوات الأربع الماضية ، ادون بين حين وآخر بعض أحداث حياة طفل فى الثانية عشرة من عمره فى جورجيا ، معظم هذه الشذرات كتبت فى دارين ونيويورك وموسكو وسانتافى ونشرت فى المجلات خلال فترة كتابتها ، ربدأ منطقيا الآن أن أجمع ذلك كله وأكمل قصة وليام ستروب وصديقه هاندسوم براون ، انهيت الكتاب على السطح خلال الأسابيع الأربعة التالية فى يوم عيد ميلادى التاسع والثلاثين ، ونشرت رواية « ولد من جورجيا » فى ابريل ١٩٤٣ ..

قبل عيد الميلاد بقليل سنة ١٩٤٢ ، اتصلت بماكس ليبر في نيويورك واخبرته باننى منذ انتهائى من رواية ولد من جورجيا . سألنى ماذا خططت أن أفعل ، أخبرته أن ليس عندى أية خطة ولكنى أشعر بعد قضاء شهرين فى اريزونا انى بصحة جيدة ، ومن العبث ان أجلس لا أفعل شيئا ..

قال لى آنذاك لى كيديك وهو وكيل مكتب محاضرات يقترح

أن ألقى سلسلة من الاحاديث فى ميدل ويست ، حول الحرب الروسية الألمانية كما شاهدتها فى موسكو ، بدا لى ذلك طريقة مثمرة لقضاء شهر يناير ، فأخبرت ماكس انى سأحضر إلى نيويورك لتنفيذ اقتراح لى كيديك .

غادرت تكسون بالطائرة بعد أيام قليلة متجها إلى نيويورك ، حيث وافقت ان أقوم بجولة من المحاضرات تحت ادارة لى كينيك ، ورتبت المواعيد فورا فى عدة مدن وجامعات .

كان التليفون يدق فى غرفتى فى فندق سانت ريجز حين عدت بعد منتصف الليل بساعتين من جولة حول ميدان التايمز رأس السنة ، بمجرد ان سمعت الصوت عرفت انه أل بابريل .

قال : اين كنت طوال الليل ؟ انى أحاول الاتصال بك منذ أربع ساعات .

سألته متشككا : هل هذه مكالمة ودية ؟

قال : بالتأكيد .. كيف كانت السنة الجديدة فى نيويورك ؟
قلت : وأنا أعجب من مكالمته فى ذلك الوقت من الليل : جميلة .. وكيف هى فى لوس انجلوس ؟

قال : لا اعرف بعد .. مازال الوقت مبكرا لأخبرك .. فهى الحادية عشرة مساء هنا ، سأخبرك بكل شىء حال حضورك .

ـ لن آذهب إلى لوس انجلوس . أنا فى طريقى إلى جوبلن فى ميسورى .

ـ وماذا ستفعل هناك ؟

ـ قال ببطء : ذلك سيىء ياسكنى . أسف ان اسمعك تفكر فى أشياء مفيده ، حسن ان اتصلت بك فى الوقت المناسب ، المستقبل لمثل تلك الأمور . ولا أمان أو ضمان اجتماعى لها ، هل تعرف أين ينتهى الناس الذين يدورون فى البلاد ويلقون المحاضرات .

ـ أين ؟

ـ فى بيوت المسنين ، ذلك ما يسمونها الآن ، اعتادوا أن يطلقوا عليها البيت الأخير ومدفن العجائز المساكين الذين كانوا يحاضرون .

ـ لقد وقعت العقد لتوى ياآل .

ـ والآن أولئك المحاضرون العجائز الذين يتطلعون بحزن إلى بيت المسنين ، انتهوا إلى التسول ، لقد رأيتهم عدة مرات . انه أمر محزن جدا ، من الصعب أن يصدق المرء انهم كانوا يدورون فى البلاد ويلقون المحاضرات ، أليس كذلك ؟

ـ ولكن ماذا عن العقد الذى وقعته ؟

ـ لاتكن سببا فى اخلالى بكلمة الشرف التى أعطيتها ، هل تفعل ذلك ياسكنى . لايمكنك أن تفعل ذلك بصديق حقيقى .. انه من الحزن لمن هو مثلى أن يخل بكلمة شرف . لقد وعدت بوريس موريس وسام سبيجل بكلمة شرف أن أحضرك إلى شركة فوكس للقرن العشرين بعد غد الساعة العاشرة والنصف صباحا ، يريدونك لعمل فى فيلم يصورونه . ولقد زدت راتبك ليصبح ١٥٠٠ دولار فى الأسبوع .

ـ آل لابد أن اسوى الأمر مع لى كيديك هذا اذا نويت

ذلك ، ولا أعرف كم سيكلفنى ، ربما بما لااستطيع تحمله ، من الأفضل أن أذهب الى جوبلن .

لايقلقنا . ذلك اذا لم ترد ان تتولى الأمر فدع بوريس وسام يتوليانه . الأفضل أن تركب طائرة سريعة غدا . حجزت لك فى بيفرلى ويليشير . ودع هذا يكون درسا لك ، ولاتدع أى شخص مهما كان أن يدفعك لمثل هذا العمل . قبل مغادرة نيويورك ، أعطيت جيد هاريس نسخة مخطوطة من رواية ولد من جورجيا ليقرؤها ، وكنت قد تحدثت معه قبل أيام عن امكانية مسرحة النص وقال انه يرغب فى انتاجه واخراجه فى برودواى خريف ١٩٤٣ قال لى انه سيقرأ الرواية ويرانى فى بيفرلى هيلز خلال شهر ، حين حضر الى ستوديوهات فوكس فى فبراير ، قال انه كان فى عملية ولم يعثر على مسرح للرواية كى يتمكن من اعداد عرض لها فى افتتاح الموسم فى اوائل الخريف ، وانا سنوفر وقتا كبيرا لو تحدثت مع مارك كونيللى واقنعته بمسرحة الرواية ، وحين سألته لماذا لم يطلب هو من مارك القيام بمسرحة الرواية ، اجاب انه كان يخاف ان يثور جدل بينهما حول كيفية اخراج المسرحية وذلك يهدد صداقتهما الطويلة . رأيت مارك عدة مرات ، وفى كل مرة ومهما كانت الاعذار التى ابديها ، كان يبدو عليه الضيق بسبب ان جيد ارسلنى للحديث معه حول مسرحة الرواية بدل أن يأتى بنفسه .

أخبرت جيد أنى أعتقد ان يجب البحث عن شخص آخر لمسرحة الرواية ، قرر جيد آنذاك أن يقوم نوڤالى جونسون بمسرحة الرواية . وقضيت عدة أيام فى فترة مابعد الظهر فى مكتب نوڤالى منتظرا فرصة للحديث معه عن المسرحة ، لكن

كان جيد يحضر مصطحبا دامون رينيون ولاتتاح فرصة لأحد لعمل شيء سوى الاصغاء الى حكايات دامون الطويلة عن برودواى . وحتى نهاية الاسبوع لم يأت ذكر للمسرحية ، وكان على جيد أن يعود الى نيويورك فورا واكد لى قبل مغادرته ان نوڤالى سيكتب المسرحية .

سألته : هل أشار نوڤالى الى ذلك .

- لا . لكنه يريد مسرحة الرواية ، أنا متأكد من ذلك ، سيشعر بالاهانة لو تركنا غيره يقوم بالعمل ، انه يتوق لمسرحتها ، لكنه نوع خاص من الكتاب فهو لايتحدث عن شيء يريده ، اما اذا لم يرغب فى عمل شيء فانه يصدع دماغك فى الحديث عنه انه لم ينطق بكلمة واحدة حول المسرحية ، ومن ذلك عرفت انه تواق لعملها بعد مغادرة جيد الى نيويورك ، سألت نوڤالى اذا كان قد سمع من جيد عن مسرحة رواية ما .

أجاب : لا . جيد شخص من نوع خاص . لايناقش شيئا يتوق أن أعمله ، واذا لم يرغب ان اقوم بعمل ما يصدع دماغى بالحديث عنه .

- هل قال لك شيئا عن مسرحة رواية « ولد من جورجيا » .

- ولاكلمة . انها المرة الأولى التى اسمع بها ذلك . لو ذكرها لعرفت انه لايريدنى ان أقوم بالعمل .

- اذن كيف ستتعاونان فى مسرحية ولد من جورجيا ؟

- لن نفعل حتى يتوقف جيد عن أموره الغريبة هذه وبعد ثلاثة أشهر ، انتهى حق جيد فى مسرحة الرواية ولم يجدد العقد بعد ذلك .

١٣

لم أتمكن من العودة الى توكسون والبدء فى كتابة الروايات المكملة للسلسلة التى خططت لها من الحياة فى الجنوب ، الا فى عام سنة ١٩٤٤ فى ذلك العام نشرت رواية « أرض المآسى » عن دار نشر دويل وسلون وبيرس ، فى السنة السابقة ١٩٤٣ كنت قد وقعت عقدا لمدة سنتين مع شركة فوكس للقرن العشرين للكتابة للشاشة ، وكانت بنود العقد تحدد راتبا اسبوعيا يقدر بـ ١٧٥٠ دولار فى السنة الأولى ، يرتفع الى ٢٠٠٠ دولارا فى السنة الثانية ، لكنى فى نهاية السنة الأولى طلب اعفائى من تنفيذ الاتفاق كى اتمكن للعودة لكتابة الروايات .

حين عدت الى توكسون فى خريف ١٩٤٤ ، بعت البيت الذى عشت فيه فترات متقطعة خلال السنتين السابقتين ، واشتريت بيتا أكبر على سفوح كاتالينا بتكلفة بلغت ٣٥ ألف دولار ، وكان البيت الجديد يقع على ارتفاع اعلى ويشرف على منظر اجمل لوادى سانتا كروز وجبال سانتا مارينا .

أول ماقمت به فى توكسون هو كتابة سلسلة من النداءات لتذاع لصالح الخزانة العامة والادارة المالية للحرب . وبطلب من الخزانة العامة قمت فى نوفمبر مع عدد من الكتاب بجولة

للدعاية لسنوات الحرب . وكأن الهدف من النداءات الاذاعية والجولة حث الجمهور على شراء سندات الحرب هذه .

فى هذا الوقت نشر مجلدان آخران فى سلسلة عادات شعبية امريكية ، بلد الشمال البعيد بقلم تيمس وليامسون ، وبلد الدلتا العميقة بقلم هارنيت كين . وكان من المقرر نشر ثلاثة مجلدات آخر فى عام ١٩٤٥ هى : بلد ملتقى المدن بقلم كلاريت ويبستر ، وبلد النجم الشمالى بقلم ميريدل لوسوير ، وبلد البوابة الذهبية ، بقلم جرتوود اثيرتون ، كما خطط لنشر مجلدات اربعة فى عامى ٤٦ ، ١٩٤٧ ، وهم . بلد كاليفورنيا الجنوبية بقلم كارى ماك وليامز ، وبلد السفوح المنخفضة بقلم هـ . س . نيكسون ، وبلد القمح بقلم هومر كروى ، ثم تكساس البلد الكبير بقلم دونالد داى .

فى السنة التالية ١٩٤٥ بدأت بكتابة الرواية التالية فى سلسلة رواياتى عن الجنوب الأمريكى ، وهى رواية « بيت فى الاعالى » ، كما وقعت عقدا مع جاك كيركلاند لمسرحة ولد من جورجيا .

نشرت الرواية عن دار دولين وسلدن وبيرس بعد سنة ، وفى الوقت نفسه افتتحت مسرحية « ولد من جورجيا » فى بوسطن ولم تستمر سوى اسبوع واحد .

الروايات التالية التى كتبتها فى سلسلة رواياتّى عن الجنوب كانت :

يد الله القوية ونشرت سنة ١٩٤٧ ، هذه الأرض ونشرت

سنة ١٩٤٨ ، مكان يسمى اتيرفيل ونشرت سنة ١٩٤٩ ، ثم حادثة في بالميتو ونشرت سنة ١٩٥٠ .

قبل عام ١٩٤٦ تنبهت لثورة جديدة في عالم الطباعة ، لم ادرك حجمها حتى خريف ذلك العام حين فوجئت بكمية التوزيع الضخمة التي اصبحت عليها مبيعات الكتب الشعبية التي تباع بربع دولار للنسخة . فقد أعاد كيرت انوخ وفيكتور وبيرايت طبع رواية أرض الله الصغيرة سنة ١٩٤٦ في طبعة شعبية تحت شعار بنجوين (اصبح اسم السلسلة في أمريكا بعد ذلك سجنت بوكس) ، وتجاوزت مبيعاتها خلال ستة اشهر المليون نسخة .

ذهبت الى نيويورك سنة ١٩٤٦ لحضور حفل كوكتيل اقامته دار سجنت ومطبوعات فاوست ، وكنت متشككا في نبوءة فاوست بأن مبيعات أرض الله الصغيرة في طبعتها الشعبية ستصل الى ٢ مليون نسخة خلال الأشهر السنة التالية . وكان فاوست على حق وكنت على خطأ ، وقد وصل حجم توزيع الرواية في السنوات الأربع التالية الى خمسة ملايين نسخة .

طرق البيع التي استخدمتها شركتي سيجنت وفاوست ، رغم انها كانت معروفة الى حد ما الى موزعي المجلات والصحف ، الا انها كانت تختلف جذريا عن تلك الطرق التقليدية التي يستخدمها ناشرو الكتب عادة . كان هناك هدف لعملية توزيع الكتب الشعبية وهو تحقيق أعلى المبيعات بغض النظر عن مقاومة الشارى او سباق التجارة . ولقد حضرت عددا من مهرجانات البيع كضيف على سجنت وفاوست في

نيويورك وكولورادو وأماكن أخرى ، وفى قسم المبيعات فى شركة فاوست اتيحت لى الفرصة لمشاهدة حملات المبيعات على أشدها . وتدبير وتنفيذ المقالب الفكاهية بدت فى مؤسسة فاوست بالأهمية نفسها التى ينفذون بها طلبات الكتب ، وقد وقعت ضحية احد مقالبهم المدبرة جيدا كما سنرى .

طلب منى ادى لوس ان اقابله فى كانساس سيتى عند الظهر تماما يوم ٢٥ يونية سنة ١٩٤٨ ، قدت عربتى فى الصباح من سانت لويس متجها الى كانساس سيتى حيث وصلت اطراف المدينة فى الحادية عشرة والنصف . لم أسر بالعربة سوى مسافة قصيرة داخل المدينة حين أطلقت عربة بوليس بها شرطيان سارينتها لترغمنى على التوقف ، قلت ربما اسوق عربتى بسرعة فى منطقة لاتزيد السرعة فيها على ١٥ كم/ساعة لكنى كنت متأكدا انى اسير بسرعة لاتزيد على ٣٠ كم/ساعة .

بدأت استعد لمناقشة الشرطيين حول ذلك لكن لم تتح لى الفرصة لذلك ، دون احدهما رقم رخصة القيادة وتفحص الثانى رخصتى واشار لى ان اتبع عربة الشرطة الى قلب المدينة .

حين اصبحنا فى وسط المدينة ، حاذيت عربة البوليس ، وسألت اذا كان بامكانى الذهاب الى فندق مولباتش حيث لدى موعد عمل هام . قال أحدهما : سنذهب الى هناك اولا .

وصلت مدخل الفندق قبل دقائق من الثانية عشرة وكانت عربة الشرطة خلفى تماما ، بينما ادى لويس ينتظرنى عند الباب .

قال بانتقال : لاوقت لدينا ياارسكين ـ علينا بالاسراع للحاق بموعد هام .

أومأت الى عربة البوليس واخبرته انى اعتقلت بسبب السرعة هز رأسه بانزعاج وقال : ذلك شىء .. ماذا يجب علينا أن نفعل ؟ فكر عدة لحظات قبل أن يضيف « من الأفضل ان تذهب لرؤية عمدة المدينة » وجذبنى من ذراعى ودفعنى داخل تاكسى . حين انطلقنا ، نظرت خلال الزجاج الخلفى فرأيت عربة الشرطة وراءنا مباشرة ، حاولت عدة مرات ان اتكلم عن تهمة المرور ضدى لكن ايدى كان يحول الحديث الى موضوعات أخرى . حين وصلنا مبنى البلدية تبعنا الشرطيان داخلها وسارا خلفنا الى مكتب العمدة ، ورحب بى العمدة ويليام كمب ترحيبا حارا ، بعد شكر العمدة ، لمزت ادى بكوعى وهمهمت شيئا عن تهمة المرور ضدى ، انحنى ايدى على العمدة وانسر له بشىء .

سأل العمدة الشرطيين : هل لديكما شىء ضد مستر كالدويل . تقدم احدهما مهمهما وناولنى قطعة ورق صفراء مطبوع عليها هذه الكلمات « مرحبا بك فى كانساس سيتى ، من فضلك قد سيارتك بعناية » .

لم يعترف ادى بعد ذلك أن له ضلعا فى هذه الحكاية سوى الموعد مع العمدة .. ومع ذلك حين عدنا الى المكتب الرئيسى فى جرينويتش أخبر فاوست ان جملة المبيعات فى كانساس سيتى كانت أنجح الحملات التى ادارها .

غادرت كانساس سيتى بعد أن قمت بدورى بوضع توقيعى على عدد كبير من رواياتى بطبعتها الشعبية حيث كانت تباع

فى صيدلية كاتز ، وذهبت الى جامعة كانساس لأمضى اسبوعا فى مؤتمر للكتاب عقد بالتعاون مع الجامعة .

كان بين الحضور الكثير من المؤلفين ، ومنذ البداية شعرت باحساس لايمكن للمرء ان يخطؤه من البرود فى كل مرة أظهر فيها لاتحدث . لم أعرف السبب فى ذلك متى سألت والتركلارك أحد المؤلفين المشاركين فى المؤتمر وتساءلت اذا كنت قد أهنت أحدا ما ، قال لى انه سمع من كتاب اخرين ان هناك استياء عاما لان الكتاب يشعرون انى اسأت الى سمعة مهنة التأليف ولقضية التعليم العالى باشتراكى فى مثل هذه الخطط الاعلامية لبيع الكتب فى كانساس سيتى وبالتوقيع على كتبى الشعبية فى صيدلية .



خاتمة

(١)

حين يعلن شخص ما أن لديه الطموح ليصبح كاتبا ، ويأتى الى مؤلف ليسدى اليه نصيحة ، فهناك عدة اسئلة يتوقع المرء أن يسمعها .

السؤالان اللذان ترددا دوما كتابة أو شفاهة بالنسبة لى هما :

- كيف تكتب قصة ؟
- وكيف تستطيع أن تنشر قصة ؟

بعد كل هذه السنين ، لاأعرف كيف اجيب على هذين السؤالين بدرجة تقنع القراء محبى الاستطلاع والكتاب الناشئين .

من الواضح ان معظمهم يعتقد انى اخفى سرا لان قليلا منهم يقتنعون باجابتى .

والاجابة التى أرددها دوما أنه من خلال تجربتى فإن أفضل طريقة لتعلم الكتابة هى الكتابة نفسها ، وأن أفضل طريقة لنشر قصة هى ارسالها الى المجلات حتى تجد محررا يكون مستعدا لنشرها .

ربات البيوت فى نكساس ، سائقو التاكسى فى اوهايو ، الطلبة فى نبراسكا ، والموظفون فى كاليفورنيا ، الذين تسلموا مثل هذه الاجابة منى ، لهم الحق ان يشكوا بأنى لم أزودهم بمعلومات واضحة ومحددة عن كيفية الكتابة والنشر . وربما يرجع السبب فى انى غير قادر على اعطاء ارشادات واضحة تمكن أى واحد منهم أن يصبح كاتبا ناجحا . انى اعتقد ان الكتابة الخلاقة تحركها حالة ذهنية معينة ، وان اولئك فقط الذين ولدوا بهذه الموهبة ويسعون بجهد متواصل ليعبروا عن انفسهم كتابة يمكن ان يحققوا النجاح الذى يريدون .

هذه الحالة الذهنية كما اسميتها هى رغبة لا ارادية تسعى الى تحقيق ذاتها بأى ثمن ، انها توق شديد لايمكن تجاهله او انكاره ، انها شبيهة بالحاجة العاطفية عند البعض فى البحث عن الحب والرفقة ، او كقوة قاهرة كالحاجة الطبيعية للأكل والشرب عند البعض الآخر ، قوة هذه الحالة الذهنية هى التى تحث المرء وتدفعه للمدى الذى هو على استعداد للوصول اليه لتحقيق هدفه الواعى او غير الواعى فى الحياة .

درجة قوة هذه الحالة العقلية هو مقياس النجاح أو الفشل . كثير من الناس على استعداد لتحمل كل صعوبة انسانية تقريبا فى سبيل أن يتعلم كيف يكتب بنجاح ، وآخرون يحيطون بسهولة ويختلقون اعذارا منطقية للاستسلام والتحول لوظيفة أخرى . وكما يوجد هذان الحدان ، هناك أيضا أعداد كبيرة يتشوقون ان يكونوا كتابا ومع ذلك يفتقدون القدرة الضرورية للنجاح .

ويعتقد كثير ممن قضوا سنوات طويلة فى تعلم حرفة

الكتابة ، ان من يكتب لهم النجاح ككتاب مبدعين هم أولئك الذين هم على استعداد لتحمل الصعاب ، ومن الغباء ان ندعى أن الشخص لابد أن يكون مفلسا كى يوائم نفسه مع مهنة التأليف ، ولكن هناك حقيقة وهى أن رغبة المرء فى أن يصبح كاتبا تركز فيه قوة شرسة تمكنه سواء كان رجلا أو امرأة ان يجوع لكى يتغلب على أى شىء يقف فى طريق نجاحه ، وأن الفقر والجوع أكثر من الغنى وحياة الدعة دفعا للكاتب الواعد لبذل مجهود أكبر ليرى نفسه وهو يتغلب عليها بالتدريج الشخصى نفسه . مع الموهبة نفسها ، لو كان ولد غنيا فمن المرجح ان يوجه شراسته لتحقيق غاية مثل الشهرة وتحقيق الذات كمؤلف ، جائزة الابداع ، ان يبدع المرء سواء كان غنيا أو فقيرا هو الدافع الأول للكتابة ، أما كسب النقود فهو الدافع الثانوى ، وقد ترددت كثيرا فى تشجيع من يقول انه يفتقد الفراغ للكتابة ، أو أن المحررين فشلوا فى تقدير " عمله ، قد يبدو هذا الموقف غير متعاطف ، ولكنى أشعر انه امين وواقعى ، وبالتالى اكثر فائدة من التشجيع الأعمى . كثير ممن يرغبون ان يصبحوا كتابا ، ربما بلا وعى ، يبحثون عن اعذار لعدم الاستمرار فى الكفاح حتى النجاح ، ويرون أنهم سيعيشون فى حياة أسعد ويكونون أنفع كمواطنين فى مهنة غير مهنة الكتابة .

الشخص الذى لديه ارادة أن يكتب يستطيع دائما أن يجد · الفرصة ، أما اولئك الذين لايعنيهم البحث عن هذه الفرصة ، فانه تكون لديهم ، عادة ، اهتمامات أخرى ، سواء كانوا يدركونها أم لا ، وهى أكثر قربا لهم .

كثيرون مما يحاولون كتابة القصص سواء لقضاء الوقت أو

كحرفة ، سيكونون اكثر نجاحا لو كان لديهم فهم أفضل لطبيعة ، مايقومون به ، هناك تعريفات عدة للرواية والقصة ، تعريفى للقصة القصيرة أو الرواية ، انها حكاية خيالية لها معنى ، وهى مشوقة لدرجة تشد اليها انتباه القارىء ، وجيدة بما يكفي لترك انطباع لايتمحى على عقله ، هناك مايسمون قصاصين بالسليقة ، لكنى أقول ان العدد الأكبر من الروائيين والقصاصين يسعون اما بالتدريب الشاق او بالاشادات الذكية ، للوصول الى خلق قصة تتصف بالكمال ويمكنها ان تجذب انتباه الآخرين ، واذا شد العمل اهتمام عدد كاف من الاشخاص ، فمن المنطقى أن يكون احد هؤلاء محررا فى مجلة او ناشرا .

هناك احتمال ان كل الكتاب يملكون قدرة طبيعية متفاوتة فى البداية ، حتى لو كانت موهبتهم لاتتعدى القدرة العقلية على تمييز كلمة من أخرى . لكن من المشكوك فيه ان يكون اى شخص نشر قصة أو رواية قد وصل الى ذلك دون أن يمضى فترة فى التدريب على الكتابة ، فترة طالت أو قصرت لكن بالتأكيد تمرن لبعض الوقت .

هذه الفترة ، الذهاب الى ورشة لتعلم الكتابة ، اضافة الى الحالة الذهنية المعينة ، التى تحدثت عنها . تنتج قاصا متكاملا ، وتسحب معها الى السطح اى موهبة يمتلكها الكاتب .

قلة الصبر ، والتدريب غير الكافى ، وعدم الاستعداد للجلوس الى الآلة الكاتبة يوما بعد يوم وسنة بعد سنة ، كل ذلك كفيل أن يقلل او يزيل الموهبة او ارادة النجاح ، حين

يحدث ذلك ، فان الرغبة فى الكتابة تبقى لكن المقدرة تصبح ضعيفة وغير مؤثرة، ومايتلو ذلك من الطبيعى أن يكون الاحباط والتعاسة .

ستظل الروايات والقصص تكتب ، وسيعرف الكتاب الجدد رجالا ونساء أن أحد اسرار مهنة الكتابة هو التعلم بواسطة التمرين كيف يصبر المرء عن فكره ومشاعره ، ومن يتمرن حتى تصبح قصصه جيدة ، آنذاك يتهافت القراء على قراءته والمجلات على نشر قصصه .

٣

كل كاتب يتلقى خطابات ودية وخطابات عدائية بنسب وكميات متفاوتة ، فى حالتى فان النسبة بين الخطابات الودية الى الخطابات العدائية تصل تسعة إلى واحد .

ومنذ سنة ١٩٢٩ حين نشرت اول قصة قصيرة لى ، وصل معدل هذه الرسائل عشر رسائل اسبوعيا ، وفى عشرين سنة وصل عدد هذه الرسائل على وجه التقريب الى عشرة آلاف رسالة ، تفاوتت مضامينها من المدح المطلق الى اللعنات المطلقة ، لم يكن لدى الوقت ، وفى بعض الحالات النية ، للاجابة على نصف هذا العدد الكبير من الرسائل .

ثلث هذا البريد يمكن تصنيفه تحت بند طلب نقود ، او طلب توقيعى أو نصائح تتعلق بمسائل شخصية أو مهنية .

أما باقى الرسائل فهى مكتوبة بكلمات مؤثرة ، وتتضمن اسئلة كذلك التى يتلقاها المرء باستمرار من القراء مثلها مثل الاسئلة التى يسألها الطلاب والمحررون واشخاص لهم اهتمامات بالحياة المهنية للكاتب والعادات الخاصة بالكتابة .

وهذه بعض تلك الأسئلة واجاباتى عليها :

سؤال : يقول لى اصدقائى أن قصة حياتى طريفة وممتعة جدا ، واعتقد انها كذلك ، فلا يوجد مايشبهها سواء فى كتاب أو على شاشة السينما ، هل تكتبها لو زودتك بكل الحقائق ؟

ـ لا . يجب أن تكتب انت حياتك الخاصة .. وهذا شكل من التعبير عن النفس له قيمة كبيرة بالنسبة اليك ويمكن أن تخرج باقتناع اكثر بها لو كتبتها بنفسك .

سؤال : يمكنني أن أخبرك بقصة اعتقد انها ستدر كثيرا من النقود حين تكتب كرواية ، فكرت بها بنفسي ولا أحد غيري يعرف بها . هل نتعاون معا على أن آخذ نصف الحقوق ؟

ـ لا . فالعمل الابداعي هو نتاج عواطف وعقل مفرد وسيكون اكثر نجاحا حين يكتبه من يبتكره .

سؤال : هل ذهبت الى المدرسة لتتعلم ماتعلمته عن كتابة القصص والكتب ؟

ـ لا . تعلمت بالخبرة . بالتجربة والخطأ ، وبالعمل بالكتابة حتى اقتنعت بالنتيجة .

سؤال : كتبت الكثير من القصص القصيرة فى أوقات فراغي ، كيف يمكنني أن أنشرها ؟

ـ بارسالها إلى المجلات ، لمئات المجلات اذا كان ذلك ضروريا وليس لمجلة أو اثنتين ، وأية مكتبة يمكن أن تزودك باسماء وعناوين المجلات التى تنشر القصص القصيرة وهذه هى الطريقة الوحيدة المقنعة للفت نظر المحررين الى عملك . وبعد نشر اول قصة يمكنك ان تستعين بوكيل أدبى ليساعدك .

سؤال : هل الشخصيات فى قصصك وروایاتك موجودة بالفعل ؟ هل هم اناس حقيقيون ؟

- لا . انهم شخصيات خيالية ، وأنا اكافح بشدة لجعل الشخصيات الخيالية كأنها واقعية من الحياة .

سؤال : هناك شخصية فى أحد كتبك تتحدث وتتصرف كعمى ، هل كنت تكتب عنه فعلاً ؟

- لا . ولكن اسعد دائما حين أجد احدى شخصياتى الخيالية لها معادل موضوعى فى الحياة الفعلية .

سؤال : ماهو هدفك من كتابة روايات مثل : طريق التبغ ، الرحالة ، وأرض المآسى . ما الفائدة التى تقدمها هذه الكتب ؟

- الهدف من كل هذه الكتب هو أن اقدم مرآة يستطيع الناس ان ينظروا اليها ، ومهما كان الخير أو الشر فى كتبى فان ذلك يعتمد على ردود فعل القارئ تجاه الصورة التى يراها فى المرآة .

سؤال : كتبت كثيرا عن الفقراء ، لماذا لاتكتب عن الأشياء السعيدة فى الحياة ؟

- أولئك الذين يستمتعون بمباهج الحياة اقل بكثير من اولئك الذين يقاسون مآسيها ، حين يتغير هذا الوضع الاجتماعى سأشعر آنذاك ، انه لم يعد هناك أى هدف للكتابة عن آثار الفقر على الروح الانسانية .

سؤال : لايمكن لأحد أن يكتب رواية كأرض الله الصغيرة الا اذا كان له عقل كعقلك .. هل انت مجنون ؟

- لااعتبر نفسى كذلك ، فانا أبدو لنفسى طبيعيا .

سؤال : ارسلت قصصى الى كل المجلات المعروفة . ولكنى لم اتمكن من نشر قصة واحدة ، بدأ الاحباط يصيبنى ، ماذا أفعل ؟

- هناك دائما موقع لكاتب جيد آخر على القمة . والطريقة المثلى للوصول الى هناك أن تبدأ من القاع . واذا لم تكن مهتما أن تبدأ من القاع فمن المحتمل انك لست مهتما بالكتابة على وجه الخصوص ، هناك آلاف من الجرائد الاسبوعية والمجلات الصغيرة والمجلات المهنية ، والمطبوعات الخاصة من كل صنف ولون ، ويبدو معقولا أن أى انسان لديه الصبر والتصميم الكافى ودرجة ما من القدرة على الكتابة أن يجد قبولا فى مكان ما وسط كل هذه المطبوعات ، واذا كان اهم شىء فى حياتك ان تجد عملك منشورا فسيبدو لك اى مكان تنشر فيه مناسبا ، واذا بدا عملك جيدا للقراء مستجد من المحررين والناشرين من يرغب فى مساعدتك للوصول الى القمة .

سؤال : هل أتمكن من تعلم كتابة القصة القصيرة والرواية ، بأخذ دورة تدريبية فى مدرسة او جامعة ؟

- لااحد يستطيع ان يجيبك حتى تحاول ، فلا يوجد مدرس مخلص يمكن أن يعد بأن يجعل منك كاتبا ، ولكن الارشادات تساعدك على أن تساعد نفسك .

سؤال : أود ان اصبح قصاصا ، هل العمل كمحرر فى جريدة مفيد ام ضار بالنسبة لى ؟

- لاأعرف أحد أضير بممارسة أى نوع من الكتابة .

فالصحافة ، بالاضافة انها تفيدك بالتمرين المستمر فانها تساعدك على تكوين عادة الكتابة اليومية ، انتظار الوحى عذر نادرا ماتجده وسط محررى الصحف .

سؤال : تنتابنى دائما الرغبة فى الكتابة ، ولكنى عندى عائلة يجب أن أعيلها ، ولا استطيع ترك عملى والمغامرة بالحياة على الكتابة ماذا أفعل ؟

الاثنان . احتفظ بعملك واكتب . ليس كل الكتاب الذين تنشر اعمالهم محترفين ، اعمال كثيرة جيدة كتبها كتاب تحيط بهم ظروف قاسية كالعمل البيتى كل يوم او الذهاب الى العمل خمسة أو ستة أيام فى الأسبوع ، الكتابة ، كهواية جمع الطوابع ، او الصيد ، من الممكن ان تكون هواية ممتعة ، وقليل من جامعى الطوابع او هواة الصيد يتركون اعمالهم .

سؤال : هل تكتب لتكسب نقودا ؟

- اكتب لأنى احب الكتابة ، سأكون غير قادر ان اخصص كل وقتى للكتابة لو لم استطع أن أعيش عليها .

سؤال : كم من النقود كسبت ؟

- ليس لى دخل ثابت . دخلى يأتى من حقوق النشر لما كتبته . كسبت قليلا بمعدل عشرة دولارات فى السنة مثلا ، وكثيرا بمعدل ٣٠٠٠ دولار فى الأسبوع .

سؤال : سمعت انك جنيت مليون دولار من كتاباتك . هل مازلت تحتفظ بها ؟

ـ لا . ثلاثة أرباع دخلى على نفقاتى الشخصية والمهنية والضرائب .

سؤال : هل لك ساعات عمل محددة ؟ وهل تكتب حين تشعر بالرغبة فى الكتابة ؟

ـ اكتب من ٩ صباحا حتى ٦ مساء ، ستة أيام فى الأسبوع ، عشرة اشهر فى السنة .

سؤال : هل تكتب فعلا طوال الوقت الذى تجلس فيه الى الآلة الكاتبة ؟

ـ لا . لكنى اجلس الى الآلة الكاتبة دوما . وهناك أوقات ينتهى اليوم دون أن أكتب سطرا واحدا .

سؤال : هل تعيد كتابة قصصك ورواياتك أم أن كل شىء يبقى كما كتبته فى المرة الأولى ؟

ـ سلة المهملات تمتلىء دائما فى نهاية اليوم . لقد أعدت كتابة بعض القصص والروايات أكثر من ١٠ أو ١٢ مرة .

سؤال : لابد أن هناك شىءا واحدا تعتبره أهم عنصر فى كتابتك . ماهو ؟

ـ لاستخدم كلمة من عدة مقاطع حينما تغنى عنها كلمة أقصر ، لااستخدم كلمة اضطر الى البحث فى القاموس عن معناها أو تهجيتها . راجعت مرة نسختى الخاصة من القاموس بشطب كل الكلمات التى تتكون من اكثر من اربعة مقاطع .

سؤال : ماهي في رأيك أهم الخطوات لتعلم الكتابة ؟

- أولا تعلم معاني الكلمات وطرق استخدامها .
ثانيا : تعلم كيف تكتب جملة توافق الفكرة التي تعبر عنها .
ثالثا : أن يكون لديك مايستحق القول قبل بدء القصة .
رابعا : تعلم كيف تستخدم قوة العاطفة في القصة لتترك تأثيرا دائما على ذهن القارىء .

سؤال : ماهي النصيحة التي توجهها لكاتب شاب ؟

- علّم نفسك الكتابة بالدرجة نفسها التي يعاني فيها أي فرد ليصبح ناجحا في ميدانه من خلال التمرين ، فالأطباء والمحامون والخبازون والحلاقون والميكانيكيون والمهندسون وعمال الطباعة لابد ان يتعلموا بالخبرة ، لماذا لايكون الكتاب كذلك ؟

سؤال : ما الكتب التي تقرؤها ؟

- اقرأ كتبا قليلة ، ربما ست روايات في السنة ، منذ سنوات قسمت الناس الى صنفين أولئك الذين يقرءون وأولئك الذين يكتبون ، ورغبت أن أكون مع الصنف الثاني .

سؤال : لو عشت حياتك ثانية . هل تبدأ بأن تكون كاتبا مرة ثانية ؟

- بالتأكيد . أشك انى استطيع أن أعيش بعمل آخر .

فهـــرس

هذا الكتاب :

كيف اصبحت روائيا ؟! ، كتاب فريد ، يكتبه روائى متمكن ، يجمع بين الخبرة والعلم ويمزج بين الفن والفكر ، ويكتب ارسكين كالدويل اهم الروائيين الأمريكيين المعاصرين سيرته الذاتية ، وكيف جذبه فن الرواية حتى حققت رواياته اعلى الأرقام وتتميز تجربته بالملاحظة الدقيقة والحساسية الفائقة والنظرة الفنية لكل ما يجرى حوله .

يقدم كالدويل سيرته بقوله : «لم يكن هدفى سرد احداث حياتى ، ولكن تناول الخبرات التى اثرت على رواياتى ، كما اقدم فى كتابى هذا جماع خبرتى كروائى ومؤلف» اذهل الكاتب الأمريكى القراء بقسوته وصراحته ، وقد ولد عام ١٩٠٣ فى مدينة كاوينا بولاية جورجيا ، واتهم بالكثير من بالاباحية والانحلال ، ورفعت ضده العديد من القضايا ، واثبت انه يهدف الي تعرية المجتمع الأمريكى حتى يمكن معالجة ما به .

ثم اصبح كالدويل اكثر الروائيين شهرة ، وحطم كل الأرقام القياسية للتوزيع .

انه كتاب هام ، بعد ان اصبح فن الرواية اكثر الفنون انتشارا فى مصر .

رقم الايداع : ٢٤٩٦ / ١٩٩١

I.S.B.N
977 - 07 - 0065 - 7

هـــــذا الكـــتاب
مـــلك الأستاذ الدكـــتور
رمـــزى زكـــى بطـــرس

الطباعة : مؤسسة دار الهلال ـ القاهرة

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية واحد وعشرون جنيها وفى بلاد اتحادى البريد العربى والأفريقى والباكستان سبعة عشر دولارا أو ما يعادلها بالبريد الجوى وفى سائر أنحاء العالم خمسة وعشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية ، وفى الخارج بشيك مصرفى لأمر مؤسسة دار الهلال ، وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عالية عند الطلب

هذا الكتاب
ملك الأستاذ الدكتور
رمزى زكى بطرس